جدران

أقلام واعدة لمجموعة مؤلفين

DREAM PEN
FOR TRANSLATION & PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان: مدينة العبور – الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف: 01003288596

بريد إلكتروني: Dream.pen92@gmail.com

جدران: أقلام واعدة لمجموعة مؤلفين

مجموعة مبدعين

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢٠م

غلاف: عمار جمال العبد

تصميم فني: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع: 25862 / 2019

I.S.B.N: 978-977-85623-3-0

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلاً أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

جدران

أقلام واعدة لمجموعة مؤلفين

وراء كل قلم حكاية

المقدمة

عزيـزى القارئ..انت على موعد مـع نبض القلوب فى كلمات ليسـت كالكلمـات ولكنها حـروف وابداعـات تخاطب القلب والعقـل وتهـذب الفكـر فـى صـورة حكايات..وتختبـىء كل حكايـه خلف جدار لتسـرد لنا تجـارب من الحيـاة تهم الأطفال والكبار ليتعرف كلاهما على ما وراء الجدران

دكتورة زينب زكى «ماما زوزو»

أولًا: حكايات ماما زوزو

الاسم: زينب أحمد زكي

المؤهل: دكتوراه في العلوم الزراعية عام ٢٠١٢ - ماجستير في العلوم الزراعية عام ٢٠٠٦ - بكالوريوس العلوم الزراعية عام ٢٠٠٠

المهنة: دكتور باحث بمركز البحوث الزراعية.

الأعمال السابقة: العديد من الحلقات التليفزيونية الزراعية على قناة مصر الزراعية وقناة صوت الشعب والقناة الأولى الفضائية المصرية وكذلك حلقات إذاعية على كل من إذاعة صوت العرب وإذاعة فلسطين والبرنامج العام والإذاعة التعليمية.

كاتبة للعديد من المقالات والحكايات التربوية تحت عنوان «مقالات وحكايات ماما زوزو».

لي لقاءات تليفزيونية وإذاعية عن كتاباتي الأدبية على قناة مصر الزراعية وإذاعة صوت العرب وإذاعة فلسطين.

مشاركة بكتاب «برائحة الفانيليا» الصادر في نهاية عام ٢٠١٨ والمشارك في معرض الكتاب ٢٠١٩

البريد الالكترونى: zenabzaki_151@yahoo.com

الفيس بوك: (دكتورة زينب زكي) zenab zaki

(١)

خلي بالك أنت وهي.. أنت مش بتربي ولد وبنت.. أنت بتربي أجيال جاية

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

السياسة والحب مع الأطفال هي المفتاح السحري اللي محدش واخد باله منه.. لكن إحنا في وسط ضغوط الحياة وكل واحد فيه اللي مكفيه من المشاكل بيخرج عصبيته وعنف اليوم كله في الطفل من غير ما يحس، وبالشكل ده بيدفعه تمن ضغوط المجتمع اللي هو مالوش ذنب إنه اتوجد فيه من الأساس، بالتالي لازم نتعلم ازاي نفصل بين مشاكلنا وحياتنا الخاصة وبين احتياج أولادنا لينا.

نتعلم ازاي نسمعهم ونديهم الأمان علشان يحكولنا على مشاكلهم، ويشرحولنا بالتفصيل سيناريو يومهم كان عامل ازاي ونبدأ بشويش نقوّم سلوكهم، وبهدوء ننزع الخوف من قلوبهم لو علمناهم ازاي يخافوا على زعلنا مش يخافوا مننا، فيتجنبوا الغلط علشان ماما ماتزعلش مش نخوفهم مننا ونخليهم يقولوا هنعمل الغلط بس من ورا ماما علشان ماتضربناش أو ماتقولناش كلام وحش بيوجع، وهكذا.

نتعلم ازاي نخلّي ولادنا يجروا علينا، يدفنوا في حضننا كل مشاكلهم وأوجاعهم مش يهربوا مننا علشان خايفين من العقاب

أيًا كان نوعه.

تقويم أولادنا يكون بالليـن والحب والتفاهم، هيسمعوا كلامنا ومش هنلاقي منهم عناد.

يعني بدل ما تقولي للطفل مش بحبك، المفروض تقوليله: ماما هتزعل منك وتخاصمك ومش هتعملك الحاجات الحلوة اللي بتحبها.

وبدل ما أقوله: أنت فاشل، أقوله: أنا زعلانة منك، أنت أشطر من كده بكتير، ينفع تزعل ماما حبيبتك؟

وبدل ما أقارنه بإخواته أو بحد تاني وأحسسه إن كل الأولاد أحسن منه، أقوله: تعالى نجتهد أكتر علشان نكون أفضل من فلان، وهكذا.

وربنا يهدي أولادكم جميعًا يارب، وإليكم تفسير لبعض العبارات القاسية وما يترتب عليها:

«**مش بحبك**» تجعل الطفل شكاكًا لا يشعر بالأمان أو الثقة حتى في أقرب الناس إليه.

«**يا غبي**» تدمر ذكاءه وقدرته على التفكير والاستيعاب حيث يعتقد أنه غبي بالفعل ويشعر بالدنو الفكري، ويشب مستعينًا بفكر غيره.

«**أنت فاشل**» تلتصق بذهن الطفل طوال حياته وتحوله إلى شخص يتوقع الفشل دائمًا، وفي الغالب يخفق في حياته العملية والأسرية.

«**أنت كذّاب**» الطفل الذي يسمعها دائمًا يتعلم الخبث والإلتفاف في الحديث والفعل، وتنبت مهاراته الشيطانية وصفاته السيئة، ويخسر ثقة مَن حوله.

«**أنت مش ليك دور ولا ليك رأي**» هذه الجملة تجعل الطفل معتمدًا على غيره، عديم المسئولية وغير قادر على إتخاذ قرار، ومتكئًا على قرارات غيره منتظرًا المدد منهم.

«**مش هتقدر تعمل كذا**» يشب الطفل مع هذه العبارة مفتقرًا لمشاعر الإقدام والنخوة، ويصبح شخصية منغلقة ضيقة الفكر والمشاعر.

«**أنت أسوأ طفل في العالم**» تحول الطفل بالفعل إلى أسوأ الأطفال على الإطلاق، نتيجة إحباطه من انعدام شعور والدته وأقرب الناس إليه بمميزات شخصيته وعدم غفرانها لسيئاته، مما يجعله يعتنق السلوك السيئ والعدواني والرافض دائمًا

«**سأعاقبك عقابًا عسيرًا**» هذا التهديد يدمر نفسية الطفل ويرهق تفكيره ويجعله يفكر في هذا العقاب حتى يعتاده، ويصل إلى مرحلة اللامبالاة والعناد، فيشب متهورًا متسرعًا، غير محترم لحديث وفكر الغير ولا يخاف عواقب الأمور.

«**مفيش فايدة فيك**» تجعل الطفل لا يأبه بالخطأ، ويصدق في قرارة نفسه أنه لا فائدة فيه ولا يمكنه التغيير، وأن أخطاءه لا غفران لها ولا يمكنه التخلص منها، فيزيد منها.

«**أنت أسوأ إخوتك**» تدمر الطفل، وتجعله يشب ناقمًا على أسرته وكارهًا لإخوته ومن حوله محبًا لنفسه ومصلحته، يحمل الضغينة على الدوام حتى أنه يرغب في إيذاء الأم والأب.

رفقًا بهم فهم أمانة بين أيديكم.

❖ ❖ ❖

(٢)

حكاية «سلمى وأحمد مع بابا سمير»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

سلمى وأحمد سمير، أصدقائي الحلوين اللي دايمًا بيسمعوا كلام مامتهم، وشاطرين في مدرستهم ومتفوقين، أحمد وسلمى بيصوموا رمضان زي الشاطرين الحلوين، وبيوجهوا رسالة لكل الأطفال في الدنيا كلها عن أهمية الصيام للشهر الكريم وقرروا يحكولنا حكايتهم مع بابا سمير في الشهر الكريم.

أحمد بيقولنا: بصراحة أنا شقي جدًا، وكنت مش بعرف أصوم خالص، وكان بابا سمير دايمًا يقولي أنت كبير وراجل ولازم تصوم، وكنت بوافقه وأقوله: إني صايم، بس بصراحة كنت أروح أشرب من وراه ومن ورا ماما وأكدب وأقول: إني صايم، لحد ما جيت في يوم لقيت أختي سلمى اللي أصغر مني صايمة وشاطرة ومش بتكذب.

وفي يوم كانت تعبانة جدًا وبابا وماما قالولها تفطر، لكن هي زعلت وصممت تكمل صيامها، لكن بابا سمير قالها: إن ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ قال في القرآن الكريم:

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ صدق الله العظيم.

حسيت ساعتها إني غلطان جدا ، إني بكذب وبعمل صايم وأنا فاطر ، وروحت لبابا سمير واعترفت بذنبي ، ووعدته إني من اليوم ده مش هكذب أبدًا تاني وهصوم زي الشاطرين ، ولو في يوم تعبت زي أختي سلمى أكيد هفطر وأعوض الأيام دي لما أكون قادر أصوم.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

(٣)

حكاية «محمد الشطور»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

من أشطر الشاطرين حبايبي الحلوين اللي بيسمعوا كلام مامتهم، وفي شهر رمضان الكريم صايمين، ومن ربنا قريبين وبيصلوا الصلاة في وقتها، وبيعملوا كل حاجة حلوة ماما زوزو بتحبها، يا ترى ماما زوزو بتتكلم عن مين ؟ تعالوا نشوف.

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام. كان فيه ولد جميل اسمه محمد، على اسم سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام عارف واجبه ومش مستني ماما تحاسبه، شاطر وأمير بيصوم وبيصلي كتير.

وفى يوم من الأيام شعر في الصيام إنه عطشان وجعان، ومن خوفه من ربنا كان دايمًا قلقان، وخايف يفطر ربنا يحاسبه، ويكون مقصر في عبادته، ورغم صعوبة الجو وشدة حرارته لكن تماسك وقرر يكمل صيامه وما يفطرش رغم تعبه، وجوعه، وعطشه، وراح يحكي لماما زوزو إنه شاطر وجميل، ورغم تعبه إلا إنه مستمر وهيقدر يكمل. إن شاء الله. صيامه لكن سألها: إحنا ليه بنتحمل تعب الصيام ؟ وليه بنصوم أصلًا ونتحرم من الأكل والشرب ؟

ماما زوزو قالتله: لأن ربنا . سبحانه وتعالى . قال في القرآن الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾.

وسيدنا رسول الله ﷺ قال:

روى البخاري (١٧٦١) ومسلم (١٩٤٦) عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَالَ اللَّه: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»

يعني شهر رمضان والصيام فيه تكليف من ربنا . سبحانه وتعالى . وفضله عظيم وثوابه كبير

وياريت كل الأولاد الحلوين يكونوا زي محمد شاطرين ومن ربنا قريبين ولشهر رمضان صايمين وربنا يتقبل منا الصيام والقيام قولوا آمين.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

❖ ❖ ❖

(٤)

«القمرات فى جنينة الحيوانات»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام. يوم الجمعة اللي فات كان فيه ثلاث قمرات، أحمد وعائشة وأمل في جنينة الحيوانات، بابا سمير قرر يفسحهم، وعلى ملك الغابة يفرجهم، ويحكيلهم عن قوته وسلطته، وازاي بهيبته أصبح ملك لجنينته، أحمد بص بعيون ذكية، وسأل بابا سمير: يا ترى ايه هي شروط ملك الغابة يا بابا؟ بابا سمير جاوب عليه وقاله: علشان تكون ملك لازم تكون حكيم، وتسير في حياتك على الصراط المستقيم، ولا تصاحب في الدنيا خاين ولا لئيم، ولو قابلتك في يوم محنة، لازم على محنتك تكون من الصابرين، قاطعت الكلام عائشة، وقالت لبابا: وكمان يا بابا يكون حنين وعلى خلق اللّه رحيم، وبسرعة قالت أمل: ولكلام ربنا يكون حافظ، وعن الحق مش باعد، وللصلاة على رسول اللّه ﷺ مداوم، وعلى الاستغفار كمان يداوم، وصدق الحبيب المصطفي القائل " (مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللّٰهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) رد أحمد بسرعة وقال: وعلى

الصلاة يكون محافظ.

بابا سمير فرح بيهم وشكرهم على تفكيرهم الرائع وكلامهم الجميل وقال: أنا عندي ٣ أمراء حلوين وشاطرين ومن ربنا قريبين.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

(٥)

«جنة وملك ونور فى معرض الزهور»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام.، كان فيه ٣ قمرات بنتين وولد بيحبوا جدتهم، وبيعتبروها صاحبتهم مش بس مامتهم.

وفي يوم من الأيام الأولاد التلاتة فكروا يروحوا معرض الزهور علشان يتفرجوا على أجمل زهوره، ومن هناك يشتروا هدية جميلة لصديقتهم وجدتهم الجميلة كوثر.

وفعلا راحوا المعرض مع بعض وبدأوا يفكروا يا ترى ايه أحلى وأجمل زهرة نهديها لحبيبتنا وجدتنا كوثر؟؟..

ملك اقترحت الوردة البلدي الحمرا، ونور اقترح القرنفل، أما جنة فقررت تهديها عود ياسمين

وقالت: العود ده شبه نينتي، وهزرعه ليها في جنينتي يكبر ويملى الدنيا زهور جميلة لنينة الجميلة.

ونور قال: وأنا كمان هجيبلها عود قرنفل، وملك قالت: وأنا هجيب من الورد البلدى تشكيلة علشان نزين لها البيت والجنينة، واشتروا الأولاد التلاتة الورود الجميلة وراحوا على

حبيبتهم كوثر يفرحوها ويعملولها مفاجأة جميلة..

وتيتة كوثر لما شافت الورود الجميلة فرحت بحبايبها الحلوين إنهم قدروا يسعدوها باختياراتهم الجميلة.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

(٦)

«عائشة والقرآن»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام. كان فيه بنوتة جميلة اسمها عائشة، شطورة وقمورة، ومن القرآن حافظة سورة كل يوم تقرأها كتير، وتقول: أنا حافظة كل القرآن بتاع ربنا.

وفي يوم من الأيام راحت مدرستها، وفي إذاعة المدرسة سمعتها، والكل كان مبهور بيها وبشطارتها، وكل الأطفال حبيتها، والمدرسات سألتها:

مين يا عائشة يا جميلة علمك تحفظي القرآن؟ قالت: ماما سمية وبابا رمسيس كمان، علموني لكتاب ربنا أكون حافظة، ولنعمه علينا أكون شاكرة، ول سورة الإخلاص دايما مذاكرة أكون بكده حفظت كل القرآن؛ لأنها لوحدها بتعادل ثلث القرآن.

وفعلًا كل الأطفال أصدقائها في مدرستها اتعلموا من عائشة الجميلة إنهم يقرأوا سورة الإخلاص، ويحفظوها، علشان يكونوا شاطرين، زي عائشة، وللقرآن حافظين.

يـا ترى يا شـطار يا حلويـن، مين هيكمل معانـا ويحفظ من كتـاب ربنـا سـور كتيـر؟ يالا بينـا نبدأ بسـورة الاخـلاص زي الجميلة عائشة.

وفعـلا كل الأولاد والبنـات فـي المدرسـة قـرروا يكونـوا شـاطرين ولقـرآن ربنـا حافظيـن ومـش بـس سـورة واحـدة، لأ مكملين باقي السور زي عائشة اللي زي القمر.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة

❖ ❖ ❖

(٧)

«حازم وأدهم وزهرة الياسمين»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام.

كان فيه زمان ولدين حلوين من عيلة كبيرة قاعدين في القصر متهنيين، ولكلام ماما وبابا سامعين، وكان اسمهم حازم وأدهم الحلوين، يا ترى إيه اللي حصل؟ تعالوا نشوف في يوم من الأيام خرج حازم وأدهم يتفسحوا في الوديان ويدوروا على زهرة الياسمين يهدوها لجدتهم اللي بيحبوها وبدأوا يجمعوا الزهور من الحديقة الكبيرة اللي حوالين القصر بتاعهم.

وفجأة وصل بابا أحمد من شغله ونادى عليهم في القصر مش لاقيهم، وقعد يدور ويدور ويدور ويسأل عليهم ماما وجدو وكمان جدتهم والكل مش عارفين هم راحوا فين! وفجأة جدتهم اقترحت يدوروا عليهم في الحديقة الكبيرة يمكن يكونوا بيجروا ويلعبوا، وبسرعة خرج بابا أحمد يدور عليهم في الحديقة الكبيرة، وفعلا لقاهم تحت الشجرة الكبيرة بيلفوا الزهور اللي جمعوها من الحديقة علشان يقدموها هدية لجدتهم الجميلة، وقرب منهم بابا أحمد، وبعصبية قالهم: قلقتونا كلنا

عليكم ليه تخرجوا من غير إذن ماما؟ هو فيه أولاد شاطرين تخرج من غير إذن الكبار؟! حازم وأدهم حسوا بغلطهم وسكتوا خالص ما قدروش يتكلموا.

وبابا أحمد قالهم: كده غلط، وكان ممكن يقابلكم شيء يزعجكم أو يخوفكم، حازم وأدهم أخدوا بالهم من غلطتهم وقرروا يعتذروا لبابا أحمد بسرعة، وقالوله: إحنا يا بابا آسفين، ومن غير إذن تاني مش خارجين بس كان نفسنا نقدم زهور الياسمين هدية لجدتنا الجميلة علشان هي بتحب زهرة الياسمين، قالهم: مهما كان الهدف نبيل لا يعفيكم من الخطأ بخروجكم من غير إذن، لازم الكبار يعرفوا أنتوا خارجين فين ومع مين لأن غلط خروج الأطفال لوحدهم، المرة دي خلاص سامحتكم ما دمتم بغلطكم معترفين، الأولاد الشاطرين هم اللي يسمعوا كلام باباهم ومامتهم ومايخرجوش أبدًا من غير إذنهم، ووعد حازم وأدهم بابا أحمد إن خلاص مش هيغلطوا تاني ويخرجوا من غير إذنه هو وماما وكمان تيتة وجدو.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

❖ ❖ ❖

(٨)

«إياد وتاليا هيسابقوا القمر»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام.

كان فيه بنت وولد زي القمر اسمهم إياد وتاليا حلوين وشاطرين ومن ماما نهى دايما قريبين بيسمعوا كلامها في كل حاجة.

وفي يوم من الأيام ماما نهى خرجت مع إياد وتاليا الحلوين اللي زي القمر، راحوا على النادي يجروا ويلعبوا، وعن ماما نهى مش ممكن يبعدوا، وفجأة؛ قابلوا رانيا ورحاب في المدرسة كانوا أصحاب، طلبت رانيا ورحاب من إياد وتاليا يجروا لآخر النادي يسابقوا القمر.

لكن ماما نهى حذرتهم وقالتلهم آخر النادي فيه حفر في الأرض وممكن تقعوا وتتعوروا لكن رانيا ورحاب كانوا أشقياء وأقنعوا إياد وتاليا يجروا معاهم يسابقوا القمر، ومايسمعوش كلام ماما نهى، وفعلا إياد وتاليا سمعوا كلامهم وراحوا يجروا معاهم وبعدوا عن عيون ماما نهى وفي لحظة وقعت رانيا وهي بتجري على ركبتها واتصابت وصرخت كتير

والأولاد مش عارفين يعملوا ايه، وقعدوا يعيطوا ومش عارفين يتصرفوا، ويعملوا ايه علشان خاطر رانيا، وبسرعة فكر إياد، وقال: أنا هجري بسرعة أنادي ماما نهى وهي هتعرف تساعدنا ياريتنا سمعنا كلامها، وفعلا إياد جري بسرعة وراح لماما نهى وحكالها وقالها: على كل اللي حصل وبسرعة ماما نهى إتصلت بالإسعاف وراحوا جري علشان خاطر رانيا وقالتلها: أنا آسفة يا طنط نهى إني ما سمعتش كلامك، وكمان أقنعت إياد وتاليا يجروا معانا نسابق القمر، والنتيجة كانت إصابتي في رجلي، من النهاردة هسمع كلام الكبار ومش هقنع أصحابي تاني بحاجة ممكن تضرنا كلنا.

ماما نهى سامحتها وقالت لأولادها الشاطرين: شايفين يا حبايبي اللي ما يسمعش كلام الكبار ممكن يحصلوا ايه؟ وفهم إياد وتاليا الحلوين اللي زي القمر إن لا يمكن يتشاقوا زي رانيا ولازم يسمعوا كلام مامتهم نهى علشان ما يحصلش تاني مواقف مرعبة تخوفهم هم وأصحابهم زي ما حصل مع رانيا.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

ماما زوزو

(٩)

«جبر الخواطر وجوف المخاطر»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

من سار بين الناس جابرًا للخواطر أدركته عناية الله في جوف المخاطر.. وده اللي حصل مع جنة في حكايتها مع سلمى وزوجها مروان يا ترى ايه اللي حصل؟! تعالوا نشوف.

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام. كان فيه زمان بنوتة جميلة اسمها جنة يتيمة وفقيرة ومفيش عندها لا بيت ولا أكل ولا هدوم كتيرة ورغم كل ده إلا إنها كل ليلة تحلم بالجنة، وفي يوم من الأيام سلمى كانت ماشية تعبانة وعطشانة ومن الحر مرهقة جدًا وزهقانة راحت ترتاح عند الشجرة الكبيرة لقت جنة قاعدة تحتها تستظل بظلها وماسكة في إيدها عود جريد وكأنه سلاح من حديد بترسم بيه على الأرض رسومات كتيرة وبيوت جميلة وورد وشجر سلمى ابتسمت، وسألتها: أنتِ مين يا جميلة وبتعملي ايه تحت الشجرة الكبيرة؟

ردت جنة والنور مالي عنيها وقالتلها: أنا جنة الأرض فرشتي والسما غطايّ والمياه مرايتي وكل ليلة بحلم بالجنة وقاعدة أخطط وأرسم شكل جميل للجنة سلمى عينيها دمعت من حال

جنة وطلعت كل الفلوس اللي معاها وقالتلها: كل دول علشانك يا جنة هاتى فرش وغطا يحموكي من الحر، وكمان من برد الشتا، جنة ردت عليها وقالتلها: وأنتِ كمان يا سلمى خدي مني حتة من جنة جنة، وفرحت سلمى بابتسامة جنة، وقامت مشيت وسابتها وروحت على بيتها.

وبعد ما سلمى وصلت بيتها وارتاحت وفطرت، غمضت عنيها شوية شافت منام جميل، إن عندها بيت في الجنة يشبه تمام هدية جنة، قامت سلمى من نومها تحكي لزوجها مروان على منامها، وكانت سعيدة وفرحانة بهدية جنة، وبسرعة مروان سألها: عن اللي جرالها، وقالها: احكيلي بسرعة فين ألاقي جنة علشان تهادني أنا كمان بقطعة من الجنة، وفعلًا على مكان جنة وصفتلوا ازاي يوصلها.

وتاني يوم جري مروان جري على مكان جنة.. وطلع من جيبه فلوس كتيرة وأعطاها لجنة وقالها: أنا عاوز قطعة من الجنة زي القطعة اللي أهديتي بيها زوجتي سلمى، لكن جنة قالتله: للأسف مش هتلاقى القطعة دي عندي قالها: اشمعنا سلمى؟!

قالتله: سلمى كان هدفها تجبر بخاطري بكل اللي أهديتني بيه، لكن أنت جاي تشتري مني قطعة من الجنة، والجنة مالهاش ثمن، ثمنها فقط جبر الخواطر، أمشي بين الناس جابر للخواطر هتلاقي عناية ربنا، وتلاقي قطعة من جنة جنة.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

❖ ❖ ❖

(١٠)

«أبو ضحكة جنان»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

أبو ضحكة جنان مليانة حنان عبودي بودي أخر روقان تعالوا نشوف سر ضحكته وحسن معاملته مش بس لجدته ولماما كمان.

وكان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام. كان فيه ولد جميل جمال مالوش مثال مؤدب ولطيف، وبيسمع كلام مامته، وبيهتم بكل اللي حواليه وعمره ما بيزعل منه حد والعند ما يعرفوش بجد، شاطر وأمير وذكي وخطير.

وفجأة وفي يوم من الأيام غير ضحكته وعاند وكابر وبقى عصبي وشرير والكل بيسأل ويستفسر: يا ترى ليه عبودي الجميل بقى شقي وشرير؟ وبسرعة راح لماما زوزو يحكيلها على حكايته ويعرفها إنه طيب وجميل وعمره ما كان شرير.

وماما زوزو قالتله: أنت طيب وجميل تعالى أحكيلك على حكاية السور والمسمار والجميل جميل علشان تعرف إن العند والعصبية ممكن نأذي بيهم اللي حوالينا من غير ما نشعر ونتسبب لهم في أذي كبير.

كان فيه ولد عصبي وشرير اسمه جميل، لكن كان مش جميل خالص، وكل ما حد يتعامل معاه يرد عليه بعصبية وبكبر وكأنه مفيش في الكون غيره، ويوم ورا يوم بدأ كل أصحابه يبعدوا عنه ومحدش عاوز يتعامل معاه من كتر ما كان بيأذيهم بكلامه.

وفي يوم من الأيام جميل بكى وراح لجدو أحمد واشتكى، وقاله: تعبان وزعلان ومن بعد الناس عني بقيت قلقان.. لكن جدو طبطب عليه وقاله: تعالى أوريلك حاجة مهمة وأخده عند سور الحديقة، وكان معاه كيس كبير فيه مسامير كتير.

وطلب منه يدق كل مسمار جنب مسمار في السور، وفعلا جميل سمع كلام جده ودق كل المسامير في السور، بعدها جدو قاله: اخلع المسامير من السور يا جميل.

جميل استغرب وقاله: ليه دقتها؟ وليه دلوقتي من السور هخرجها؟ قاله: اسمع الكلام هوريك شيء مهم وخطير.

وفعلا بدأ جميل يخلع في المسامير من السور، بعدها جدو قاله: شوف كده مكان كل مسمار بقى عامل ازاي؟ بقى فيه ثقب كبير وده اللي حبيت أعلمهولك؛ إن كل كلمة جارحة وكل عصبية صدرت منك لأصحابك عملت جواهم ثقب كبير وجرحتهم جرح خطير علشان كده بعدوا عنك.

ومن هنا فهم جميل إن أسلوبه وعصبيته بعدت عنه أصحابه رغم جمال ضحكتة، وقرر من اليوم ده يبقى رقيق وجميل ويجمع أصحابه حواليه من تاني وما يتعصبش ولا يعاند علشان يفضل جميل.

عبودي الجميل سـمع الحدوتة وقرر يسـمع كلام ماما زوزو ، ويكـون جميل زي جميـل يحب أصحابه وما يعاندش ولا يتعصب علشان ما يعملش في قلوب أصحابه جرح كبير.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

ماما زوزو

عَلَّمْتَنِي

بقلم الكاتبة: «سارة محمد»
صدر لها رواية وجهان لقب واحد ورواية تلك الروح

في منتصف ليلة لم يكتمل قمرها ، في إحدى أحياء الإسكندرية كانت هناك سيدة في بداية الثلاثينات خمرية اللون بنية العين متوسطة القامة و البدن ، ترتدي فستانًا بلون زهرة البنفسج يبدو من مظهرها أنها تحمل في أحشائها جنين في شهره الخامس من عمره الإفتراضي.

كانت تهيئ حقيبة للسفر؛ وأثناء انشغالها جاء من خلفها رجل طويل القامة قمحي اللون جذاب الملامح عيناه بنية أيضًا لكنها كانت تتميز بجاذبية غير معتادة ، ممشوق الجسد يبدو من مظهره أنه رجلًا رياضيًا يرتدي ملابس رياضية ، ضمها إليه هامسًا في أذنها برقة كأنه يخبرها سرًا :- "سأشتاقك».

لم تجبه؛ لكنها نظرت له وعلى وجهها رسمت ابتسامة تحمل الكثير والكثير من عبارات الغزل والعشق؛ فقبلها من وجنتها ثم تركها وذهب لبيت الراحة كي يهيئ نفسه لرحلة سفر يبدو من تجهيزات زوجته للحقيبة أنها ليست بالقصيرة.

بعدما أنهت الزوجة تجهيز حقيبة السفر وحين أوشكت على غلقها ، تذكرت أنها كعادتها يجب أن تترك له شيء مميز بداخلها كي لا يشعر بغيابها ، وأينما يكن تكن هي معه حتى

لو ببعض عباراتها ، فذهبت إلى غرفة المكتب وجلست تكتب...

زوجي العزيز:

«سأشتاقك» كلمة لا تعبر عما سأشعر به في غيابك يا رفيق دربي.

منذ ذاك اليوم الذي ابتسم فيه القدر لي والتقيت بك؛ تعلمت منك الكثير و الكثير.... لقد عَلَّمْتَنِي:

أن التعبير الحقيقي عن المشاعر لا يكون بالكلمات، بل الأفعال.

أن الحنان النابع من صدق المشاعر كافٍ لمحو أي جراح.

أن الود أقوى من الحب.

أن الكلمة الطيبة نبتة لتجديد الود.

أن الرجل الحقيقي يعرف من كلمته.

أن الصدق في أي علاقة يحميها من الانهيار.

أن الخوف في وجودك لا يوجد له معنى.

أن الاحترام المتبادل يولد السعادة.

أن العلاقات العائلية تقوي رابط الاحترام.

لقد مر عام على زواجنا المبارك واكتسبت منك كل هذا ومازلت في وكبة التعلم، لقد كنت نعم الزوج و نعم الرفيق ونعم الحبيب، أدامك الله لي سند.

قامت الزوجة بـ طي الورقة ثم وضعتها في مغلف، ذهبت باتجاه غرفتها ثم وضعت أحمر شفاه وختمت على المغلف من الخارج

ختم حبها ، وعندما همت لوضعه في الحقيبة خرج الزوج من بيت الراحة فأخفت مسرعة المغلف خلفها وقلبها ينتفض قلقًا من أن يكتشف الزوج أمرها فتفسد المفاجأة ، لكن القدر كان متخذ حيزها كالعادة فاستغلت هي الفرصة وأسرعت بإخفاءه وسط ملابسه وأغلقت الحقيبة ، في ذلك الحين كان الزوج قد أنهى تهيئة نفسه للسفر؛ فذهب باتجاه زوجته التي كانت عيناها غارقة في بحور دموع الوداع؛ فضمها إليه لبضع لحظات ثم ذهب مغادرًا المنزل لوجهته المقصودة.

❖ ❖ ❖

قُدرَةُ الله

بقلم الكاتبة: «سارة محمد»

محافظـة القاهره عام ٢٠٠٤ يوم في منتصف الصيف شـديد الحرارة، شـاب مغترب في مقتبل العمر تحديدًا في عقده الثالث متوسـط الطـول، هزيل الجسـد بسـبب فنـاءه في عملـه، وبعد المسـافة بينه وبين راحة وسـط أهلـه ومعارفه، يقنـط بالقاهرة بجانـب مصـدر رزقـه كي يكمـل تجهيزات زفافـه الذي كان يفرقه بضعة أشهر فقط، وجهه حاد الملامح مُناوِئ لقلبه النقي، كان يعمل محاسبًا متخصص في البنوك و معاملاتها في أحدى شـركات المعدات الثقيلة فكان عمله يأكل جل يومه وطاقته فيتبقى له بضع ساعات للنوم ؛ كي يستعيد جزء من طاقته تعينه على الاستمرار لمواكبة الحياة.

فـي ذلك اليوم الموعود كعادة ذلك الشـاب يبدأ يومه العملي بالذهـاب إلـى البنوك لمباشـرة أعمال الشـركة، كـ سـحب و إيداع شيكات خاصة بالشركة وغيره، مر بأحد البنوك لسحب شـيك مسـرعًا في الإجرءات لازدحام جدول أعمالـه هذا اليوم، من ثم غادر ليكمل باقي مهامه، في منتصف اليوم شـعر الشاب بالجـوع فذهب إلى إحدى المطاعم الصغير المجاورة للبنك الذي سينهي فيه عمله لهذا اليوم، جلس الشاب يأكل بشراهة لجوعه

الشديد وإرهاقه الذي يريد مداواته بالطعام.

بعدما أنهى الشاب وجبته توجه إلى البنك وقام بأخر مهامه لكنه تفاجأ بوجود فائض في الأموال التي قام بسحبها صباح ذلك اليوم بعدما أنهى كل الإيداعات التي وجب أن يقوم بها؛ فكان من المفترض ألا يتبقي معه شيء لأنه وجد تحديدًا معه "خمسة آلاف جنيه مصري" فوقف الشاب حائرًا بين شيطان مسئوليته و ضميره، فأخذ شيطانه يوسوس له بأن هذا الفائض حقه و رزقه ويجب أن لا يتردد في أخذ هذا الرزق كي يكمل ما تبقى من تجهيزات لزفافه ليبدأ حياته الجديدة بسرعة و راحة بعيدًا عن أعباء الأقساط وما شابهها.

في نفس اللحظة كان ضميره يخبره بأن ما جاء يسيرًا يذهب هباءً، وبأن زواجه الذي يريد أن يكمله سريعًا يمكن أن ينتهى سريعًا أيضًا، ما إن هم شيطانه يهزمه حتي تذكر قدرة الله عليه.

توجه الشاب مسرعًا إلى البنك ثم توقف عند الشباك الذي قام بصرف الشيك منه، وسأل الموظف إن كان يجد عجز في خزينة و كم يبلغ مبلغ العجز؟ فأخبره؛ فأعطى له الشاب المبلغ فشكر له الموظف، ومدير البنك وشكر الله لذلك الشاب على أمانته و مراقبة الله و بارك له في زواجه.

❖ ❖ ❖

قصص مأخوذة من أحداث حقيقية

(١١)

«حكاية منة ومحمد مع بابا عادل»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

حاجاتنا نلعب بيها براحتنا لكن كله إلا حاجات بابا، وكمان مامتنا ليها قيمتها وأهميتها، ومايصحش أبدًا نلعب بحاجات الكبار، علشان بيكون فيها حاجات مهمة، ونكون شاطرين ونحافظ عليها زي ما عملت منة.

تعالوا نشوف منة عملت ايه ! كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام. كان فيه بنوتة جميلة كلها نشاط وهمة، واسمها منة، وكمان كان فيه ولد جميل اسمه محمد، ومعاهم بابا عادل يا ترى ايه اللي حصل من محمد ومنة مع بابا عادل؟؟؟؟ تعالوا نشوف.

في يوم من الأيام بابا عادل كان راجع من شغله تعبان، طلع كل حاجاته على ترابيزة صغيرة، وغمض عنيه، ونام شوية، وفجأة تليفون بابا عادل فضل يرن يرن، ومنة ومحمد الشاطرين قاعدين ومركزين يا ترى نعمل ايه؟

إحنا محتارين نرد على التليفون؟ ولا نصحي بابا؟ ولا ناخد

الموبايل ونلعب بيه؟ وبسرعة منة قالت: نصحي بابا أحسن يكون في حاجة مهمة، ومحمد قال: طيب ما نرد على التليفون ونعرف مين بيتكلم وبعدين نصحي بابا، وبعدين يا منة وبعدين، وبعدين يا محمد وبعدين بابا سمع الحوار ما بينهم بعد ما صحي على صوت التليفون ورد وعرف مين بيكلمه وقفل، لكن بدأ يتكلم معاهم ويسألهم:

ها يا حلوين على ايه كنتوا ناويين؟ تاخدوا التليفون وتلعبوا بيه؟ ولا كنتوا هتتصرفوا ازاي؟ منة قالت: كنت هصحيك يا بابا أحسن يكون فيه حاجة مهمة، ومحمد قال: كنت هرد يا بابا أعرف مين بيتكلم وبعدين أبلغك، قلنا بقى يا بابا تصرف مين صح؟ وتصرف مين غلط، بابا قالهم: الأول لازم نعرف حاجة مهمة، ودي اللي قالت عليها الجميلة منة: إن لازم نصحي بابا أحسن يكون حاجة مهمة، لازم يا حبايبي نحترم خصوصيات بعض، ومايصحش أبدًا حد يطلع على خصوصيات التاني، يعني يا محمد ماينفعش ترد على تليفون بابا، وكمان ماينفعش تلعب بيه والتصرف السليم طبعًا كان تصرف الجميلة منة، ومن يومها وأصحابنا الحلوين الشاطرين بيعملوا زي منة ومابيلمسوش حاجة باباهم ولا مامتهم أبدًا أحسن تكون حاجات مهمة.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(١٢)

«خروف العيد»

بقلم: دكتورة «زينب زكي"

الخروف للغلابة؟؟ ولا لينا؟؟ ولا هنقسمه علينا؟؟ أسئلة كتيرة حيرتني من أحمد وعمرعن خروف العيد.

يا ترى ايه الحكاية؟ تعالوا نشوف.

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام. كان فيه ولد جميل اسمه عمر، وكمان كان فيه أخوه أحمد اللي زي القمر، وقبل العيد بأيام بابا حاتم اشترى خروف العيد، وقالهم: أنا اشتريت الخروف اللي هيكفي من الفقراء ألوف، والأولاد قعدوا يلعبوا مع الخروف، وأحمد يقول للخروف: ازاي يا خروف هتكفي ألوف؟! لكن رد عليه عمر وقاله: واحنا مالنا ومال الفقراء، الخروف دا بتاعنا احنا وبابا وماما وتيتة وجدو لكن أحمد قاله: لأ المدرسة قالت في المدرسة إننا لازم نأكل الفقراء من خروف العيد، وبابا قال: إن الخروف ممكن يكفي من الفقراء ألوف، لكن لما شفت الخروف مش عارف ازاي هيكفي ألوف؟.

بابا حاتم سمع حديثهم وقرر يشاركهم، وعلى قصة سيدنا إسماعيل يحكيلهم، وعن أهمية الصدقة وأضحية العيد يفهمهم.

وبسرعة قال لأحمد: الخروف هيكفي ألوف ببركة ربنا .سبحانه وتعالى. لأنك لما بتطعم فقير بتاخد حسنة والحسنة بعشر أمثالها، يعني لو أطعمت من الخروف عشرة أشخاص وكل شخص بحسنة وكل حسنة بعشرة يعني كأنك هتضرب ١٠ في ١٠ يعني ١٠٠ حسنة، تخيل بقى لو أطعمت ١٠٠ شخص يعني ١٠٠٠ حسنة ويا سلام بقى لو كان ربنا أنعم عليك وبدل خروف واحد عندك أكتر من خروف يعني هتطعم ألوف شوفت بقى إن الخروف ممكن يطعم ألوف، أحمد فرح بتوضيح بابا حاتم، وعمر اتكسف خالص، وقاله: على فكرة أنا آسف يا بابا مكنتش أعرف الحكاية بتاعة الخروف، ومن النهاردة مش هكون أناني، وهطعم المسكين والغلبان والتعبان علشان ربنا . سبحانه وتعالى. يكتبلي حسنات كتير وأقدر اشتري أكتر من خروف علشان أطعم ألوف.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

ماما زوزو

(١٣)

«عن التفاؤل والأمل هحكيلكم حكاية عصفور أمل»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

عصفـور واثق في قدراته، وعـارف ازاي يحافظ على حياته، وبنظـرة أمل اتعلمت منـه أمل تكون في الحيـاة عندها أمل، يا ترى ايه هي حكاية عصفور أمل؟! تعالوا نشوف.

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام.

كان فيـه زمان زمان عصفور جميل كل يوم يرفرف ويطير، وعلى غصن شـجرة كبيرة عند شباك أمل البنوتة الجميلة يقف يصوصو ويغني، وأمل بنوتة جميلة وذكية، لكن مترددة وهايبة الحياة رغم إن في إيديها طوق النجاة.

كل يـوم الصبح تصحـى أمل على صوت العصفـور الجميل، وتتفـرج عليه وهـو بيرفرف بجناحاته، وتسـتغرب هـو ازاي مش خايف يقع من على غصن الشـجرة الكبيـرة؟ وفي يوم من الأيام وأمـل واقفة تتفرج علـى العصفور لقت الغصن بيهتز بقوة وعنف، صرخت أمل، وحست إن العصفور هيقع من على الشجرة.

لكـن فجأة؛ لقـت العصفور مـش خايف، ولطريقـه عارف،

وبسـرعة اعتمد على جناحاته، وقدر يحافظ على حياته، رفرف وطار فوق في السـماء، وماوقعش من على الشـجرة، زي أمل ما كانـت فاكرة، قعدت أمـل تفكر كتيـر ازاي العصفور رغم كل الخطـر ده مـش خايـف يقـع؟ وازاي طار بثقـة ورفرف لفوق لفوق في السماء؟، وبعد تركيز طويل وجدت السر الخطير.

السـر فقـط في إنـك تثق في قدراتـك، وإنك هتقـدر بالإرادة تحافـظ علـى حياتـك، ومن اليـوم ده اتعلمت أمل إنهـا ماتهابش الحياة علشـان عرفت إن في إيديها طوق النجاة، والطوق هو إنها تثق في قدراتها علشـان تقـدر تحافظ على حياتهـا زي العصفور الجميل اللي وثق في جناحاته، وعرف يحافظ على حياته.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(١٤)

«زهرة ندى»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي ـ عليه الصلاة والسلام.

في عصر قريب مش بعيد، وقلب وفي أكيد كان فيه بنوتة جميلة اسمها ندى وكمان كان فيه صديقتها ماما زوزو، وفي حديقة البلد كان فيه زهور مالهاش عدد، لها أشكال وألوان كتيرة قربت ماما زوزو شوية تختار زهرة جميلة ندية تقدمها لصديقتها الجميلة ندى هدية، وفجأة ! من غير تفكير الزهرة وقعت من إيدين ماما زوزو في المياه.. وماما زوزو كانت زعلانة وعيونها طايرة وراء الزهرة الغرقانة، وتقولها: يا زهرة يا ندية، اوعى تغرقي في المياه أنا كنت هقدمك هدية، لأجمل وأغلى صديقة وفية، استني يا زهرة ما تغرقيش، اخترتك بيضاء وصافية، لأجل عيون صديقتي الجميلة الدافية، وبسرعة ظهر الأستاذ الجميل الكريم أشرف، ومد إيديه في المياه، وخطف الزهرة الندية اللي هتقدمها ماما زوزو لصديقتها الجميلة ندى هدية، وقالها: وردتك الندية يا ماما زوزو، أنقذتها من المياه علشان خاطر ندى الوفية، ماما زوزو فرحت جدًا لإنقاذ الزهرة

الندية ، وشـكرت أسـتاذ أشـرف إنه قدر يحافظ علـى الهدية ، علشان خاطر الجميلة ندى الوفية. وفعلًا ماما زوزو أخدت الزهرة الندية ، وقدمتها لصديقتها الجميلة ندى هدية ، وفرحوا الأصدقاء كلهـم وكانت ضحكتهم مدوية ، وقرروا يوجهوا رسـالة لكل النـاس.. «إن التعاون بين الأصدقاء بيسـبب سـعادة جماعية ، زي سعادة ندى الجميلة بهديتها الزهرة الندية (زهرة ندى)»

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

❖ ❖ ❖

(١٥)

«قلب حبيبة»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

تعالوا أحكيلكم حكاية قلب حبيبة من القلب قريبة، وعن العين كانت بعيدة، لكن كفاية إنها أجمل قلب، مش كفاية عليه كلمة حب تتقال لأي حد زي كل البني آدمين، يا ترى ماما زوزو بتتكلم عن مين؟؟ تعالوا نشوف..

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام، كان فيه بنوتة جميلة من عيلة كبيرة قلبها بالخير والحب والحنان مليان، واسمها حنان.

في يوم من الأيام حنان كانت ماشية في الوديان تايهة بتدور على صديقتها الجميلة، وفي وسط الزحام قابلت سميرة بعيونها الدافية وضحكتها الصافية، قالتلها: أنتِ هنا يا سميرة أنا بقالي يومين في حيرة وبدور على صديقتي الجميلة.

سألتها: بتدوري على مين يا حنان؟!

قالتلها: من فترة قابلت بنوتة جميلة اسمها زوزو حبيتها من كلامها وحكاياتها، وفجأة عني غابت، ومش عارفة ألاقيها نزلت أدور عليها، وبقالي على الحال ده فترة، وكل يوم أقول

يمكن ألاقيها بكرة، وفعلًا تعبت من كتر ما عليها بدور، وقلبي عليها مشغول ومتحير.

لكن سميرة قالتلها أنتِ جميلة قوي يا حنان، واسم على مُسمى، وقلبك مليان حب وحنان، سألتي عليها عند الجزيرة الخضراء؟!

أكيد الخضرة والمياه هما سر حكاياتها الجميلة، وأكيد هتكون هناك وسط الخضرة والمياه تحكيلهم حكاياتها، وتكتب مقالاتها.

وبسرعة راحت حنان عند الجزيرة، لقتها قاعدة تحكي حكايات وروايات للمياه، قالتلها: أنتِ فين يا ماما زوزو؟! بدور عليكِ بقالى يومين، وحشتيني ووحشني كلامك وحكاياتك.

وفجأة قامت ماما زوزو والسعادة مالية عنيها، وأخدت حنان بين إيديها، وقالتلها: أنتِ كمان وحشتيني، ورغم إني عرفتك من فترة قريبة إلا إنك أصبحتِ بالنسبة لي، وبالنسبة للدنيا كلها قلب حبيبة، قلب ما يعرفش غير الحب بمعناه الحقيقي.

ورجعت الصديقتان لبعضهما والضحكة والفرحة مالية قلبهما، مالية قلوب عمرها ما كانت عن الحب بعيدة.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(١٦)

«موعد مع السعادة»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

أجمل ما في الحياة أن تتقاسمها مع إنسان يعرف معنى وجودك، يعرف صدق شعورك، يشفي لك جروحك، ويخلص لك في غيابك، ويبحث عنك حتى في وجودك.

كان يا ما كان يا سعد إكرام ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي. عليه الصلاة والسلام.

كان فيه بنوتة جميلة، ومن عيلة كبيرة عيونها زي البحر دافية، ونظرتها للحياة بريئة وصافية، وكانت بتحلم ببساط حرير ياخدها من وسط الزحام ويطير، ولفارس أحلامها تقابل، ويكون على بعدها مش قادر.

وفي يوم من الأيام قابلت فارس همام، كان ماشي وسط المياه، بيغني أغنية، وبيدور على حبيبته وهو تايه وسط الحيتان.

وفجأة شاله الموج وحطه، وكان هيحطم سفينته، لكن سمع صوت من بعيد، وكأنه إرادة من حديد، بيقوله: قاوم علشاني اوعى تغرق يا مسكين، في ناس هنا على الشط لو شالك الموج وحط لازم تقاوم علشانهم.

وفجأة فاق الأمير الجميل سـمير وقاوم، وقدر يعافر، ويخرج مـن الميـاه لحد ما وصل للشـط، لقـي الأميرة الجميلـة «فرحة» بعيونهـا الصافيـة، بتقوله: ربنا نجاك علشـاني، أنت مين يا أيها الأمير الجميل؟!

قالهـا: أنا اللي كنت بدور عليكِ من سـنين، خطفتي قلبي يا أميرة وأنقذتيني من محنتي الخطيرة.

وبسـرعة وصل حراسـه، ومعاهم أهله وناسه، وفرحوا فرحة كبيرة لنجاة أميرهم، وفرحوا أكثر إنه وجد أميرته، وبسـرعة علـى قصـر أبوها راحـوا خطبوهـا، وأقامـوا الأفـراح، والليالي الملاح.

وعاش الأمير سمير مع أميرته الجميلة «فرحة» في تبات ونبات وخلفوا أمراء وأميرات.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(١٧)

«مقبرة الأحياء»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

مازالت تؤلمني نظرات عيونها الباكية من شدة الألم الذي تتعرض له في كل حين، أشفقت عليها وأخذتها بين أحضاني ألملم نفسها المتألمة بين ضلوعي الحانية متسائلة: عن سر كل تلك الآلام التي تستشعرها بين طيات روحها البريئة رغم مرور أعوام وأعوام على صراعاتها مع نفسها المتألمة؟ حاولت أن أبث في روحها الأمل من جديد حتى تدنو من الحياة شيئا فشيئًا دنو الطفل البرئ في عالم لا يعرف الرحمة.

كاد قلبي يتوقف عندما شعرت بهمهمات نفسها المتألمة، وكلماتها المدبوحة التي أدمت قلبي وروحي، ولا أدري ماذا أفعل كي أخفف عنها ما تشعر به؟ فخرجت من أحضاني ناظرة إلى عيناي قائلة: أن الدنيا بحر هائج، تعلمت منه كيف تخاف ولم تتعلم كيف تحب؟

أرهقتني ولكني استجمعت كل قواي أن أحدثها عن ما يجلبه الخوف من آثار سلبية، فمن يخاف صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر.

تراودني الآن حكاية رجل مسن قضى من عمره ٣٧ عامًا في

سـرداب أسـفل منزله خائفًا من أن يحكم عليه بالإعدام، وذلك لقتله ثلاثة لصوص قاموا بالهجوم على مسـكنه لسرقته وقتله، ورغـم أنـه هو من انقض عليهم بسـلاحه وقتلهـم مدافعًا عن بيته ونفسـه، إلا أن تحريـات المباحـث أثبتت وجود خلافـات قديمة بينهم، ووجهت له تهمة اسـتدراجهم إلى منزله، والقتل العمد مع سـبق الإصرار والترصد وعقوبتها الإعدام شـنقًا، فقرر الهروب خوفًا من السجن والإعدام وأمضى من عمره ٣٧ عاما في سرداب مظلـم أسـفل منزله حتـى لا تعثر عليه المباحـث، ولكن عندما أصيـب بالربو وخرج للعلاج واكتشـفوا مخبـأه، تفاجأ بأن أحد الشـهود أثبت تحالـف اللصوص على سـرقة منزلـه، وبالتالي لم يحكم عليه بالإعدام.

يالا للعجب ! لقد سـجن نفسـه بنفسـه، وحكم عليها بالفقر والقهر والمرض خوفًا، ولو كان تمهل وانتظر واستجمع شجاعته وواجه مصيره، ما كان حدث له كل ذلك.

فأخذت أربت على قلبها المسـكين موضحة أن الخوف يقتل صاحبـه قهرًا وحزنًا، ولابد وأن تتجاوز محنتها وتخرج إلى الدنيا الواسعة ولن ينالها إلا ما قسمه الله لها.

ماما زوزو

(١٨)

«طاقة نور»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

انطلقت ضحكاتها وابتساماتها بشكل مختلف هذه المرة، وكأن قلبها قد لامسته طاقة من النور أضاءت تلك المنطقة المظلمة بداخلها.

داعبتها محاولة أن أعرف سر تلك الطاقة الجديدة في وجهها الملائكي المشرق، متسائلة عن سر تلك الابتسامة الساحرة التي أضاءت ثغرها وروحها؟ فبدأ قلبها ينبض لأول مرة لمن استحق أن يمتلك ضحكاتها وابتساماتها التي طالما غابت عنها منذ زمن بعيد، فأجابتني: أشعر شعورًا لم استشعره من قبل، شعور بالنصر على آلامي وأوجاعي المتراكمة منذ سنوات طوال، فلطالما بكيت حتى اعتصر الألم صدري، وقتل الحزن بداخلي كل جميل، واستشعرت مشاعري محطمة وكأنها أشلاء، قتلني صمتي طوال تلك السنوات العضال، وأفنيت عمري هباءً، أعيش لكل من حولي، ظنًا مني أن حياتي أصبحت في عداد الأموات، قتلني صمتي وضعفي وقلة حيلتي، فتوهمت الحياة وقفت هناك ولن تتحرك أبدا، حتى أضاءت تلك الثغرة في وجهي، وكأنها رسالة تحدثني بأن العمر مازال أمامي، والدنيا

تمـد يدهـا لي لتحدثني أن قلبي ما زال على قيد الحياة، من حقه أن ينبض ويشعر ويعيش مثله مثل كل البشر.

فهـا هي طاقة النور تحرك مشـاعري لينبـض قلبي لأول مرة، ذلك القلب الذي لا يعرف من الدنيا سوى الخوف والمرارة والألم، جـاء اليـوم في ثوب جديد ليحدثني أنه عـرف الحب لأول مرة في حياتـه، وأخيـرًا وجد ضالته في قلب من أشـعره بالحب والرعاية والحنـان والأمـان، فابتسـمت عيونـي لبسـمة عيونهـا الحانية، ودعوت لها بالخير والحب والأمان في ظل من استشعر قلبها بحبه.

ماما زوزو

(١٩)

«الحقيقة العارية»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

بعد أن تحولت آمالها وأحلامها إلى سيمفونية، وجاءت تتراقص على إثرها على ضوء القمر، فبينما هي تتراقص وتتراقص، وجدت قلبها يطير إلى أعالي السماء، ويتربع على عرش القمر، ولكن سرعان ما أخذت تتحدث إليه عن ما يجول بخاطرها، وعن ما شعرت به ومر بطيفها وكأنه حلم، استيقظت منه على الحقيقة العارية.

فتعجبت لما رأيت من الدموع بعينيها البريئة متسائلة في حيرة بالغة: ماذا حدث لقلب كاد يطير فرحًا؟! وحلم كاد يفيض عشقًا؟! فأجابتني:

لم أكن أعرف أن للدنيا بحر هائج كثير الأمواج، تلك التي لا تميز بين الخبيث والطيب، لتتلاطم بي أمواجه، وتدفع بي إلى أعالي السماء، حتى ظننت أن النجوم والقمر والدنيا كلها بين يداي، ولكن..

صدمتني الحقيقة العارية! أن الموج بعد ارتفاعه انهال وقذف بي إلى الأعماق، وظلت الأمواج تتلاقفني حتى استيقظت على شط أحلامي الواهية.

فلا القمر كان عرشًا ، ولا النجوم كانت متلألئة ، ولا للبحر أمان ، ولا أستطيع الحياة في هذه الدنيا ، ولا أستطيع التعامل مع من يعيشون في هذا الزمان.

صدمتني كلماتها المدبوحة ، وعيونها الباكية فأخذتها بين أحضاني ، أربت على قلبها المسكين المتألم الذي لم يمر على سعادته لحظات إلا وفاجأتها الحياة بقتل حلمها ، وضياع أملها في مواصلة الحياة.

وحاولت أن أنبهها أن بعد العسر يسرًا ، وبعد الضيق فرجًا ، ولكن لا محالة.

قررت أن تسلم أمرها إلى صاحب الأمر ، داعية المولى. عز وجل . أن يرحمها فيما تبقى لها من العمر.

واستسلمت لليأس والاكتئاب الذي سيطر عليها من جديد ، لتعود إلى قوقعتها ومخبأها وكهفها المظلم من جديد.

لم أمتلك من القوة الكثير ، فقد كنت مصدومة لصدمتها ، متألمة لضياع فرحتها ، ولا أعرف كيف سأبدأ معها رحلة الشفاء من جديد؟!.

فأخذت أربت على صدرها المتألم أن تغمض عينيها لتستعيد أنفاسها المتلاحقة من جديد ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

فما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(٢٠)

«العصيان»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

في زحام الطريق، وفي تلك الساعة حيث الشمس ساطعة، وعيناي مجهدتان من شدة التعب، صادفتها تلك الصديقة التي لم أقابلها منذ سنوات بعيدة، ورغم علامات الزمن إلا أنني عرفتها فابتسمت لها، وأخذتها بين أحضاني مشتاقة لرؤياها، فإذا بها تبكي وكأنها لم تبك من قبل وظننت في داخلي أن بكاءها اشتياقًا لي؛ ولكنه كان بمثابة صرخة أرادت أن تصرخها فقط.

وسمعت دقات قلبها تئن وجعًا، وكأنها معلنة العصيان، تصرخ قائلة:

قلبي أعلن العصيان؛ أفصح عن كل رفضه، واستنكر كل قراراتي، هدد بتوقف نبضه، واحتجز اليوم حياتي، ساومني كي أسحب كل إهاناتي، قلبي أصبح ثائرًا، جاءك يوم صاغر، يأبى، يأبى أن يبقى مسجونًا بين يديك؛ يأبى أن يذرف دمعًا أسفل قدميك، واليوم اليوم أقولها لك بيدي لا بيديك: سأمزق قلبي !!

فقاطعت أفكاري بكلماتها التي هزت مسامعي، ولكنها ليست كالكلمات، فاستطردت حديثها معي قائلة:

إحنا مش محتاجين حد يحبّنا.، إحنا بقينا محتاجين اللي يحس

بينـا ، اللي يفهمنا فعلًا زي ما إحنـا ، بقينا محتاجين اللي يصدق ضعفنـا وقلقنا وخوفنا من الأيام، اللي قادر يحتوينا برغم العيوب اللـي جوّانـا ، يلتمس لشـعورنا ألـف عذر ، خـلاص بطّلنا نصدق حـد يقولنا كلام حُـب! كِرهنا أي انفعال كداب ، رافضين أي شـهد وحلاوة لسـان ، إحنا محتاجين فعلًا «إنسان» بمعنى كلمة «إنسـان» تكون الرحمة أسـلوبه ، والاحتواء منهجه ، والإحساس جيناته الوراثية ، كم الرُعب اللي بقى موجود في النفس البشرية أجبرنـا نتغاضى كتير عن أي تجربة حُـب معدومة المصداقية ، معدومـة الأفعال ، صدق اللي قال «شـبعنا كلام لحد ما ارتوينا» ما بقاش من الصعب فعلًا تلاقي اللي يحبك؛ لكن بقى الأصعب تلاقـي اللـي يحسّ بيك ، يخـاف عليك بجد ، ويعمـل لزعلك ألف حسـاب ، اللي يثبت لك فعلًا إنك كل همّهُ ، وشـأنك هو شـأنه ، ودقيقـة غياب منك تسـاوي عمـر بحاله. أنت مش محتاج نُسـخة منّك في الطِيبة ولا في الحُب ، أنت محتاج الرّوح اللي تجمّل الدنيا في عينيك ، الرّوح اللي تشـدّك للسـعادة ، أنت محتاج الروح اللي تحـسّ بـأدق تفاصيـل تعبك في عـز ضحكتك العاليـة و مرحك الكداب وتظاهرك باللاّمُبالاة.

فـكان الصمـت حليفي ، ولـم أتفوه بأي كلمـة رغم كل ما دار بداخلي من تسـاؤلات عما حـدث؛ ولكن اكتفيت بأن أربت على قلبها المسـكين قائلة : أن اللّه قادر يبدل ما بين طرفة عين وانتباهتها من حال إلى حال.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(٢١)

«المواصفات القياسية للزوج الصالح»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

اتجـوزي حد يبقـى المعنى الكامـل «للمـودة والرحمة» يعني واحد مسئول يفهم قيمة الجواز والأسرة والبيت والأولاد، وتحسي نفسـك مسئولة منه، يبقى ضهرك وسندك وراجلك وابنك وأبوكِ وصاحبـك، ويفرح بنجاحك ويسـندك عشـان تبقي أحسـن، لما يزعلك يعرف ازاي يصالحك مايفضلش ساكت، يسمعك كتير مايملـش منك، يسـتحمل جنانك وغيرتـك وتقلباتك، يحكيلك كل التفاصيل اللي في يومه، ولو غلط يجي يعترفلك على نفسه بنفسه، يفاجئك كتير حتى لو بأبسط حاجة. وردة. مثلًا، يتقي اللـي فيكِ مايوجعكيش، ولا يهينك أبـدًا، يفهمك جدًا من جوه من غير ماتبذلي مجهود في ده، ماتهونيش عليه، وقلبه مايقدرش يتغابي عليكِ يخاف عليكِ، يغليكِ عند كل الناس ويكبرك في نظرهـم، يقولك كلام حلو ويعاملك حلو ويشـوفك دايمًا حلوة، تبقـي غاليـة عنده لدرجة إنك تبقي محـور دعواته في كل صلاة وأخيرًا؛ اتجوزي حد يعرف يبقى الركن الحلو في حياتك.

ماما زوزو

(٢٢)

«الملكة المتوجة»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

أنا الملكة اللي قررت تفضل ملكة متوجة في بيت أبيها؛ أكرم مليون مرة من أنها تسيب ودانها لكلام الناس ولجملة . مش هنفرح بيكِ بقى. أنا الملكة اللي قررت تكون ناجحة في حياتها العملية، وقفلت ودانها عن الجملة المشهورة «ضل راجل ولا ضل حيطة» واتسندت على ربنا . سبحانه وتعالى . وعلى مركزها ونجاحها وتفوقها، وقررت تلغي الجملة دى من قاموس حياتها.

أنا الملكة اللي قررت تطلق اسم ماما قبل اسمها ؛ علشان تقول لكل البنات خلّي بالك، واوعى ترمي نفسك وجمالك وشبابك ونجاحك في أي جوازة والسلام؛ لمجرد إنك عاوزة تسمعي كلمة ماما، مع إن في أطفال كتير مالية دور رعاية الأيتام تقدري تروحي تجري وتلعبي معاهم ويناديكِ ماما بمنتهى البساطة.

أنا الملكة اللي هتفضل معتزة بعرشها وبمملكتها في زمن غاب فيه الملوك والأمراء؛ اللي بقينا نسمع عنهم في الحكايات والروايات بتاعة زمان وبس، وكل يوم نفتح عنينا على حالات

طلاق لأزواج مازالوا في بداية حياتهم، وتبدأ سلسلة من المشكلات التي لا نهاية لها إلا خلف أسوار المحاكم لغياب الضمير، وانعدام الأخلاق، وأطفال أبرياء يدفعون أثمان لذنوب لم يرتكبوها، فيخرجون للحياة معقدين نفسيا غير أسوياء.

وأنتِ أيضًا عزيزتي،

تربعي على عرش مملكتك في بيت أهلك، واستمتعي بهدوءك وسلامك النفسي.

فلا تسلمي قلبك إلا لمن يعرف قدرك، ويحافظ على عرشك، وتكوني في بيته ملكة متوجة مثل ما كنتِ قبل أن تعرفيه، وأخيرًا وليس آخرًا إحذري من عثرات الطريق!

ماما زوزو

(٢٣)

«عيون الصقر»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

مازلت أبحث في عالمها الخاص عن تلك الروح الملائكية التي لا أعلم كيف اصطفاها الله. سبحانه وتعالى. بها دون البشر أجمعين؟.

هل هي ملاك وليست بشر؟!

أم أنها تملك قلبًا ناصع البياض لا يحمل غلًا ولا حقدًا لأحد؟!

فاقتربت منها أتفحص عالمها بعيون صقر جاحظة، متأملة لكل تفصيلة في حياتها بمنتهى الدقة.

فوجدتها أقرب إلى الطفل في براءته، أقرب إلى الطير في خفته، أقرب إلى الأم في حنانها وحبها ورعايتها لمن حولها.

لا أنكر أنني لم أتعجب كثيرًا عندما علمت ذلك، فكثيرًا ما كنت أفتش في دنياها لأتعلم منها كيف أعيش في دنيا البشر؟! ففاجأتني بابتسامتها الرقيقة تلومني متسائلة: لم لا تكفين عن البحث في عالمي الخاص؟

فنظرت إليها متعجبة! وكيف عرفتي ذلك؟!

فأجابتني: ألم تكوني أنتِ نفسي؛ إن كنت ساحرة جميلة

فذلـك يكمـن فيكِ أنتِ، وإن كنت مثـل الملائكة فذلك لأني تعلمت ذلك منكِ أنتِ، فكانت عيون الصقر الفاحصة أمتلكها أنا لأتعلم منكِ.

فهلا تمهلتِ قليلًا كي أعرف أنا الكثير عنكِ؟

أبهرنـي ذكائها الخـارق المنقطع النظير؛ فلـم أتفوه بكلمة واحدة ولكن سمحت لعيونها الساحرة أن تتمهل قليلًا في البحث عني.

ففاجأتنـي بقولها: أننا هكذا نشـبه بعضنا في كل شـيء، فقط لأننا توأم في كل شيء.

حقًا لا نملك نفس الملامح؛ ولكن:

نملك نفـس الطيبة، والبـراءة، والهدوء، والسـكينة، وحب الخير للغير كما نحبه لأنفسنا.

هكـذا علقـت وأوضحت، وهكـذا أيقنت وأيقنـت أننا حقًا توأم في كل شيء.

فودعتها بابتسامة، وتركتها تكمل مسيرتها قائلة لها:

أمنياتي لكِ مزيد من الرقي والتقدم توأمتي الجميلة.

وإلى اللقاء في مزيد من الإبداع والذكاء.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(٢٤)

«حياة غروب»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

بابتسامة رضى استقبلت الساحرة الجميلة مرارة غروب شمس حياتها بكل ما فيها، بحلوها ومرها راضية بما قدره الله لها.

كانت تبدو أمام ناظريها قوية القلب، مبتسمة الوجه، لا يعلم أحد عنها شيئًا، وعن معاناتها المريرة طوال سنوات عضال.

لطالما أرهقتني، وأرهقت مسامعي بعبارات ظننتها تحاول التخلص من معاناتها النفسية، ولكنها كانت تخبئ عني وعن كل المحيطين معاناتها الحقيقية، تلك التي ظننتها آلام عادية ترهق نفسها الرقيقة الحانية.

لم أكن أعلم أنها تخبئ وراء ابتسامتها الساحرة قلبًا مكسورًا جريحًا؛ متألمًا ألمًا لا يتحمله سوى أقوياء الإيمان والبنيان، ظل قلبها البرئ يتابع مرارة سنواته الماضية، وعمره الذي ضاع هباء يتأمل لحظات كانت له ولم تكن لغيره، إلا أن القدر لم يمهله الحق في أن يمتلك قلبًا تركه في زحام الطريق.

لأول مرة في حياتي أتوقف عاجزة عن فعل شيء يخفف عنها معاناتها المريرة، لأول مرة أشاهد قلبًا يتحمل كل هذا الألم صامدًا متجلدًا صامتًا.

لأول مرة يقتلني صمتي كلما تأملت صمتها عن وجع السنين

ومرارة الأيام.

لأول مرة اكتشف أن في الحياة قلوبًا متألمة مكسورة حزينة؛ لدرجة أن تجعل من الإنسان أن يحيا حياة بلا حياة، جسدًا بلا روح، ينتظر النهاية وكأنه ينتظر قدوم الربيع، لا يخاف ولا يحزن ولا يعد هناك متسعًا من العمر ليحزن من جديد.

ولكني أرى أن لكل غضة نهاية، وكل مر سيمر، فمهما طال الليل لابد من طلوع الفجر، ومهما طال العمر لابد من نزول القبر، وتلك الرقيقة المتهالكة النفس والروح، لازال هناك شعاع من النور الإلهي الخالص يشق سماء الليل ببزوغ الفجر، يشق الظلام ليحل مكانه النور والأمل.

فيا أيتها النفس المتألمة المجروحة انهضي من جديد، تأملي غروب شمسك بنفس راضية، ولكن استقبلي شروق فجر عمرك في يوم جديد، ودعي آلامك وأحزانك، واستنشقي عبيرعمرك القادم مع من يستحق وجودك بحياته، فكل مر حتمًا سيمر، ولن تتوقف الحياة على أحد مهما كان حجمه، وثقي في الله أنه سيبعث لكِ قلبًا نقيًا تقيًا بريئًا، يستحق نقاء قلبك البرئ الجميل، ولو صيرت لنا كتابة أقدارنا، ما كتبناها لا أخير ولا أجمل مما كتبها لنا المولى. عز وجل. في اللوح المحفوظ، وهو الحق القائل " ولسوف يعطيك ربك فترضى " لم يقل لتسعد لأن السعادة شعور مؤقت زائل ولكنه. سبحانه، سيعطيك حتى ترضى.

هذا وعد الله، ووعد الله حق، أبشري بقدوم الخير والفرح بإذن الله.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(٢٥)

«آمال وأحزان»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

وكأنني على موعد مع القدر؛ اختنقت الكلمات بصدري عندما نظرت إليها لأجدها ركامًا بلا حراك! استوقفني قلبي برهة من الزمن وحدثني: لقد فارقت الحياة، ولكن أنفاسها المتلاحقة اسعفتني في التو واللحظة وأفاقتني من هول الصدمة لتعلن أنها مازالت تتنفس. مازالت على قيد الحياة، اقتربت منها شيئًا فشيئًا أفحص روحها المنهارة، فأخذتها بين أحضاني أسقيها من حنان قلبي المتلهف شوقًا لشفائها مما ألمَّ بها من جراح، نظرت إليَّ نظرة الوداع المرير، وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولكني لم أتوقف عن الحديث على يقين أن أنتشلها من واقع مؤلم مرير إلى عالمي الخاص، ذلك العالم المليء بالنور والتفاؤل والأمل بغد مشرق جديد، واقترحت عليها أن تتشارك أحزانها مع من أصيبوا بحالات مماثلة في كم الحزن والألم، فهدأت وتوقفت عن البكاء.

فاستطردت أحكي لها أن الحياة مليئة بالصعاب والآلام ويوجد بها الكثير من المعذبين، ورغم اختلاف مصدر الألم، إلا أن الصراع النفسي يتشابه كثيرًا، وبدأت أقص على

مسـامعها بعض المعاناة التي يعاني منها الكثير من الناس، وأن خارج غرفتها يوجد الكثير من الجروح لكثير من المجروحين، فهنيئًـا لمن يفوض أمره إلـى الله كما ذكرها المولى. عز وجل. فى سورة غافر ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ صدق الله العظيم.

فانتفضـت ونهضت وكفكفت دموعها، وقررت الخروج إلى العالم الخارجي لتشـاهد أناس آخرون وتسـتمع منهم لحكايات معاناتهم وجروحهم وآلامهم، تلك التي قد تكون أشـد قسوة من معاناتها، فيصغر حجم ألمها لعظم حجم ألم الكثيرين.

❖ ❖ ❖

(٢٦)

«الحوار الصامت»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

توجهت إلى غرفته في الصباح أطرق الباب حتى أذن لي بالدخول، وفتح إياه في صمت، ثم تركني متوجهًا إلى ألبوم الصور الذي كان يقلب في صفحاته، فاقتربت منه متسائلة: ماذا تفعل؟؟

فنظر إليَّ بعيون باكية دون أن يتفوه بكلمة واحدة، فأخذت أربت على كتفه، وصاحبته بابتسامة هادئة مرحبة بفكرة الحوار الهادئ الصامت، وجلست بجواره أتامل معه صفحات الماضي، ولحظات الأمل الذي تحول إلى مرارة وألم، حيث توقف عند ذات الصورة التي كان يرتدي فيها حلة العرس، ويتراقص ضاحكًا باسمًا بعيون يملؤها الأمل في غد مشرق مع من اختارها من بين الألوف.

بدأت تنهمر الدموع من عينيه، فأخذت الصور من بين يديه، وحدثته عن الرزق والنصيب، فنهرني في صرخة مدوية؛ قائلًا: لا أريد أحدًا يحدثني عن النصيب، كانت كل حياتي وأملي في الحياة، كانت سمعي وبصري وقلبي وعقلي، ضيعتها من بين يداي في لحظة غضب؛ فعاقبتني بالبعد عني، ولم تفلح كل

توسلاتي لها في أن تعود لي مرة أخرى، فأخذها العند ووافقت على الارتباط بأول مخلوق تقدم للارتباط بها، تزوجت وتركتني أعض على أناملي ندمًا وحسرة، ليتني فارقت الحياة قبل أن تفارقني! وانهار باكيًا.

تركته يبكي، ويتخلص مما يدور بداخله من مشاعر سلبية، وذكرته بقول المولى. عز وجل. في سورة البقرة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ صدق الله العظيم، ونصحته أن يعيش من أجل نفسه مديرًا ظهره لكل من لا يستحقه، فلا غياب إلا غياب راحته، ولا فقدٌ إلا فقد ذاته، فهدأ قليلًا ثم استلقى في سبات عميق، لعله وجد ضالته في النوم بعيدًا عن ما يشعر به من آلام وأحزان، لعله يفيق من صدمته على أمل جديد لغد مشرق بالنور والحياة.

❖ ❖ ❖

(٢٧)

«أنين روح»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

خارت قواه ولم يتحمل ذلك الفراق الدامي، أشفقت عليه محاولة أن أُهدئ من روعه، فسقط مغشيًا عليه من هول الصدمة، فاستجمعت قواي لإفاقته حتى استعاد الوعي ناظرًا إلى السماء بعيون باكية دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

لم يكن يعلم أنه سيتألم كل هذا الألم بفراقها، تلك التي وهبها آماله وأحلامه، تلك التي كانت بمثابة الحياة بالنسبة له، تلك التي كانت تمثل له النفس الذي يتنفسه، ولا يستطيع الحياة بدونها، تلك التي تمنى أن ينسج معها عش أحلامه الذهبي مكونًا أسرة راقية الفكر، تلك التي ضاعت منه في زحام الطريق، ولو كان يعلم ما يخبئه له القدر من كل تلك آلالام والمعاناة ما أقدم على الرحيل للحظة واحدة، ليسمع أنين قلبه وروحه الممزقة ونفسه المعذبة وأنفاسه المتلاحقة وشعوره بالموت البطيء.

كادت عيوني تفيض دمعًا، ونفسي تتمزق ألمًا عندما علمت بما حدث له، حاولت جاهدة أن ألملم ما تبقى من روحه الحزينة، ونفسه المشتتة، إلا أنني لم أستطع، أمهلته دقائق تلو الأخرى

وساعات تتبعها ساعات حتى هدأت أنفاسه المتلاحقة، وطلبت منه الراحة والنوم في سبات عميق لعله يستيقظ على بصيص من النور والأمل، فتعود له نفسه المعذبة، وروحه المهزومة، وإرادته القوية، إنها فقط لحظات حتى يستشعر الراحة والأمان، ويعود لتفيض نفسه بما تستشعره، واستخراج المشاعر السلبية والإلقاء بها، لمحاولة أن يستنير قلبه من جديد.

إن أشد أنواع الألم عندما تستشعر اِختناق روحك وموت قلبك ومشاعرك، وأنت لازلت تتنفس، أي لازلت على قيد الحياة.

ولكن رغم مرارة الألم وقسوة الموقف إلا أن الأمل في اللّه لا زال موجود بلا حدود، فهنيئًا لمن رضيَ بقضاؤه صابرًا صامدًا، حيث قال. سبحانه وتعالى. في سورة الزمر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ هذا وعد اللّه؛ ووعد اللّه حق.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(٢٨)

«عيون القلب»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

مازالت الساحرة الجميلة تبحث عن شط لمركب عمرها الذي تاه في بحر الحياة، الذي لا يرحم قلبها المسكين البريء الضعيف، الذي لم يعد يتحمل المزيد من الصراعات والآلام.

مازالت ترسم ابتسامتها الساحرة على وجهها البريء، على الرغم من أن قلبها ما زال يعتصره الألم.

فاقتربت منها محاولة أن أخفف عنها بعض معاناتها، فنهرتني لأول مرة في حياتها معترضة عن البوح مما يجيش بخاطرها.

نهرتني رافضة الحديث معي بمنتهى القسوة، حتى فشلت معها كل محاولاتي في التخفيف عنها ما تعاني منه.

ونظرت إليّ نظرة عتاب مليئة بالكثير من الحزن والأسى، معتذرة عن رفضها الحديث معي، معللة ذلك بأنني أقرب الناس إليها.

فتعجبت من قولها متسائلة: وكيف أكون أقرب الناس إليكِ، وترفضين الحديث معي عما يجيش بصدرك من آلام وأحزان؟

فعللت رفضها بأنها تبحث عن قيمتها في عيون من لا يعرفها حتى لا يوجه لها اللوم والعتاب في كل لحظة.

فنهرتهـا وعنفتها بقسـوة؛ موضحة أن هـذا التفكير خاطئ، لأن الأقربون هم الأحن والأبقى، حتى ولو كان الأسـلوب أعنف وأقسى.

فالأقربـون هـم أكثر النـاس حرصًا على قلوبنا ومشـاعرنا، هـم من إذا وجدوا الطوفـان يهاجمنا سـيكونوا أول المضحيين بحياتهم من أجل إنقاذنا من الضياع.

فبكـت وكأنهـا لـم تبـكِ من قبـل، وارتمـت بيـن أحضاني معتـذرة عما حدث منها، معللة أنها قـد أصابها الألم والحزن من كثرة التحدث معي عن ما يؤلمها.

فقـررت الرحيـل بعيـدًا عنـي، لعلها تجـد ضالتها فـي قلوب الآخرين.

فأخـذت أربـت على قلبهـا المسـكين موضحة لهـا أن مهما كان حجم ألمها لا تجد حضن يتسـع لمعاناتها أفضل من حضن الأقربين.

فهنيئًـا لمن وجد فـي حياته ذلك القريب الرحيـم المتمثل في شـخص. إنسـان. يعـرف معنـى الإنسـانية بـكل ما تشـتمله من معاني، فقد تجد ضالتك في صديق أو قريب ولا يوجد أقرب ولا أحن من الأخ والأخت والصديق وقت الضيق.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

(٢٩)

«الخروج من الجنة»

بقلم: دكتورة «زينب زكي»

انتفضت فجأة من سباتها العميق، تنظر لكل من حولها نظرات عميقة، وكأنها تحدثه قائلة: سأتركك؛ نعم سأتركك ولن أعود من جديد، أخذني فضولي كالعادة محاولة أن أستشف من عيونها البريئة ماذا يحدث في عالمها الخاص، فابتسمت ابتسامة رضا وتحدي في نفس الوقت معلنة الخروج من الجنة!

يالا للعجب ماذا تعني بتلك العبارة؟!! وهل نحن في الجنة حتى تعلن الخروج منها؟! فاستطردت تجيب على تساؤلاتي التي رأتها بعيوني دون أن أتفوه بكلمة واحدة قائلة: لا تتعجبي؛ ففي حياة كل منا أناس كل همهم امتصاص طاقتنا حتى نفاذ صبرنا، لا يلومون أنفسهم أبدًا على تصرفاتهم، ويجلسون منا مجلس المذنبون دائمًا في حقهم، أولئك المتعالون على خلق الله، يرون في أنفسهم ملائكة لا تخطئ، والجميع من حولهم مخطئون، دائمي الشكوى كثيري البعد بدون أسباب مقنعة، وظيفتهم في الحياة امتصاص طاقاتنا وحيويتنا، ويريدون منا الحياة في سلبياتهم، وفرضها علينا، أولئك الذين لا يعرفون التسامح أبدًا،

ولا يعرفون للرحمة طريقًا، يملئون الكون بالشجن والأنين.

فقررت الخروج من جنتهم إلى عالمي الخاص، إلى دنيا المتفائلين المتسامحين الراضين بقضاء الله.

ماما زوزو

❖ ❖ ❖

الاسم: هيام النحال.

المؤهل: ليسانس آداب.

محل الإقامة: طنطا ، محافظة الغربية.

محل الميلاد: كفر سالم النحال، مركز السنطة، محافظة الغربية.

(القصة الأولى)

«أول الرجال»

رجع نبيل من عمله مبكرًا، ودخل مسرعًا يبحث عن زوجته. سميرة. فوجدها جالسة في حجرة المعيشة، وكانت شاردة الذهن لدرجة أنها لم تنتبه له لحظة دخوله، ونظرت إليه باستغراب؛ وعلامات الدهشة ملأت وجهها، و كأنها تريد أن تسأله لماذا عدت مبكرًا اليوم؟ ولكنه بادرها قائلًا: كل عام وأنتِ بخير حبيبتي، وكان هذا اليوم هو يوم ميلادها، لكنها لم تكن تتذكر فابتسمت، وقالت له: لم أكن أتذكرهذا اليوم شكرًا لأنك تذكرت، فقال لها: أبدًا لم أنس، ولن أنسَ، فقامت لكي تجهز طعام الغذاء، فأسرع قائلًا لها: لن تفعلي أي شيء، هذا اليوم يوم راحتك أنا سأجهز طعام الغذاء، فعادت لتجلس مكانها، وانطلق هو ناحية المطبخ، وجلست هي مرة أخرى، وعادت شاردة الذهن من جديد تفكر، أتخبره أم لا؟ فقد كانت منذ أسبوع عند الطبيب بعد ما أصابها من تعب شديد لتطمئن على صحتها، وبعد عمل التحاليل والفحوصات اللازمة أخبرها الطبيب أنها مريضة، وأن هذا المرض فرصة الشفاء منه ضعيفة، وأنها سوف توضع تحت نظام غذائي وعلاجي محدد ومكثف، وكان كل ما يشغلها خلال هذه الفترة هم زوجها وأولادها الثلاثة: محمد وأحمد وسمر، وكانت كلما

نظـرت إليهم أحسـت أن الفـراق قريب جدًا ، وكانـت تحاول أن تشـبع عينيها بالنظر إليهم، وأصبحـت حياتها ما بين التردد على المستشـفى، والراحة فـي حجرتها التي لا تفارقها ، وإحساسـها بقرب الأجل جعلها في حزن دائم، وكانت تحاول أن تضحك أو تبتسـم أمامهم، لكن كان يبدو عليها جدًا مدى الألم النفسـي الـذي وصلـت إليـه ، فكانوا يشـعرون بذلـك وكانـوا يحاولون جاهديـن التخفيـف مـن آلامها بقـدر اسـتطاعتهم، و كان نبيل يحـاول جاهـدًا الاعتناء بهـا ، والقيام على خدمتهـا حتى جاء يوم تدهـورت فيها حالتها إلى أقصى حد ، وتم نقلها إلى المستشـفى لمحاولـة إنقـاذ حياتهـا لكـن دون جـدوى، كان القدر أسـبق إليها وجاء الأجل في لحظة ، وانتهت حياتها وسـط بكاء أبنائها وزوجهـا فقد كان يومًـا عصيبًا وصعبًا جدًا عليهم حتى ودعوها إلى مثواها الأخير، ورجع الأب و أبناءه ليلاقوا معًا مصيرهم بعد فقدانهم لعمود البيت؛ الأم الحنون والزوجة والحبيبة.

مرت عليهم الأيام في غاية القسوة بعد رحيلها ، جلس نبيل مع أبنائه ـ محمد و أحمد وسـمر ـ يهـون عليهم ويبث فيهم روح الأمل والتفاؤل، وأن يسـلموا بأمر الله وضرورة الاِعتماد على أنفسهم، وتسيير أمور حياتهم حتى ترتاح أمهم في قبرها ، وتطمئن روحها عليهـم، وذكرهـم بالدعاء لها دائمًا فهذا العمل هو راحة لها في مثواهـا الأخير، وعزم نبيل الأمر وتـوكل علي الله وأصبح يقوم بدور الأب والأم معًا ، وسـبحان من يسر له ذلك؛ فتعلم كل شيء فـي البيـت، حتـى طهي الطعـام لكي يسـد احتياجـات أولاده، وقررعـدم الزواج مرة أخرى وفاءً لرفيقة دربه ورفقًا بأولاده، فما

كان أبـدًا ليأتـي إليهم بزوجة أب قد تسـيء معاملتهم، أو تحول حياتهم جحيمًا لا يطاق، واسـتعان بالله، وظل قائمًا على خدمة أولاده حتى كبروا، وتزوجت سمر و انتقلت لبيت زوجها و أحس بفراغ كبير بعد زواجها، وأكمل محمد وأحمد دراستهما حتى تخرجـا، وأتمـا الخدمة العسـكرية، وشـق كل منهمـا طريقه فـي الحيـاة، واسـتقل كل منهمـا في عملـه، وتـزوج محمد ثم أحمد واسـتقرا فـي حياتهمـا الخاصة، وأصبـح الأب وحيدًا في بيتـه بعدما انشـغل عنه الأبناء وغادروه واحـدًا تلو الآخر، وكان يذهب لزيارتهم في بعض الأحيان، ليقضي وقتًا ممتعًا مع أحفاده ويطمئن عليهم، لكنها كانت مجرد زيارات ويعود إلى بيته مرة أخرى إلى حيث الوحدة التي اعتاد عليها، والملل والرتابة التي ظل يعاني منها، وفي يوم من الأيام مرض مرضًا شـديدًا ولم يسـتطع أن يقوم على خدمة نفسـه في هذا المرض؛ وإتصل بابنه الأكبر فأتـاه، وأحضر له الطبيب واضطر للمبيـت مع والده لكي يقوم على خدمته، وإعطائه الدواء في موعده حتى يستطيع أن يقوم من فراشه، ولكن الوضع كان شاقًا على أحمد؛ وأصبح مشتتًا بين والده وبين بيته وأسـرته، ولما تحسنت صحة نبيل شيئًا ما؛ أخذه معه أحمد ليقيم معه في بيته حتى تتحسن صحته ويشفى تمامًا، ولكنه للأسـف عانى من سـوء معاملة زوجة ابنه، التي لم ترحم ضعفـه فـي مرضه، ولم تتحمل خدمته وبمجرد أن تماثل للشـفاء واستطاع الوقوف على قدميه عاد إلى بيته إلى حيث الوحدة التي اعتـاد عليها، وإلى حياته القديمة، وعرف قدره جيدًا لدى أولاده وكيف يُعامل ممن أحسـن إليهم وأفنى حياته من أجلهم! وفكر

كثيـرًا كيف يخرج مـن هذه الوحـدة؟ وأخيرًا جاءتـه الفكرة المناسـبة، أن يسـافر إلـي بلدتـه ويسـتقر بها، ويعيـش في بيت والـده حيـث أيام الطفولـة والصبا، ويسـتأنس بجيرانـه وأقاربه فـي البلدة، بدلًا من أن يعيش فـي هذه الوحدة القاتلة، عزم نبيل الأمر، وسـافرإلى البلدة، ورتب حياته للعيش هناك: حيث صفاء الذهـن، والعيـش الهنيء، والهـواء النقـي، والمتعـة الحقيقية، وعـاد إلـى المدينة ليخبر أولاده بما عزم عليه، ولم يجد منهم أية ممانعـة لهـذا القرار بل علـى عكس ما توقع تمامًـا فقد أظهروا موافقتهم وهم في غاية السرور مؤكدين له أنها ستكون فرصة طيبـة لهم لزيارته هناك، ولكـي يسـتمتع الأحفـاد بزيارة القرية والتمتع بجوها الجميل، وعاد نبيل إلى القرية وحاول تدبير أموره بنفسـه، وعمـل علـى توطيد علاقتـه بجيرانـه وأقاربـه، وتبادل الزيارات معهم والسـهرات العائلية ذات الطابـع المميز، وتغيرت حياته شـيئًا فشـيئًا إلى الأفضـل، وأصبح ينتظـر كل يوم طلوع الشـمس ليبدأ معها يومًا جديدًا وحيـاة جديدة مليئة بالمتعة التي حُـرِمَ منهـا على مدى سـنوات مضنية من المشـقة والتعب ما بين عملـه وخدمـة أبنائـه، حتى أكمل رسـالته معهم وانشـغل كل منهم في حياته ومشقة العيش، ونسوا من وهب حياته من أجلهم، وأصبحـت الوسـيلة الوحيـدة للاطمئنـان عليه هـي المكالمات الهاتفيـة، وبعـض الزيارات القليلة خلال العـام، وكان نبيل قد اِعتـاد على ذلك واِنشـغل هو بحياته الجديدة وسـط عائلته وأهل قريتـه، وكون صداقات جديـدة، ومنهم من أشـارعليه بالزواج لكـي يجد من يهتم بشئونه ويشاركه حياته بدلًا من الوحدة التي

يعيشها ، وبالصدفة قابل إحدى قريباته أثناء زيارته لأحد أقاربه ، وعـرف منـه ظروفها ؛ وأن زوجها قد توفي منـذ فترة طويلة وتزوج أبناؤهـا واسـتقروا بعيدًا عنها ، وكانت هـي أيضًا تعيش وحيدة في بيتها ، وتعاني من عدم سـؤال أبنائهـا عليها فكلاهما يعاني الوحـدة ذاتهـا ، ونفـس الظروف تقريبًـا ، فكر نبيل فـي الزواج منهـا ويكملا حياتهما معا ولكنه سـرعان مـا تذكر أن أولاده بالتأكيد سـيعارضون هذه الفكـرة ، ولكنه قرر أن يخبرهم ، وبالفعـل نفـذ ما عزم عليه وسـافر لأولاده ، وطلـب منهم المجيء إليـه ، وعندما أخبرهم قوبلت رغبته هذه بالرفض منهم جميعًا ، ولـم يفكروا فـي راحة والدهـم! وكيف يعيش فـي وحدته؟ ولا يوجـد من يهتم بشـئونه ، وأنه بحاجة لمن يؤنـس وحدته في هذا السـن ويهتم بأموره لكنهم أصروا على رفضهم لوجود من تأخذ مكان أمهم وتستحوذ على أبيهم غادر نبيل عائدًا إلى بلدته وهو حزيـن مـن ردة فعل أبنائـه ، وكيف أنهم لم يقـدروا تضحيته من أجلهـم كل هـذه السـنوات؟! حتى اسـتقروا جميعًا فـي حياتهم وتركـوه يعاني من الوحدة ، حتى أنـه حرم من أحفاده فلم يكن يراهـم تقريبًا إلا في المناسـبات ، إتخذ نبيـل قراره ، وعزم على الزواج من قريبته ثريا ، والتي عارض أبناؤها أيضًا زواجها بالرغم من انشغالهم عنها بحياتهم وأسرهم ، ولم يسألوا عنها إلا قليلًا ، إتخـذ كل مـن نبيل وثريا القـرار الذي في صالحهمـا ؛ ولم يأبها برفـض أبنائهـم أو بـكلام الناس في القرية وتزوجا وعاشـا في بيته في البلدة فترة ثم رجع إلى المدينة ، واستقر بها فترة أخرى فـي بيته الذي رفض أبنـاؤه زيارته فيه مرة أخرى ، فكان هو من

يسأل عليهم ويطمئن على أحفاده وعلى أحوالهم، وعاد مرة أخرى إلى بلدته وكانت حياتهما ما بين البلدة والمدينة، وعاش نبيل مرتاح البال والضمير لأنه أكمل رسالته مع أبناءه؛ ولم يعكر صفو حياتهم حتى اطمأن عليهم جميعًا، وقرر أن يعيش ما تبقى له من حياته هو أيضًا بعد رحلة طويلة من العناء ولم يقصر يومًا في حق أولاده، ولم يفكر في كلام الناس، أو تدخلهم فيما لا يعنيهم، فما هو إلا تثبيط للعزيمة، وتقييد للنفس أولًا وأخيرًا؛ كلام الناس لا يفيد.

❖ ❖ ❖

(القصة الثانية)

«الديوث»

استقلت مديحة القطار متجهة لزيارة أهلها في مدينة أخرى، تبعد عن المدينة التي تعيش فيها بعض الشيء، وفي الطريق توقف القطار في إحدى المحطات، وصعدت سيدة في العقد الرابع من عمرها، وجلست بجانبها وفي الكرسي المقابل كان يجلس رجل كبير السن وزوجته.

نظرت مديحة إلى السيدة التي بدا وجهها شاحبًا، ولكنه لا يخفي ملامح وجهها الجميل، والتي ساعد في ذبولها حتمًا الشقاء والتعب الذي كان واضحًا عليها، وبعد وقت قصير أحسوا أن بها ما يصيبها من ألم لا تقوى عليه، فحاولت السيدة التي تجلس أمامها أن تفتح معها حوار، وسألتها: إلى أين أنتِ ذاهبة؟ فأجابتها بأنها تبحث عن عمل، وقد أخبرتها إحدى جاراتها عن مكان في المدينة يقبل من هم في مثل سنها للعمل في أحد المصانع، ثم أخفت وجهها وانهمرت في البكاء، وأسرعوا جميعا يهدئون من روعها، ويذكرونها بالله. عز وجل. وسألوها عن سبب بكائها: فأسرعت تحكي حكايتها، وكأنها قد وجدت يدًا تحنوعليها، وأذنًا تسمع لها وتفضفض بحمل ثقيل على كتفها الضعيف، وأخذت تحكي وهم يستمعون إليها بإهتمام:

اسمي نورهان تزوجت منذ سنوات عديدة رجلًا كان الجميع يشهد له بالأدب والأخلاق والتدين، ولكن بعد الزواج ومنذ البداية سقط هذا القناع؛ وظهر على حقيقته كل شيء لم أكن أتخيله من التجريح والإهانة والإذلال لدرجة أنه كان يمنعني عن زيارة أهلي أو الإتصال بهم أحيانًا كثيرة، وكان دائم الشجار معي لأتفه الأسباب، كنت لا أتوقع صبري على هذا الوضع، ولكني تحملت لأقصى درجة ممكنة، ورغم ذلك كان دائم الشكوى مني لأهله والمقربين، وكنت دائمًا في وضع الدفاع عن نفسي أمامهم، وكان له زميلة تتقرب مني باستمرار وتزورني ووطدت علاقتها معي حتى أصبحت صديقتي المخلصة الوفية، وأخت لم أجد لها مثيلًا، وكان من الواضح أنه كان يلمح أمام زملائه بالشكوى، فكانت تسألني عن أحوالي، وكنت أتكلم معها وأشكو لها وتساعدني في التخلص من حالتي النفسية السيئة، وتهون علي حالي، وكان بعض المقربين يعلمون بحالي معه، ولم يصدقوا شكواه في حقي، وقد أخبرني البعض منهم أن والده كان يعامل أمه بهذه الطريقة، وكانت تبكي ولا أحد يساعدها حتى ماتت قهرًا.

وفي يوم من الأيام طلبتُ إحدى قريبات زوجي على الهاتف، لأسأل عنها وكانت هي وزوجها مقربين من العائلة، وكانت هناك زيارات متبادلة وعلاقات وطيدة فيما بيننا، وكانت على علم هي وزوجها بظروف حياتي ومشاكلي مع زوجي، طلبتها لكي أطمئن عليها فرد زوجها على الهاتف، وسألته عنها: فأخبرني أنها غيرموجودة بالمنزل، وسرعان ما استطرد في

الـكلام، وقـال لي: أنـه يحب أن يطمئـن على حالـي دائمًا وأنه يهتـم لأمـري، ويريد مني أن أكلمه على هاتفـه الخاص، ويريد أن يقابلني خارج البيت، لم أتمالك نفسي من هول الصدمة، ومن طريقـة كلامـه معـي وقررت ألا أتصـل على البيت مـرة أخرى، وتواصلـت معها علـى هاتفها الخـاص وقررت أن أحـاول الابتعاد عنهم بقدر الإمكان وعدم التعامل معهم، وأبعد كي أغلق باب الشـيطان، ولكن الشـيطان كان لي بالمرصاد؛ أخذت تكمل حديثهـا وهم يسـتمعون لها لم يتركني هذا الشـيطان وشـأني، كان يتخيـل أن عـدم إهتمـام زوجـي بـي وإهماله لـي ولأولادي سـيجعلني فريسـة سهلة ليصطادها، ويتسـلى بها؛ رغم الحرمان من أبسـط الحقوق الآدمية، كنت أتعجب عندما يسمعني بعض الكلمـات أمـام زوجـى وأتجاهـل وأكتفـي بعدم الـرد، وأنظر لزوجي لعله يكترث ويبدي أي اعتراض؛ لكنه الصمت الرهيب الـذي كان يزيدنـي ألمًـا فـي حياتي معـه، وكلما مـرت الأيام ازداد الوضـع سـوءًا، وظـل شـبح هذا الرجـل يطاردنـي وكأنه الشـيطان في صورة إنسـان كنت مضطرة لوجـودي مع العائلة، حيث يجتمعون في المناسبات في بيت والده، أو في بيتي وكنت أتحمـل فوق طاقتي حتى يمر كل شـيء بسـلام، رغم النظرات التي كنت أراها في عين هذا الشـخص عندما يكلمني، والتي كانـت تحمـل كل التهديـد والوعيـد بالطبع؛ لأني لم أسـتجب لما أراد وكنت أنظر لزوجي، وأسـأل نفسـي: هل هو حقًا يمثل الأمان بالنسبة لي؟ وهل يستحق أن يطلق عليه رجلا من يفعل ذلك بزوجته وأم أولاده؟ ولماذا يسكت عن تصرفات هذا الرجل معي

أمامه؟ حقًا فنحن أصبحنا في عالم يسكنه أشباه الرجال؛. إلا من رحم ربي. كنت ألجأ إلى الله. عز وجل. أدعوه وأتضرع إليه أن يكفيني شر هذا الرجل، ويبعده عن طريقي، وفي يوم علمنا أن زوجته مريضة ودخلت المستشفى، وخرجت في اليوم التالي، واضطررت للذهاب مع زوجي ووالده لزيارتها، وكان كل همي وخوفي من هذا الشيطان، وبعد وصولنا بوقت قصير استأذن زوجي للذهاب لمشوار، ثم يعود مرة أخرى، وكان معي أولادي وجلسنا بعض الوقت، وكنت أشعر بالقلق، وبعد وقت قصير جاء هذا الرجل ليطلب مني أن أصنع لهم الشاي، وما كانت إلا حجة لكي يحاول أن يتكلم معي، وبالفعل قمت إلى المطبخ ودخل بعدي بحجة أنه يريد أن يدلني على أماكن الأدوات في المطبخ، وفوجئت به يصر على أن يعطيني رقم هاتفه، ويريدني أن أكلمه ضروري، ويصرعلى أن يقابلني خارج البيت، فما كان أمامي إلا أن ناديت على ابني، فخرج مسرعًا من المطبخ، وخرجت بعدها أنتظر عودة زوجي، وبمجرد عودته طلبت منه العودة إلى المنزل لأني متعبة، ولم يبالي كعادته معي دائمًا، إلا في الوقت الذي يريده، ومنذ هذا الوقت وأنا أعاني الويلات من معاملة زوجي التي ازدادت سوءًا بعد أن داوم على الذهاب إليهم والسهر عندهم، وتغيرت معي معاملة زوجة هذا الرجل إلى الأسوأ، وكنت أشعر بمحاولات تحريض زوجي ضدي، وكلما مر الوقت تزداد حدة وقسوة هذه الحياة التي لم أعد أتحملها، وازداد الوضع سوءًا عندما علمت بالصدفة أن زوجي على علاقة بزميلته التي هي صديقتي المقربة، والتي سرعان ما قطعت

علاقتها بي عندما علمت بتدهور الأمور بيننا، وأطلقت العنان لنفسها تتقرب منه حتى استطاعت أن تسيطر عليه هي وأهلها فهي تكبرني بسنوات، ولم تتزوج، وكان كل همها أن تحظى بطيف رجل تنسب إليه ولو كان زوج صديقتها؛ فكانت تقابله خارج العمل وتركب معه السيارة ويذهبان إلى بعض الأماكن معًا، وعندما علمت بما فعلت بي صديقتي صدمت، ولكني عدت لنفسي سريعًا، فأمثال هؤلاء لا يستحقون مجرد التفكير فيهم وتأكدت أن الوضع أصبح لا فائدة منه، وأنها النهاية لا محالة مع هذا الشخص، واستقر داخلي شعور برفض أي حياة مرة أخرى مع هذا الشخص، ولكنني فقط قررت الصمت؛ لأن لا شيء سيجدي مع أمثال هؤلاء، فالخيانة تجري مجرى الدم في عروقهم، والغدر شيمتهم.

عشت خلال هذه الفترة وكأن شيئًا لم يكن، ولم أظهر أي ألم نفسي أمام أولادي، فقد كان همي الوحيد أن تظل حياتهم مستقرة، ولو على حساب نفسي فقد عزمت على أن أتحمل من أجلهم كل الصعاب حتى النهاية، وبعد فترة ترك أبوهم البيت، وذهب ليعيش في مكان آخر، وكان من الواضح أنه يستعد لشيء ما ويرتب له، وبعد فترة أخرى عرفت من البعض أنه طلقني، كما أخبرهم كنت مستعدة لأي شيء منه ومتقبلة الأمر لأنها إرادة الله ولعله كان خيرًا لي ولأولادي، وبعد سماعي لهذا الخبر سكنت كل آلامي وأوجاعي التي عشتها من قبل، وكأن الله أراد أن يفك أسري من قيد هذا الخاسر الذي عشت معه في قهر وذل ومهانة، وعرفت بعد ذلك بزواجه من صديقتي

التي ما كانت تعرفني وتتقرب مني إلا من أجل أن تعرف تفاصيل عن حياتي كي تستغلها لصالحها طمعًا في حياتي، لم يكن أمامي إلا اللجوء إلى الله وحده بعد أن ابتعد عني كل من كانوا يعرفونني؛ فقط من أجل مصالحهم حتى الصديقات منهم من ابتعدت عني خوفًا على زوجها مني، أو أن أحتاج إليهم في يوم من الأيام، وأصبحت وكأنني لم أكن أعرف أحدًا من قبل، واستعنت بالله فهو وحده القادرعلى أن يعوضني خيرًا عن سنوات الألم والحرمان التي عشتها، وأنا الآن فكرت في البحث عن عمل لكي أستطيع أن أعيش حياة كريمة فقد منعني من العمل منذ بداية الزواج كي أتفرغ للبيت والأولاد، وها أنا أذهب للعمل في مصنع بعد أن فقدت الفرصة في العمل بمؤهلي الدراسي بعد بلوغي هذا السن، تعلمت الكثير مما حدث معي خلال السنوات التي عشتها ؛ إنها الحياة لا تعطي دروسًا مجانية لأحد فبقدر ما نتعلم ونأخذ منها الدروس والعبر؛ نتألم حتى نتعلم.

أهم شيء تعلمته ألا أثق في الناس بسهولة، بعد الله ونفسك التي بين جنبيك لا أحد أرحم بك من ربك «الله المستعان» ورغم أني خرجت من هذه الحياة خالية الوفاض لا أملك من حطام الدنيا شيئًا؛ إلا أنني كنت أحمد الله كثيرًا أن نجاني من بطش هؤلاء وأخرجني وأولادي من بينهم سالمين، ومازالت عندي العزيمة والقوة لكي أعيش وأكمل حياتي دون احتياج لأحد.

أسندت نورهان ظهرها وأخذت نفسًا عميقًا وكأنها تبث الأمل والحياة إلى نفسها، وسكتت وبادرتها مديحة بسؤال: وأين أهلك من كل ذلك؟ تنهدت نورهان وأجابتها والدي

ووالدتي كبيران في السن لا حول لهما ولا قوة، ماذا بوسعهما أن يفعلا معه؟ وهو سليط اللسان لا يحترم أو يقدر أحدًا، ولم أشأ أن أدخل معه في طريق المحاكم، ولم أطالبه بأية حقوق مادية، ماذا سآخذ من هذا الشخص بعد أن سرق عمري ودمرني؟!

أما عن إخوتي فكل ما يشغلهم أن أترك لهم نصيبي في بيت والدي، فهم أولى لأنهم ذكور، ومن أجل ذلك قطعوا علاقتهم بي، وكذلك بأبي وأمي لأنهم رفضوا أن ينفذوا رغبتهم هذه، وأنا الآن أعيش في مجتمع ظالم لا يرحم من هي في مثل ظروفي، بل يزيد الطين بلة بالتهميش والتحقير وقال وقيل، وتكون كل خطوة لها محسوبة عليها، ومراقبة طول الوقت من أولئك المتربصين لتصيد الأخطاء لها. أين ذهبت؟ ومن أين جاءت؟ وكأن مثلي ليس لها الحق في حياة كريمة!! لا يتدخل أحد في شئوني الخاصة كباقي الناس، هل من الممكن أن يغير المجتمع نظرته هذه في يوم من الأيام؟ ليته يحدث، وحان وقت نزولها للمحطة التي تقصدها وسلمت عليهم وودعتهم وسط دعائهم لها، وتابعتها مديحة بعينين مشفقتين على حالها حتى انطلق القطار مرة أخرى ليكمل رحلته.

❖ ❖ ❖

(القصة الثالثة)

«عودة الربيع»

صعدت صفية إلى الطابق الثاني في بيت والدها لتطعم الطيور التي كانت تقوم بتربيتها ، وكانت تحب أن تجلس بجوارهم بعض الوقت تتأمل حياة الطيور وسلوكياتها فيما بينها ، وأثناء تناولها الطعام وطيران الحمام حولها ، وكانت هذه اللحظات تجعلها في غاية الفرح والسرور ، ثم نزلت بعد ذلك إلى حيث تجلس والدتها ، ومعها بعض السيدات اللاتي يساعدنها في البيت في مكان في آخر البيت حيث يوجد الفرن الذي يصنعون فيه الخبز الطازج، وكانت الأم حريصة على أن تتعلم ابنتها كل شيء في البيت لكي تتأهل لتصبح ربة بيت ماهرة ، ونادت عليها الأم لكي تتعلم صناعة الخبز ومع التدريب المستمر تصبح محترفة في صناعته ، وكذلك الحال في كل الأمور التي تخص البيت ، وكانت الأم تفرح كثيرًا بابنتها كلما تعلمت شيئًا جديدًا ، وكذلك كانت تفرح صفية ، وكانت صفية قد تجاوزت الخامسة عشر من عمرها ، وبدأ الخطاب يدقون الباب طلبًا لنسب والدها الذي كان له شأن كبير في بلدته وسط العائلات الكبيرة ، ولكنه كان يرفض فقد كان يرغب أن يزوج ابنته لرجل له شأن كبير مثله ، وفي يوم من الأيام جاء لزيارة الأب رجل من بلدة مجاورة كان كبير العائلة في البلدة ،

وكان الأب في غاية السرور من زيارته هذه، وبعد أن غادر نادى الأب على زوجته، وتحدث معها قليلًا ثم خرجت وهي شاردة وكأنها تفكر في أمر ما، وفي المساء جلست الأم مع ابنتها تتحدث معها ثم أخبرتها أن هناك من تقدم لخطبتها اليوم وقد وافق والدها وفرح به كثيرًا، وأخبرتها أنه رجل كبير السن لديه أولاد وقد تزوجوا جميعًا ويعيش وحده بعد وفاة زوجته، وهو من عائلة كبيرة وله شأن كبير بين أهله، لم ترد صفية بكلمة فلم يكن باستطاعتها الرد مادام والدها قد وافق عليه فليس لها من سبيل لكي تعترض، وبعد أشهر قليلة تم الزواج وانتقلت صفية للعيش مع زوجها في بلدته، وكانت تعمل جاهدة لتدبير شئون حياتها وإرضاء زوجها، وفي خلال هذه الفترة رزقت بطفل جميل أسموه ربيع كان هو كل فرحتها بعد أن رضيت بالأمر الواقع، عاشت راضية بما قسم الله لها، وبعد أشهر من ولادته مرض زوجها مرضًا شديدًا فخاف على ربيع من إخوته وقرر أن يكتب له نصيبه من الميراث حتى لا يطمع إخوته في حقه، وتم ذلك دون علم أبناءه؛ لأنه أحس منهم بنية الشر تجاهه، وتوفي الأب ولم يكمل ربيع السنة الأولى من عمره، وكانت أشد أوقات صفية خوفًا بعد وفاة زوجها؛ لما رأت من نية الشر بابنها الرضيع من إخوته الذين كانوا يضمرون له الشر ليتخلصوا منه، فقد جاء ليشاركهم ميراث أبيهم، وبالطبع لم يكونوا على علم أن والدهم قد ترك له ما يؤمن حياته، منهم: البيت الذي يعيش فيه، وقطعة أرض لكي يجد ما يعيش منه مستقبلا لأنه رأى في أعينهم من نية الشر تجاهه وكأنهم إخوة يوسف أرادوا به

كيدًا ، ولم يكن أمام صفية إلا أن تفكر في الهرب من البلدة ، والفرار من شر إخوة ربيع ، واللجوء إلى أهلها لتحتمي بهم ، وفي الليلة الثالثة وكانوا مشغولون بعزاء والدهم عزمت أمرها ولم تنم هذه الليلة وقامت وأحضرت مقطف ووضعت فيه بعض الملابس ، ووضعت ابنها بداخله ، وأخذت كل الأوراق المهمة والتى تثبت حق االبنها ، وحملت المقطف على رأسها ، واستعانت باللّه ، وانطلقت تجري في الطريق إلى بلدتها دون أنيس ، تخشى الطريق لكن لم يكن أمامها خيار آخر غير هذا ، وتوكلت على ربها رغم ما قاسته من الكلاب الضالة ، لكن اللّه كان معها ويسر لها أمرها حتى وصلت إلى بيت أهلها ، ووقعت على الأرض فحملوها واعتنوا بها حتى أفاقت من غيبوبتها ، وحمدت اللّه على نجاة ابنها من إخوته ، وعندما علم أبناء زوجها بهروبها علموا أنهم لن يستطيعوا الوصول إليه مرة أخرى.

اعتنت صفية بابنها ربيع حتى كبر وترعرع في كنف والدها حتى وصل في التعليم لمراحل متقدمة ، وأراد ربيع أن يرجع ليعيش في بيته الذي تركه له والده ، وكان كل شيء تحت يد إخوته ، وأراد أن يذهب إليهم ويتحدث معهم ، وكانت أمه شديدة الخوف عليه ، ولكنه طمأنها قائلًا أنه لن يحدث له شيء إلا بإرادة اللّه ، وذهب ربيع لزيارة إخوته وجلس معهم ، وسبحان من ألان قلبهم له ؛ وفرح به أولادهم ، وكانوا متقاربين معه في العمر ، وقبل أن يتكلم مع إخوته ويفتح معهم موضوع رغبته في العودة ليعيش في بيت والده؛ طلبوا هم ذلك منه لكي يعيش بينهم ويستأنس بهم وبأولادهم ويفرحوا بوجوده بينهم ، وكأن اللّه . سبحانه

وتعالى. أراد أن يجمع شمله بأهله بعد طول غياب وخوف وترقب لما قد يحدث منهم تجاهه، ودع ربيع إخوته وغادرهم وهو في غاية السعادة، وعاد سريعًا إلى أمه ليزف إليها الخبر السعيد، وكانت صفية في غاية القلق على ربيع حتى عاد إليها سالمًا، وعلى وجهه علامات الفرح والسرور، وأخبر والدته بما حدث، وكيف رحب به إخوته؛ وطلبوا هم منه أن يرجع ليعيش بينهم، حمدت صفية ربها كثيرًا فقد كانت تدعو الله أن يهديهم ويجمع شملهم، رتب ربيع أموره وغادر هو وأمه إلى بلدته حيث بيت أبيه الذي ولد به، وكان إخوته قد أرسلوا من ينظف البيت ويجهزه لاستقبال ربيع ووالدته، ولما رجعت صفية لبيتها تذكرت كل ذكرياتها في هذا البيت حتى تركته خوفًا وهربًا وتمنت ألا تعود هذه الأيام مرة أخرى، ووجدوا في انتظارهم أولاد إخوته للترحيب بهم وأشهى الطعام احتفالاً برجوعهم، ثم ذهب معهم ربيع ليسلم على إخوته، وأما صفية فقد انشغلت في زيارات نساء العائلة للترحيب بها، وكان ربيع في غاية السعادة وهو بين إخوته وأولادهم، و كانوا هم أيضا فرحين به كثيرًا، استكمل ربيع دراسته الجامعية حتى تخرج وأدى الخدمة العسكرية، وتسلم عمله في وظيفة حكومية، واجتهد ربيع في عمله وتدرج سريعًا، وترقى في الوظيفة وكان شديد الإخلاص في عمله، ومحبوبًا من زملائه ومرؤسيه، وكل من يعرفه، وأرادت صفية أن تطمئن على ابنها وتزوجه لكي يستقر في حياته، وتفرح بأولاده واختارت له فتاة من نفس العائلة، جميلة وطيبة، وعلى خلق، ولكن القدر لم يمهل صفية لكي تفرح بربيع وزواجه ؛ فقد

مرضت مرضًا شديدًا استمر لأيام عدة وبعدها توفيت، وصعدت الروح إلى بارئها، وحزن ربيع حزنًا شديدًا عليها، واعتزل الناس فترة حتى أرسل إليه أخوه الأكبر، وكان كل إخوته مجتمعين وطلبوا منه ضرورة إتمام زواجه حتى لا يعيش وحيدًا بعد وفاة والدته، وضغطوا عليه جميعًا في هذا الأمر حتى وافق رغم حزنه الشديد على فراق والدته، وبدأوا في تجهيزات الزواج والإعداد له حتى تم الانتهاء من كل شيء، وتم تحديد موعد الزواج، وكان كل أقاربه وأهله معه في هذا اليوم.

تزوج ربيع وعاش مع زوجته سميرة في بيته، وكان يدخل حجرة والدته يوميًا، يقضي فيها بعض الوقت ويصلي ويدعو الله لها بالرحمة والمغفرة، وكان بارًا بها بعد وفاتها، وكانت زوجته سميرة تجتهد لكي ترضيه رغم وجود من يقومون بمساعدتها في البيت؛ إلا أنها كانت تحب أن تصنع بنفسها كل ما يحبه بيدها، وتوفي إخوته واحدًا تلو الآخر خلال عدة سنوات من زواجه أنجب خلالها ولدًا وبنتًا، اجتهدت سميرة في تربيتهم التربية الصحيحة، حتى رزقهما الله بأبناء آخرين .ولدين وبنت . ورغم أن العبء قد زاد على سميرة في تربية الأولاد، إلا أن ربيع كان يحاول جاهدًا في مساعدتها بقدر الإمكان كلما سمح وقته بذلك، وأصبح لربيع شأن كبير وسط عائلته وأبناء إخوته الذين كانوا يحبونه ويحترمونه ويقدرونه، وكان هو أيضًا يحبهم ويتقرب منهم ويهتم لكل أمورهم وكبر أبناؤه وأصبحوا في مراحل التعليم المختلفة، وكان يقضي معهم وقتًا ليذاكر لهم دروسهم ويساعدهم في واجباتهم، واكتفى

بتعليم ابنتيه في مرحلة التعليم الإبتدائي فقط، لأنه لم تكن تتوفر في القرية مدرسة لمرحلة أخرى من التعليم، وكان لزامًا لذلك أن تسافر البنت إلى المدينة لكي تلتحق بمرحلة التعليم التالي، وكان الناس في القرية يكتفوا بتعليم البنات حتى هذه المرحلة، وكان ربيع يخاف على ابنتيه من مصاعب السفر إلى المدينة يوميًا، وبعد أن كبر أولاده الذكور في مراحل التعليم المختلفة، وتزوجت ابنتيه ووصل الذكور إلى التعليم الجامعي، وفرح بزواجهم جميعًا وأصبح لديه أحفاد كثر كان يفرح بوجودهم جميعًا حوله عندما يتجمعون معًا في زيارتهم له.

وفي يوم من الأيام كان ربيع عائدًا من عمله، وكانت له قطعة أرض على هذا الطريق فوجئ بحفر مساحة كبيرة منها واستغلالها من قبل بعض الملاك المجاورين له كمجرى مائي لتسهيل ري أراضيهم، وتم ذلك بدون علمه، وبدون وجه حق، فهي سرقة في وضح النهار، وكادت أن تقوم معركة كبيرة بين عائلة ربيع الذين جاءوا لمساندته، والوقوف معه، وبين عائلة هؤلاء الملاك الذين استولوا على قطعة الأرض بالقوة الجبرية، ورفض ربيع أن تحدث أيّ اشتباكات بينهم وقرر اللجوء إلى القضاء للحصول على حقه، وخلال فترة طويلة لم يتم البت في هذه القضية، وتم الدخول في إجراءات رسمية كثيرة لا تجدي حتى بلغ السن القانوني للمعاش، وكان من حب الناس له في القرية أن فوضوه في بناء مسجد جديد للقرية، يكفي لعدد أكبر من المصلين، وحصل على قطعة أرض تبرع بها أحد كبار العائلة لبناء المسجد عليها، وكان يجمع التبرعات لتوفير المبلغ اللازم

لبناء المسجد ، واجتهد حتى قرب اكتمال بناء المسجد ، وتعذر استكمال باقي التشطيبات ، وكان لديه مبلغ من المال يحتفظ به لوقت الحاجة ، فآثر أن يستكمل به تشطيب المسجد ، وتم ما سعى إليه ، وفرح باستكمال المسجد ، وتم افتتاحه وسط فرحة أهل القرية جميعًا بالمسجد الجديد في قريتهم ، وكان كل اهتمام ربيع عمل الخير ومساعدة المحتاجين حتى توفاه الله بعد فترة قصيرة من المرض ، وكانت جنازته مهيبة ؛ فقد كان حب الناس له من كل البلاد التي عرفها على مدار حياته لا يقدر بثمن ، وبعد وفاته بفترة قصيرة أنجبت ابنته الصغرى ولدًا وأسمته ربيع ؛ تخليدًا لذكرى والدها ، وكانت فرحة الجميع به كبيرة جدًا ، نشأ ربيع وسط عائلة جده نفسها ، وحظي بحب الجميع كبيرًا وصغيرًا ، وكان نسخة من جده في طيبة القلب ، والإخلاص ، وحب الخير ، وحظي باحترام الجميع رغم صغر سنه ، وكان دائم الابتسامة ، بشوش الوجه ، لا يتأخر أبدًا في تقديم أي خدمات تطلب منه ، وكان عونًا للضعيف وذا الحاجة ، وكان حب الناس له كسابق العهد مع جده من قبل ، ولما وصل ربيع إلى إنهاء دراسته ، بدأ مرحلة العمل وإكمال شقته لكي يتزوج فيها ، وفي يوم من الأيام كان عائدا إلى بيته ، وتعرض لحادث مروري لقي على إثره مصرعه ، وكأن الموت يختار من الدنيا الطيبين ؛ لأنهم يستحقون الآخرة ونعيمها ، وكان يوم وفاته يومًا عصيبًا على القرية كلها وكانت جنازته عظيمة لا يرى آخرها ، ولم تكن وفاته أشد تأثيرًا على أحد أكثر من والدته التي أفرغ الله على قلبها صبرًا ، ورضيت بقضاء الله ،

فكانت رحمة الله بها ولطفه أعظم نعمة عليها، وخلال العام الأول لوفاته أنجبت أخته طفلها الأول؛ وأسموه ربيع فكان درة العائلة، وعاد ربيع مجددًا ليبدأ سلسلة جديدة، وليكمل طريقًا بدأه أسلافه: من حب الخير، والرحمة، ومساعدة المحتاجين، ليظل الربيع مخيمًا على الجميع ببهجته وفرحته، وسيظل الربيع يعود دومًا كما أن الخير سيظل إلى يوم الدين.

❖ ❖ ❖

(القصة الرابعة)

«الحب المفقود»

استيقظ أمجد مبكرًا كعادته كل يوم، وتناول طعام الإفطارمع أسرته، وأخذ معه ابنته نجوى وابنه سامح ليوصلهما في طريقه إلى المدرسة، واتجه بعد ذلك إلى عمله، وبعد الظهرتذهب زوجته لإحضارهما حتى يعود هو متأخرًا من عمله بعض الشيء، وكان يومًا شاقًا في العمل؛ غادر أمجد بعد انتهاء موعد العمل في المدرسة التي يعمل بها مدرسًا، وفي طريق عودته جاءته مكالمة هاتفية، وقبل أن يرد على الهاتف لمح طفلًا صغيرًا يجري بسرعة، وأمه تسرع الخطى خلفه، وتنادى عليه أن ينتظر، وكانت الصدفة أن اسمه أمجد، ولكنه ظل يضحك ويستمر في الجري، وكأنه يلعب حتى إنكفأ واقعًا على الأرض، فأسرع إليه أمجد ورفعه من على الأرض، وابتسم له ونظر إليها فإذا بهما وقد تغيرت ملامح وجهيهما فجأة؛ ولأول مرة بعد سنوات طويلة التقت العينان وأطبق عليهما صمت مطلق للحظات، مرت وكأنها ساعات أخذت نجوى ابنها، وأسرعت الخطى تمشي في طريقها مرة أخرى بدون كلمة واحدة، وكأنها تهرب من شيء ما، كان الصمت لكنه كان أبلغ من الكلام فقد عرف كل منهما الآخر، ورغم كل السنوات التي مضت؛ إلا أنه لم ينس أبدًا هذا الوجه الذي طالما حلم به، ولم

يفصح كلاهما بأي شيء، لكنه كان فقط الصمت الذي كان يخبر بكل شيء دون كلام، التفت أمجد مسرعًا ينظر إليها وهي تجر ابنها في يدها وتهرول مسرعة، وكان الولد ملتفتًا ينظر إليه مبتسمًا لم يصدق أمجد ما رأى، وظل واقفًا مكانه بعض الوقت، لم يتخيل أبدًا أن يقابلها مرة أخرى، رجع أمجد إلى البيت، وعلى وجهه علامات الدهشة مما حدث معه هذا اليوم، وقابلته ابنته الصغيرة مسرعة إليه ليحملها كعادته، ونظر إليها مبتسمًا ومتعجبًا، فلم يكن يدرك يومًا أنه سيقابل نجوى مرة أخرى، رغم أنه لم ينساها، وكانت ذكراها حافزًا له على أن يسمي ابنته على اسمها، ولم يكن يتخيل أن تسمي ابنها على اسمه؛ ألهذا السبب انطلقت مسرعة لأنه عرف اسم ابنها وهي تنادي عليه، وعلم أنها مازالت تتذكره، تناول أمجد طعام الغداء مع أسرته، وجلس في الشرفة يتناول كوبًا من الشاي، وتوالت عليه الذكريات القديمة فقد عرفها في بداية حياته العملية عندما عمل مدرسًا في إحدى المدارس الثانوية مدرسًا لمادة الفلسفة، وكانت هي في الثانوية العامة عندما تم تكليفه بتدريس المادة لفصلها نظرًا لمرض مدرس الفصل، وحصوله على إجازة مرضية وخلال هذه الفترة تعرف عليها، وعرف شخصيتها فقد كانت متميزة في دراستها، وكان مبهورًا بأدائها الدراسي، وأسلوبها الراقي في التعامل، ومنذ عرفها وهو دائمًا كلما رآها يحب أن يتكلم معها ويطمئن على دراستها، وما إذا كانت تحتاج لأي مساعدة، وكانت في أحيان كثيرة تلجأ إلى الهروب عندما تراه، وتتوارى خجلًا

حتى لا يقف ويتكلم معها أمام زميلاتها، رغم أنه لم يتجاوز حدوده أبدًا، وتذكر أمجد عندما قامت المدرسة بعمل امتحان تجريبي للصف الثالث الثانوى لتقييم أداء الطلاب، وكلف بالمراقبة على لجنتها في إحدى المواد، فإذا به يتجه إليها ويقف بجوارها ويبدأ معها الحديث، وهي ترد عليه حتى لاحظت إحدى المدرسات أنه يعطلها عن أداء الإمتحان فاتجهت إليه، وعلى وجهها ابتسامة ساخرة، وقالت له: اتركها تنتهي من الامتحان، فانتبه أمجد، وابتسم وانصرف إلى مكان آخر، ومازالت عينيه عليها وظل يتابعها حتى انتهت من الامتحان، ونادت عليه المعلمة التي كانت معه في اللجنة، وسألته: إذا كان يريد أن يخطب هذه الفتاة، فقد لاحظت. مثل كثيرين. اهتمامه بها وحبه لها؟ فأجابها: وكيف لشاب حديث التخرج مثلي أن يفكر في خطبة وزواج؟ وهولا يدري كيف ستسير أموره بعد؟ لم يكن يعلم أنها أيضا تحبه، وتأكد من ذلك عندما رآها بعد أن فقد حبه.

❖ ❖ ❖

الاسم: حبيبة كامل الخطيب

المحافظة: الغربية

المؤهل: كلية دراسات إنسانية ـ قسم علم اجتماع ـ أزهرية

❖ ❖ ❖

«قصة قصيرة»

(بعنوان ضحية خيانة)

أحببتـه رغـم عيوبه وخيانته أمام أنظـاري؛ يظنني لا أعلم وأنا أول من أشعر به، أول من أشعر بخيانته وقذارته.

كنـت نائمـة أو أمثل النوم حتـى أتى برائحته النسـائية، أهو غبي؟ أم يدوس على وجعي دون أن يشعر ألهذه الدرجة أحببت من لا يشعر بي؟!

علي: عليااااء اصحي أنا عارف إنك مش نايمة.

علياء: صحيت وبصت له.

علي: خير قاعدة لي كده ليه.

علياء: مفيش عايز مني حاجة.

علـي: والله المفروض ألاقي واحدة متجوزها مجهزة نفسـها، مش أرجع ألاقي رأفت صاحبي.

علياء بغموض: وهتكتفي؟

علي بتوتر: قصدك ايه؟

علياء بسخرية: سيبني أنام ياعلي.

نامت علياء وأولته ظهرها ، نام بجانبها ليضع يده عليها لتستدير له ، وأصبحت أنفاسهما قريبة.

علياء: عايز ايه ياعلي؟

علي . بنظرة شهوانية .: عايزك ياعلياء وحشتيني.

علياء: نظرت له بتهكم؛ ونظرة معناها افعل ماشئت فأنا اسميًا وظاهريًا ملكك كما يظن المجتمع.

انتهى علي من فعل ما يفعله مع جميع النساء ، وتظل علياء جسدًا بلا روح؛ لم تشعر بشيء منه ولا بلمساته التي تستحقرها.

علي . بعصبية .: أنتِ مش حاسه بيّ ليه؟

قامت علياء تحكم الغطاء علي جسدها العاري ، وتتركه وتذهب إلي مكان آخر.

علي . في نفسه .: هتجنن هي عاملة معايا كده ليه؟

قام بارتداء ملابسه؛ وذهب من فرط عصبيته ، وترك البيت.

لتسمع علياء صوت خروجه من المنزل لتنزوي في ركن ما تبكي حظها العاثر الذي أوقعها مع خائن يسير وراء شهواته عبدًا لها.

ثم سرعان ما نامت علياء لتستيقظ على صوت علي يتحدث هاتفيا بقذارة مع إحدهن لتغلق أذنيها ، وتحدث صوتًا لعله يشعر بأنها بجانبه!!

علي: صحيتي ياحبيبتي، ثواني هجيلك ياصاحبي بليل يلا سلام.

علياء باستهزاء: روح له دلوقتي أحسن.

علي قرب منها ومرر يده على خديها: مالك ياعلياء بس؟

علياء: شيل إيديك، ومماليش، أنا كويسة، نعم الزوجة مش كده.

علـي بعصبيـة: فهميني في ايه؟ مش طيقانـي ليه في حد تاني في حياتك؟ ردي؟

عليـاء ـ بصدمة ـ سـاكتة مابتتكلمش، علي بدون وعي: ردي علياا!! وضربها وضربها حتى أغمى عليها، ليعود علي إلى وعيه.

علي: علياء حبيبتي قومي أنا آسف.

لتستفيق علياء وتبكي وتقول: ابعد عني ابعد.

علي بهدوء: همشي حاضر، همشي اهدي بس.

ذهب علي..

وبعد قليل من ساعات؛ استعادت علياء قوتها ثم كتبت له هذه الرسالة.

«علي زوجي سـأبتعد عنـك وأذهب إلى منـزل عائلتي، اعتني بنفسك، لم أسامحك على ما فعلته؛ ولكن لتكن برعاية الله "

وتركت المنزل وذهبت إلى منزل عائلتها..

بعـد مـدة مـن الزمـن وصل علـي وقـرأ الرسـالة ولم يبـدِ بها اهتمامًا..

رحبت أسرة علياء بها ترحيبًا شديدًا، ولم يسألوا عن علامات الضرب بوجهها..

جلست علياء في حديقة المنزل بتسمع الأغنية دي:

حست إنها بتوصفها...

حد قالك إني ممكن أبقى ليك أنا سد خانة.

لما تحتاجنى تلاقينى واقفه جنبك باستماتة.

وأما تبقى مش عايزني تقولي يالا بالسلامة.

مين اللي قالك إن هقبل أعيش معاك تاني بإهانة.

كان زمان عشان بحب ضعفت قلت مفيش كرامة.

مشيت معاك طريق طويل أخرتها رجعت أنا خسرانة.

حَدّ قالَك إنَّي مُمْكِن أُبْقَى لَيّكِ أَنّا سَدَّ خانَة.

حتى أتى ابن عمها أحبها ولكنها أحبت آخر.

مصطفى: علياااء ازيك.

علياء بقهرة: مصطفي ازيك.

مصطفى بحزن: ايه اللي في وشك ده ياعلياء؟.

علياء: مفيش يامصطفي خدش بسيط.

مصطفى: متأكدة ياعلياء.

علياء: اها أنت عامل إيه؟ مش هتتجوز بقى.

مصطفى: أنت عارفة إني ماحبتش غيرك وملاقتش حد أحبه بعدك.

علياء بتوتر: مفيش داعي للكلام ده بعد إذنك.

هذه علياء؛

ولكـن علـي مازال يلهو ويلهو وسـيندم ليلًا فـي غرفة علياء؛ قـررت علياء الذهـاب إلى زوجهـا بعدًا عـن مصطفـي، وندمها الشديد على ترك حبه واختيارها الخاطئ لعلي.

فـي صباح اليـوم التالي ذهبت علياء إلى المنـزل، ودخلت إلى غرفتها لتجد أمام عينيها زوجها وحبيبها وبجانبه فتاة عارية وفي أحضانه، كتمت علياء شـهقتها القوية ونزلت إلى الشـارع تدور في الشوارع حتى أتى الليل، وقررت قرار

ذهبت إلى شـقتها وغرفتها وأتت بورقة وقلم لتكتب رسـالتها الأخيرة..

«علي أعرفك خائنًا تسير خلف نساءعاهرات، وشعرت بذلك، ولكنـي لم أسـتطع تحمل ذلك، روئيتـك بجانبها كانت صدمة لي؛ أحببتك فأهنتني فذللتني فأهنت كرامتي !!

مصطفـى اعتـذاري لـك علـى تركـي لحبـك؛ ولكـن حبي لعلي أعماني عمن أحبني، آسـفة كل الأسـف سـامحني والداي ابنتكمـا مُهانـة، ولـم تسـتطع الاحتمال، سـأترك هـذه الحياه المهينة».

وطـوت الورقـة وأتت بحبل؛ وشـنقت نفسـها لتسـقط أسـيرة الظـلام، ووحشـة الموت، وعذاب الرب لأجل مـن؟؟ إنها ضعيفة حقًا ضعيفة.

أتـى علـي فـرأى هـذا المشـهد؛ صُدم وسـقط علـى ركبتيه وبكى. المشـهد قاسـي. ثـم قام وبحث عن أي شـيء حتى وجد

الرسالة فقرأها فبكى قهرا.

«النهاية»

العبرة من قصتي؛ لكل زوجة، بنت، أي أنثى على وجه الأرض مش مضطرة تستحملي الخيانة أبدًا وتنتحري وتخسري أخرتك عشان سبب وهمي وتافه. من وجهة نظري. الدنيا فانية.

وأنت راعي ربنا في زوجتك، وكفى خيانة، كفى نقص، ده نقص في رجولتك عدم اكتفاءك بواحدة بتحبك ده مرض.

❖ ❖ ❖

الاسم: منة محمد التابعي

المؤهل: طالبة بكلية تربية عام لغة عربية.

محل الإقامة: كفر سعد - دمياط.

❖ ❖ ❖

القصة..

فلاش باااك..

ستموت أمي من شدة الحزن يا أبى.

قالتها ورد وهي تغلق أخر حقيبة في الغرفة.

أصبح الآن كل شيء جاهز يا فتاتي، فقط علينا نقله إلى بيتك الجديد.

ولكن أمي.

أستكون أيضًا هكذا عندما أغادر؟ ماذا أفعل لها؟

ابتسم الأب وعيناه ممتلئة بالدموع.

لا تفعلي شيئًا يا ورد، فقط عليكِ أن تكوني سعيدة قدر ما تستطعين، العمر واحد يا صغيرتي فاستمتعي به مع رفيق دربك.

أتعرفين لما وافقت عليه هو وليس غيره؟

رأيتكِ في عينه.

ضحكت ورد: كيف؟

شعرت بحبه، سمعت دقات قلبه وأنا على الكرسي المجاور له، رأيته أيضا عندما كان يختلس النظر إليكِ ويبتسم ثم ينظر أرضًا.

شعرتُ أنه فاز بكِ، حقق هدف كان يسعى إليه.

وصل إلى نهاية الطريق.. استكان وراءكِ سكناه.

اجلسي جواري يا ورد، ستقبلين على حياة جديدة، ورجل آخر غيري ولكن تذكري جيدًا أنا من أحببتك أولًا، وسأظل أحبكِ أكثر.

يا فتاتى، لا تجعلي عينه تقع فيكِ على سوء، كوني حكيمة وعاقلة، ولكن لا مانع من إضافة بعض الجنون.

إذا كان عندكِ ما يزعجه فاختاري الوقت المناسب ؛ جَمِلي له المقدمة.

كوني له مخبأ من هذا العالم، كوني جليسته في وحدته، وأمه في تعبه، وبيت أسراره.

هزت ورد رأسها إيجابًا.

لا أريد أن أطيل عليكِ فأنا أعرف جيدًا ما زرعت أمك فيكِ.

في غرفة ما.. فُتح بابٌ بنفسجي لغرفة قد خط الزمن عليها عشرين عاما، وظهرت فتاة كالملائكة في ثوبها الأبيض تضع تاجًا على رأسها.

يد تملأها التجاعيد، تأخذ بيدها الصغيرة لتُسلمها إلى يد قوية وصلبة.

ها قد خسرتك أنا وفاز بكِ هو.

نظـر إليهـا ضمها بعينيه وقبل رأسـها ، لقد فُـزت بالجنة على الأرض. لا ، بل قد فُزت بوردة من ورد الجنة.

لا واللّهِ قد فزت بالورد كله.

لقد فُزتُ بكِ يا ورد.

بعد سويعات من الفرح أغلق باب البيت عليهم.

قال يوسف: توضأي وهيا بنا لنصلي.

دخلـت ورد بدلـت ملابسـها وتوضـأت، ودخلـت الغرفة الذي أشار إليها، وهنا كانت المفاجأة.

ورد: لقد فعلها يوسف لقد فعلها، لا أصدق هذا !!

كم يطير قلبي الآن من الفرح.

يوسف: لا أستطيع أن لا أفعل ما تفكر فيه أميرتي الصغيرة، ووردتي العاطرة.

هكذا قال يوسف وهو يقف خلفها مباشرة.

التفـت ورد إليـه وبـدون أي مقدمات حضنته ؛ حضنته بشـدة وهمست له، أريد بيتًا إذا رآهُ النبي تبسم، فلنتعاهد على هذا !

يوسف: فلنتعاهد يا صغيرة.

صلى يوسف إمامًا بورد في ركن الصلاة الذي كان كهدية لها في يوم زفافها.

في اليوم التالي، تفيق وَرْد على الخبر الذي كانت تخشاه.

كيف؟! كيف حدث ذلك !!

يوسف: اهدي بس اهدي ياحبيبتي.

ورد : مامتـي مامتي في المستشـفى يا يوسـف أعمـل إيه؟ أنا خايفة عليها أوي دي حياتي ودنيتي ماأعرفش أعيش من غيرها.

نظر يوسف إليها في نظرة تفهم معناها جيدًا.

ورد : ياحبيبي قولتلك هي مامتي وأنت زوجي وقرة عيني، يعني أنا ما أقدرش أعيش من غيركم، يلا يا يوسـف عشـان توصلني لمامتي دلوقتي.

يوسـف: دلوقتـي؟ خليـكِ أنـتِ يـا ورد وأنـا هـروح لمامتـك، ماينفعش أنتِ تخرجي، الفرح راجعين متأخر وأنتِ مانمتيش.

ورد : أنت عايزني أسيب ماما وهي تع...

وضع يوسف يده على فمها.

يوسف: أنا عارفك مجنونة ومش هتسكتي يلا يلا.

ذهبت ورد إلى المستشفى مع يوسف.

ورد : ماما حبيبتي في ايه مالك؟

أم ورد :حبيبتي أنا كويسـة شـوية ضغط بس، ايه اللي جابك بس ونزلك من بيتك في الصباحية؟

ورد : هـو أنا يعني ياماما هتكوني تعبانة وما أنزلش ازاي؟ هو الدكتور قالك ايه؟

أم ورد : أهو الدكتور جاي أهو اسألـيه.

لتنظر ورد خلفها لتقع عينيها عليه لتكون الصاعقة !!

يوسف: أهلًا يادكتور عمر أتفضل ايه حال ست الحبايب؟

عمـر بعـد أن تعلثم في النطق ولكن بعـد معاناة نطق: أ أ أ أ أ

واللّه الحقيقة أ أ أ.

يوسف: ايه للدرجة دي الحالة خطيرة؟

عمر: لا أبدًا كانوا شوية هبوط، وضغط الدم ارتفع تقدروا تاخدوها معاكم.

يوسف:متشكرين جدًا لحضرتك يلا يا أمي.

تحرك يوسف وتبعته ورد في هدوء تام ووالدتها معهم، في منزل العائلة عند ورد.

أبو ورد:حمداللّه على السلامة يا هدهد لازم تقلقينا عليكِ كده؟ عايزة تعرفي إحنا بنحبك ولا لأ؟

ياستي إحنا بنحبك بس ماتتعبيش تاني.

ورد: أيوه يا ست ماما الدلع حلو.

يوسف: ورد مش يلا نروح بقى ولا ايه؟

هدى (أم ورد): أيوه يلا يابنتي لازم تروحي واللّه أنتِ عروسة.

ورد وهي تنحني لتقبل يد والدتها: ماشي يا ماما هنستأذن إحنا عشان نمشي.

دخل يوسف المنزل وتبعته ورد وأغلقت الباب.

يوسف دخل غرفة النوم دون أي صوت ودلفت إليه ورد.

ورد: يوسف أنت زعلان مني؟!

يوسف: ليه؟ أنتِ عملتي ايه يزعل؟

ورد: أنا ماكنتش أعرف واللّه؛ إن عمر هو الدكتور بتاع ماما، وبعدين أقول...

وضع يده على فمها.

يوسف : قولتلك مليون مرة ده كان خطيبك، والموضوع انتهى وخلاص أنتِ مالكيش ذنب في حاجة.

ورد: بس عينيك كانت زعلانة أوي ومضايقة.

يوسف: عينيا كانت زعلانة ومضايقة إن حد شايفك غيري.

مرر يوسف يده على شعر ورد.

يوسف: القمر ده بتاعي لوحدي مش عايز حد يشاركني فيه، يرضيكِ أزعل؟ يرضيكِ أعيط؟ يرضيكِ أموت؟

ورد: بعيد الشر عليك ياحبيبي لا طبعًا مايرضينيش، قولي ايه اللي يرضيك وأنا أعمله.

وضع يوسف يده على ذقنه متظاهراً بالتفكير ثم قال:

يوسف: قومي افتحي الدولاب ده، هتلاقي علبة بيضة ملفوفة بشريطة لونها بنفسج هاتيها وتعالي.

ذهبت ورد وأتت بها وجلست جواره، أخذ يوسف يد ورد ووضعها على قلبه، ونظر إليها ثم أغمض عينيه:

تعلمين جيدًا أنني أحبك جدًا وإن كان هناك شيء فوق الحب والعشق والتيم لفعلت، أنتِ تستحقين هذا وأكثر.

لكمته ورد ليفيق.

ورد: أنت نمت ولا اااي يا يووووسف

يوسف: ياربي متجوز واحدة عندها عشر سنين والله.

ورد: طبعًا عدي بقى عشان أفتح العلبة اللي شكلها حلو دي.

يوسف: مش قبل ماتغمضي عينيكِ، وماتفتحيش من غير ما أقولك.

أغمضت ورد عينيها وشعرت بيده تلتف حول رأسها ويربط شيئًا ما، دارت في رأسها عدة أفكار.

أهو حقًا؟!

يا اللّه تمنيته ليالٍ وليالٍ

ورد: يوسف دا دا دا...

يوسف: فتحي عينك يا ست البنات، فتحي عينك يا أحلى منتقبة في الوجود.

ورد: يوسف.. يوسف أنا بحبك وبحبك.

يوسف: طفلة وربي أنا متجوز طفلة.

بعد انقضاء أيام وشهور وسنين.

دخل يوسف باكرًا، وجلس على السرير واضعًا رأسه بين يديه، ونظر خلفه وجد ورد نائمة، نظر إليها.

يوسف: أحبكِ يا فتاتي أحبكِ.

مرر يده على شعرها ذي السواد القاتم الذي يصاحبه لون كلون شعاع الشمس، تنسدل خصلاتها على وجهها وكتفها؛ تبدو كالملائكة.

ماهذا الجمال يا ورد؟ من أين أتيتِ بكل هذا الجمال؟!

ببطء شديد فتحت ورد أعينها.

ورد: من عند الراجل اللي بيبيع أجبلك؟

يوسف: رخمة رخامة امشي يابت من هنا.

ورد: يوسف مالك متضايق ليه؟

يوسف: لا أبدًا يا حبيبتي مش متضايق.

ورد: يوسف هتخبي عليا.

يوسف: اترفدت من الشغل.

ورد: وايه يعني؛ ربك كريم وكبير.

يوسف: بس هنصرف ازاي؟ وهنعيش ازاي إحنا الاتنين؟

ورد: قصدك إحنا التلاتة.

يوسف: يعنى إيه إحنا التلاتة بتغلطي في العد.. ااي لالا أنتِ قصدك.. لا لا بجد لا لا قصدك إنك بجد !

ورد وضحكاتها تعزف كنغمة لبيتهوفن: هههههه أيوه أيوه، أحمد جاي في الطريق هنا، هنا في بطن مامي.

يوسف: اللهم لك الحمد يارب، اللهم لك الحمد بعد سنين رزقتني، يارب اللهم لك الحمد.

واحتضنها يوسف، وقام بإنزالها بحذر شديد ؛ وخرّ ساجدًا.

ورد: ربنا مابياخدش حاجة غير وبيعوض أضعاف أضعافها، خلي عندك دايمًا ثقة في الله، وإن كل شيء هيبقى تمام كلها تدابير ربنا.. تدابير ربنا يا أبو أحمد.

عودة للحاضر..

رحمكَ الله يا أبا أحمد، قالتها تيتة ورد ومعها تنهيدة كبيرة تُخْرج كل ما بها من اشتياق.

روح: أنـتِ لسـه فاكرة كل ده يـا أم أحمد؟! كل التفاصيل دي مانسيتهاش! ده إحنا بقينا ننسى اسمنا.

ورد: هو أنا أنسى روحي يا أم زياد !! حد ينسى روحه؟

روح: كنتِ بتحبيه يا ورد.

نظرت ورد إلـى صديقتها العجوز ثم أغمضت عينيها ووضعت يديها على قلبها.

وقالت: كان لقائي به جميلًا، جميلًا جدًا.، كان ذلك يشبه لحظة الدفء الأولى بعد أعوام من السقيع،

كلحظـة الليـن الأولى بعد أعوام من القسـوة، كأول شـعور بالقـوة بعـد أعوام مـن الضعف، كوجـود الأمان بعـد أعوام من الضياع، كامتلاك كل شـيء بعد أعوام من الفقر، كان ذلك أمانًا ودافئًا.

-دافئ؟؟

- نعم دافئ، كان ذلك دافئًا ، دافئًا جدًا.

لعل للأحداث بقية

إلى اللقاء.

❖ ❖ ❖

بقلم الكاتبة: أميرة أشرف الحمادي

المحافظة: من مدينة دمياط ..

إحدى وعشرون خريفًا من العمر

أدرس في كلية التربية

أعمل لدي المجلة الإلكترونية بوابة النيل الإخبارية

"ف «جزاء الصبر يفوق مد البصر .. "

كل الشكر لدعوات ودعم أمي وأبي وجدتي وأهلي وأصدقائي ..

❖ ❖ ❖

«هدية القدر»

«قد يؤخر اللّه الجميل ليجعله أجمل ثق باللّه ولا تيأس»

يقول: خرجت من منزلي واليأس والغضب ممتلئ بي، وكأنه لا يوجد قلب حزين في هذه الدنيا إلا قلبي، ذاهبًا لعملي كعادتي أحمل علي صدري جبلًا، كان أشبه بكرة جليد تراكمت وأصبحت جبلًا يحتاج إلى زلزال أو معجزة من السماء ؛ حتي يتزحزح دومًا أقنع عقلي أن نهاية الطريق ستكون جيدة، ولكن يأسي يتغلبني دومًا حتي فقدته مجددًا.

"أين المسئولية؟.. ماهذا الاستهتار؟ لم ذلك التهاون في العمل؟ ومنذ متي وأنتم تتأخرون في تأدية العمل؟

يا أهلًا ومرحبًا، أنت تحديدًا مطرود.. تفضل.

- يافندم أنا.

«ليس من حقك أن تتحدث .. أنت الآن خارج الشركة ولو أطلت الحديث ستحرم من باقي راتبك»

هذا كان حواري مع مديري حقًا لا أعلم ماذا حدث، ولمَ يقول هذا ولم أنا طردت من المتضح أن زوجته قد وبخته..

خرجت من الشركة والذهول علي قلبي يفيض متسائلًا، لم كل هذا لم أفعل ما جزيت؟.. أحقًا يعاقبني اللّه؟ ولكن على ماذا؟ .. ما لم أفعله؟ .. أسياعقبني اللّه على يأسي فقط..! ثمة أحاديث وأضغاث تحوم حولي حتى كادت تقتلني، وصلت إلى بوابة شركتي وأدرت لها ظهري، تنهدت وقلت من دون وعي لنا لقاء.. لم أعلم معنى تلك الجملة ولكنها لربما خرجت من أخر آفاق قلبي.

فتحت البوابة إذ أني أرى فتاة تبلغ من العمر حوالي عشرين عامًا متألقة وجميلة جدًا.. شعرت أني أعرفها منذ زمان منذ ولدت تقريبًا شعرت أن هناك سهمًا اخترق قلبي، نسيت العمل وتوبيخ مديري ويأسي ووقفت أتأملها كما وأنها الفتاة الأجمل على الإطلاق، أو كجوهرة نفيسة نادر وجودها، فلا بد أن أملأ ظمأ عيني منها، من ثم نظرت إليّ وجدت في عيناها بحور دموع وآهات، حاولت أن أتساءل وسط صفاء السماء ولمعان النجوم، ولكن قبل أن أحاول أن أفتح فمي للحديث أدارت ظهرها خجلًا، ماذا يحدث أنا لا أفهم شيء؟ ولمَ تخجل مني؟ فضولي أجبرني أن أنتظرها وأعلم من تكون، ولمَ تدير ظهرها؟ فكري كاد يقتلني.

مـن المعتـاد أن فكـري دومًـا يقتلنـي ولكنني حيـن رؤياها كنت أشبه بالمسحور.

حين كنت أنتظر قمري لاحظت أن قلبي يتساءل:

«علـي مـن تنظر ومن نتظـر.. لا تنسَ نفسـك تذكرها جيدًا ، تذكـر مـن أنت، ولا تتـرك خيالك يصور لك كل مـا هو محال فقط».

لـم تمـضِ إلا دقائق معدودة وإذا بها خرجـت وخرج قلبي معها قبل أن تخطو هي، لم أعلم لمَ تصرفت هكذا وهل دق قلبي لها؟ اسـتوقفتها ، وقلـت: إذا سـمحتي هل لي أن أتحـدث معكِ خمس دقائق فقط، وبعدها احكمي ماتشاءين، ابتسمت وتورد وجهها وردت لنبتعد قليلًا عن هنا.

أنا نظرت لنفسي وقلت تلك الجميلة وافقت ولمَ؟! أنا فاشل ولا أسـتحقها.. ذهبنا لمكان قالت أنهـا كانت تتمني أن تقابل فيه شريك حياتها ، وقالت أنها ابنة صاحب الشركة ، وقالت أعلم أن أبي قام بطردك لأنه لاحظ أنني ابتسـمت لك مسـاء يوم الخامس والعشـرين فـي حفلة عيد زواجه هو وأمـي أي أمس، لأنه خيل له أننا عشاق.

قال لها مسرعًا من دون تفكير: أنه محق، ذهلت الفتاة وتورد وجههـا أكثـر وأكثـر، وانتهت الخمـس دقائق فقامـت مغادرة مبتسمة و كادت السعادة تفطر منها.

ياقمري.. انتظري، انتظري رجاءً، ذهب مسرعًا محاولًا إيقافها ووقـف أمامها تمامًا لا تفصل بينهما سـوى بعض السـنتيمترات..

خجلت كثيرًا والتورد أصبح إحمراراً.

«الخمس دقائق انتهوا في سماعي لكي خمس أخريات تسمعييني بهم رجاءً ؟»

قالت: إنني تأخرت ولابد أن أعود.

«خمس دقائق فقط»

الحمد للّه وافقت علي أن تسمعني، أنا اسمي عثمان، عمري الخامس والعشرون، أنهيت كلية الهندسة وكنت أول الطلاب على الجامعة ؛ لذا تم تعيني بشركتكم بعقد عمل هههه أعتقد أن والدك قد نسي ذلك، وأنا من غضبي ويأسي تركت الأمر وقلت يحدث مايحدث، وطردني من دون علمه من أنا من غيرته الشديدة عليكي إنه محق، إنك أجمل من الحوريات «تتزوجيني؟»

كدت أن أفقد وعيي عندما قال لي عثمان ذلك، إنني أحب أن أراه منذ أن رأيته في الحفل، أذكر أن أبي يحبه كثيرًا وفعل هذا معه ؛ لمَا أنا قلت له أنني سوف أفكر في الأمر.

لم تركته محتارًا هل أنا أحببته؟

ذهب كل منهما إلى منزله. قص عثمان على أمه حكايته مع أميرته رحبت أمه بالفكرة وقالت ولم لا؟

ذهبت مريم إلى أمها قصت هي الأخري تلك القصة عليها، فسألتها أمها:

-أتحبينه؟

-لا أعلم يا أمي.

-كيف لا تعلمين.. أتريدينه لكِ زوجًا؟

-سأستخير اللّٰه ويفعل مايراه خيرًا.

-حسنًا ، ولكن لدي سؤال لمَ وافقتي أن تقابليه؟

-أحسسته مظلومً، ا فأردت أن أوضح له الصورة وحقيقة الأمر، هو ظلم بسببي، وأنا شعرت بالذنب لأجله ؛ فحاولت أن أخبره بما حدث، من ثم أخبرني أنه يحبني، لم أشعر بنفسي إلا وأنا أقول له سأخبر أمي، أأخطأت يا أمي؟!، اعتدت منكِ أن تخبريني حقيقة أموري حتى لو كنت مخطئة.

-لا ، لم تخطئي صغيرتي أنتِ فعلتِ ما يرضي الجانب الإنساني في داخلك.

-أرى منكِ قبولًا وأرى لعيناكِ لمعان.. محقة أنا.. أليس كذلك..؟!

-ربما بعض الشيء.

-إذن سوف أتحدث مع والدك حين يعود.

-ولكنني غير متفائلة أبي قام مؤخرًا بطرده يا أمي أتستوعبين ذلك؟!

-تفاءلوا بالخير تجدوه.

-تفاءلي ياصغيرتي.

ذهبت مريم إلى غرفتها داعية مترجية ربها أن يلطف الموقف وأن يفعل ما به خيرًا ، وأخيرًا عاد الأب وكان في غضبٍ شديد ، ومازاد سرد القصة غضبه إلا غضبًا ، حاولت الأم فهم الأسباب ولكنه قال:

«ألا يوجد صباح للحديث.. أهذا وقت يصح الحديث به؟»

اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم، اللهم قرب لي الخير حيث كان، اللهم يسر ولا تعسر، اللهم إنك أنت أعلم بما في صدري فلا تخيب لقلبي رجاءً، يامغيث أغثني، يامغيث أغثني، يامغيث أغثني.. اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

هكذا كانت أصوات عثمان عندما كان يناجي ربه من أجل التيسير، ومريم هناك هي الأخرى مثله تتمني أن يتم تيسير الأمر.

أتى الصباح والأم منتظرة ولم يفعل الأب أي شيء يوضح أنه في وقت مناسب ليحكي ماهي الأسباب؟ أتى صباح غيره، ومساء، وصباح، ومساء، حتى فات أسبوع كامل من دون أن يقول أي شيء وعثمان ومريم في رجاء للّه، جاء يوم الجمعة حيث يكون البيت شبه هاديء، حاولت الأم أن تعرف ماذا به وماهي الأسباب؟

بعد معاناة كبيرة قال لها أنه أفسد له مشروعًا مهمًا جدًا، وأنه مستهتر، وأنه لايعرف اللّه، حقًا أضاع منه مشروعًا يساوي ملايين وأتريدينه لابنتك؟!

يا أبا مريم إنه الأول على كلية الهندسة كيف له أن يفعل هكذا؟ لربما أنت مخطيء أو ظننت به سوءً؟ أو لم يخطأ عن عمد.

وكيف لكِ أن تعلمي كيف يسير شغلنا الخاص؟ اجعلي الأمور تمر بسلام الليلة، فشيطاني حاضر ولا أضمن رد فعلي»

كانت الأصوات تترد في القصر حيث كان كبير أو صغير، الأصوات تعلو به، سمعتهم مريم وظلت تبكي طوال اليوم وتتحسر، وفوضت أمرها لله وظلت تدعو لله أن يظهر لها الخير وأن ييسره لها.

وحين أتى المساء قررت أن تكلم عثمان توبخه وتقص عليه ماحدث لعل أباها مخطىء ؛ فيحاول أن يظهر له حقيقة الأمر.. أو لربما سمعت لصوت قلبها.

السلام عليكم.. كيف حالك عثمان؟ أنا تحدثت إليك الآن لا من أجل سماعك ؛ بل من أجل أن تسمعني أنت، ولتعلم أنها ستكون الليلة الآخيرة التي تسمع لصدى صوتي صوت.. أبي يقول أنك أفسدت عملًا يقدر بملايين، وأنك لا تصلي وأنك مستهتر، وأنك شخص سيء .. بعدما تنهدت ومسحت عن وجنتيها دمعتها.. أحقًا أنت كذلك؟

مريم.. مريم.. أنا أترجاكِ أن تسمعيني بالله عليكِ، والله من المؤكد أنه أخطأ بشيء، أنا من المحال أن أفعل شيء مثل ما تقولين وإن حدث فإنه سيكون من دون قصد، مريم لابد أن نتحدث ثمة أشياء كثيرة لا تعلمين عنها شيء.. مريم لابد أن أراك مجددًا عشر دقائق فقط.

-لا ولن يحدث إنه محال

-مريم أنا بحبك والله مريم مري... الخط قطع

❖ ❖ ❖

دخل أبو مريم وبخها وقال لها ..

أتحبين ذلك الفاشل.. تغضبين ربك من أجله أنتِ نسيتي من أنتِ .. تنهكين جدار الثقة الذي بيننا من أجل من..!

يا أبي هل لك أنت تسمعني.. أنا حدثته لأستمع من الطرف الآخر لأنك ربما مخطيء.. أرجو منك أن تبحث في الأمر.

ذهب غاضبًا وكأنه لا ينوي على الخير أبدًا.

بعد قليل ذهب إلى مكتبه ليحاول أن يخرج غضبه في أوراقه، هو اعتاد أن يسجل بعض الأحداث التي تمر في يومه.. أمسك القلم وفكر.. هل يحق أن أسجل شيئًا مثل هذا في أوراقي؟! أأسجل أن ابنتي، فلذة قلبي تتكلم مع رجل غريبٍ، وتبكي من أجله؟!.. ماذا أكتب؟ أأكتب أن ابنتي تخون ثقتي؟!.. يا الله امنحني وامنح قلبي قوة أقدر بها على التماسك حتى لا أضعف فيضعفون من بعدي، سيجن جنوني حقًا ابنتي أنا.. يا الله امنحني القوة يا الله.

ذهب إلى غرفة نومه ليجدد وضوءه ؛حتي يصلي ركعتين من أجل أن تطيب نفسه.

-ألقي السلام فقط على الأقل.

-لا داعي لتخبرني شيئًا أدعو الله أن يزيل عما بك

-صدقني ياعزيزي أنا قلقة بشأنك حقًا، فضفض معي أنا زوجتك، والدة ابنتك فلذة كبدك.

لعنة الله عليكم جميعًا.. ارتاح قلبك الآن وتقولين تدع الله من أجلي، وأنت تثيرين غضبي .. تريني لا أجاوبك إلا صمتًا

إذا فلتصمتي وتتركيني على راحتي .. تدعين أنكِ تعلمي أنني لست بخير وتريدين أن تطمئني عما بصدري.. وأين أنتِ مما تفعله تلك الفلذة التي تتكلمين عنها.. أنتِ هنا وكأنك لستِ هنا.. انا سأخرج من تلك الغرفة حتي لا أترك العنان إلى شيطاني ليخرجكِ أنتِ منها ، وإلى الأبد إياكِ أن تلحقي بي.. ذهب أبو مريم إلى مكتبه بعدما جدد وضوءه .. صلى ركعتين حتى تطيب نفسه.. ظل يستغفر قليلًا حتي جاءه هاتف

السلام عليكم.. أليس خيرًا؟.. أيوجد أحد يتصل في ذلك الوقت؟ .. أخبرني ماذا تريد؟

- أعتذر منك يا سيدي ولكن الأمر في غاية الأهمية.

❖ ❖ ❖

وعليكم السلام عم أمين.. أنا بخير.. كيف حال أخبارك؟

- أنا بخير يا بني ولكن صوتك لم يرح صدري.. أأنت بخير؟!

- أنا بخير.

- لا أظنك بخير على الإطلاق .. أنا أعلم أنه بسبب المدير الذي قام بطردك أليس كذلك؟.. ولكن ما يثير جنوني أنه كيف قام بطردك وأنت عاقد عقد عمل مدته خمس سنوات وغير ذلك أنت جيد جدًا في العمل.

- واللّه أنا أخجل أن أعترف عما حدث عن حق ولكنني لم أقترف ذنبًا وربي يشهد.. الذي حدث هو.... ومن ثم قص عثمان على الرجل الطيب حقيقة الأمر كله من أوله إلى منتهاه .. كان يشعر بعقد حاجبيه حزنًا عندما يقول شيئًا حزينًا ويشعر بتفاجئه

من كلمة أو موقف حدث.. حتي أنه استمع إليه كما وأنها قصة خيالية يستمع إليها طفل في السادسة ومستمتع بأحداثها ويتشوق إلى نهايتها.. من ثم سكت فجأة ثم قال:

-كيف حدث كل ذلك ومن دون علمي ولا أدري شيئًا؟.. أنا سأتصرف لا تحمل عبئًا.

❖ ❖ ❖

أنهي عم أمين حديثه مع عثمان، وحدث المدير، إذن الهاتف الذي تلقاه المدير كان عم أمين !

السلام عليكم.. أليس خيرًا.. أيوجد أحد يتصل في ذلك الوقت؟! .. أخبرني ماذا تريد؟

-أعتذر منك يا سيدي ولكن الأمر في غاية الأهمية..!

ـ لربما أنت نسيت أو تناسيت أن هناك عملًا ينتظرنا صباحًا!.. تفضل في عجالة أخبرني ماذا تريد؟

- صراحة أنت أولًا مثل ابني وأنا منذ كان والدك صاحب الشركة وأنا أعمل بها .. تربيت أنت على يدي.. أعلم عنك كثيرًا من الأشياء، أري في صوتك هذا كثيرًا من الغضب والحزن، لربما أشياء ضاقت لها نفسك أدعو الله أن يزيلها .. حتى صمتك وأن تصبر على طول حديثي، أعلم أنك ترى أنني على حق وابتسامتك الآن أعلم بها .. المهم أنا لن أطيل الأمر عليك.. من الأشياء البشعة أن تظلم أحدًا.. أن تتفوه بعبارات لأشخاص مظلومين أمام أشخاص أخرى لا يستحقون .. الخلاصة من كلماتي تلك.. أنني أثق أنك ظلمت عثمان.. إنه من يأخذ بيدي

إلى المسجد ، وعلى خلق ، أنا أثق به مثل ثقتي بك.

-ولكـ..

-ولكن ماذا؟! دعني أكمل .. هو من أخبرني بكل شيء وأنا لا أعلم كيف أتت لك كل تلك القسوة أن تدعي أنه أفسد مشروعًا ، أعلم أنك تغار على فتاتك ، ولكن كن واقعيًا لا تغار عليها من اللاشيء.

-أنا بالفعل أغار عليها من اللاشيء ، ولكنه حقًا أفسد المشروع.

-أنا لم أقتنع بذلك الحديث ، دعني أرى شيئًا صباح الغد ومن ثم أخبرك ماذا تفعل وماذا يستحق.

-من أسلوبك أرى فيك يقينًا .. إذن حسنًا فلنتوكل علي الله.

❖ ❖ ❖

جلس أبو مريم في حيرة شديدة يفكر فيما سوف يفعله عم أمين ، وأنه كيف ترجم تصرفاته بسهولة هكذا؟.. وهل هذه رسالة من ربه له لابد أن يستغلها؟.. وهل هو ظلم عثمان عن حق؟.. وهل هو بالغ في الصراخ علي زوجته وابنته؟

التفكير قاتل قتل النوم طيلة تلك الليلة.

أما عن مريم فهي في بكاء ورجاء.. عثمان فوض أمره لله .. خاصة بعدما تحدث مع عم أمين وأخبره أن يكثر من الصلاة على الحبيب وأن يكثر من قول .. لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك له الحمد وله الشكر وهو على كل شيء قدير. من ثم كثرة الحول لله.. " لاحول ولاقوه الا بالله "فقد أخبره أن

الصلاة على الحبيب تفرج الكرب.. والحول لله تفعل المعجزات.. و لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك له الحمد وله الشكر وهو على كل شيء قدير تزيل الذنوب كما ولو كانت مثل زبد البحر.. بالتالي ستعاونك على الوصول إلى ما تريد في وقت ميسر.

جاء الصباح ذهب عم أمين إلى الشركة باكرًا على غير العادة .. هم جميعًا في حيرة شديدة من أمر هذا الرجل يبدو وكأنه يعلم شيئا.. يفكرون في حقيقة أمره يستبشرون به خيرًا.. وعندما وصل ذهب إلى حجرة الكنترول متجهًا بالكاميرات إلى غرفة عثمان ورأي ماحدث!! ماهذا؟!!! يا إلهي إنني كنت أعلم ولكنني كنت أغلب شيطاني، إنه سليم ذلك الوغد، إنني لن أتركك كيف يفعل ذلك ألا يخشي ربه! .. ألا يعلم بأمر الكاميرات التي توجد هنا!.. أيظن أنه يستطيع أن يتخفي؟ ولكن يتخفي مِن مَن؟ هناك رب يسخر الوصول إلى الحقائق.. أنا لن أترك الأمر يمر بسلام سيأخذ كل ذي حق حقه.

❖ ❖ ❖

-السلام عليكم عثمان.. كيف حالك؟.. أنا كنت أحاول أن أغلب شيطاني، ولكن رب العالمين أعطاني درجة عالية من الإحساس وكنـ..

- ياعم أمين أخبرني ماذا حدث أرجوك؟

- سليم! أليس هذا بصديقك الذي تثق به ثقة كلية ويعلم أسرارك؟.. وأدق التفاصيل حتى أنه يعلم أسرار عملك .. أنا كنت أعلم أنه يوجد هنا كاميرات وأعلم أنه حدث خطأ ما، لست

أنت من يفسد المشاريع ويخون ثقة مديره ومن ثم زميله.. نعم بني.. سليم هو من سرق أوراق المشاريع، وخرب كل شيء، صديقك.. صديقك من قام بتوريطك.

- أعلم أنك لا تستطيع التفوه بكلمة، أشعر بك حقًا ولكن يابني..

- لابد أن نختار الأصدقاء الذين يتمنون لنا الخير، فليس كل من صادقك المرح صادقك المواقف.

- أنا حقًا مصدوم، ولا أعلم ما يجب أن أقوله.. حسبنا الله.

-الكلام في الماضي لن يضيف جديد، ولكن ربما هناك أفكار للتخلص منه.. بمعني أنني سأتحدث إلى المدير وأقص عليه حقيقة الأمر، وأنا أعلم أنه سيخجل من نفسه، وسيسامحك لا محالة.

-أنهى عم أمين مهاتفة عثمان وذهب مسرعًا لمكتب المدير ولكنه لم يأتي بعد، حاول أن يتصل مسرعًا..

-السلام عليكم يافندم، أنا علمت الحقيقة سبق وأن قلت لك عثمان مظلوم، أنا راجعت الكاميرات ؛ ولاحظت أن من أفسد المشروع هو سليم .. صديق عثمان للأسف.

-نعم من تقول؟.. سليم ! هذا من أخبرني أن عثمان ومريم بينهم قصة حب .. وقد قال لي أنهم يخرجون ويمرحون، ونصحني أن أبعدهم عن بعضهم البعض، وأخبرني ثمة أشياء سيئة عنه، وقال أنه متأكد من حديثه.. لأنه كان صديقه ويعلم عنه كل

شيء جيدًا.

-لاحول ولا قوة إلا بالله.. قدر الله وماشاء فعل.. أنا أفضل أن نتحدث إلى سليم وعثمان ونواجههم في الشركة هنا ويأخذ كل ذي حق حقه.

بعدما تنهد تنهدة ندم.. قال افعل ما تراه صحيح.

ابتسم عم أمين ابتسامة نصر الشعور.. من ثم ردد الحمدلله.

حاول عثمان مهاتفة مريم لأن يخبرها الحقيقة وأنه ظلم، أو أنه كان يريد أن يهدم جدار الحزن والأسي الذي بني لما علمه مؤخرًا.. أراد أن يخبرها ألا تغادره، وأن تظل إلى جواره، وأنها الأمل الوحيد له، أراد أن يقل لها أنه يحبها وأنه ليس بذلك السوء، ولكنها لم تجيب، إنها من المحتمل أغشي عليها من كثرة البكاء، قلق عثمان كثيرًا، وإذا به يفكر ويفكر من قلقه، يصور له شيطانه أنها لم تعد تحبه أو أصيبت بمكروه من ثم قاطع صمته رنين الهاتف.

- السلام عليكم ياعم أمين.. أخبرني هل يوجد جديد؟

- وعليكم السلام، الأمور تمر بسلام وقد أخبرت المدير بحقيقة الأمر.. صدم وقال أن سليم هو من أخبره أنك ومريم يوجد بينكما علاقة، وأساء إليكما كثيرًا ولكن الحق له يومًا يبزغ فيه، والظلم له يوم يتواري فيه.

- لن يصدم أكثر من صدمتي في صديق عمري مهما صور له عقله يا عم أمين .. الحمدلله وأنت على حق.

- حـدث ما حـدث.. والـكلام فـي الماضي محـال أن يضف جديد ، انظر إلى المستقبل وألقي عليه السلام فأنت ستقبل عليه بنصر بعد صبر.

- أنهي عثمان المكالمة معه ، من ثم اسـتعد إلى الذهاب إلى الشـركة ، حـاول مرارًا وتكـرارًا أن يصل إلـى مريم ولكنه لا يرى جواب.. دخل إلى الشركة وتنهد وابتسم ابتسامة نصر.

«أيا نهاية صبري.. كنت أعلم أنه لنا لقاء !»

❖ ❖ ❖

- السلام عليكم أتسمح لي بالدخول؟

- وعليكم السلام.. تفضل يابني.

- حقيقـة أنا لا أعلم كيـف أبدأ حديثي معك؟ أنا أعلم أنني أخطـأت بحقـك وظلمتك ووبختك أمام الجميـع .. أنا أعتذر منك يا بني.

- لا تعتذر يا سيدي .. أنا مؤمن باللّه وأثق به وبقدرته عزوجل.. تخيـل معي لحظة أنا تعلمت الكثير من هذا الموقف.. رأيت حقًا من هو الذي يسـتحق كلمة صديق، اقتربت إلى عم امين اكثر واكثـر تعلمـت منـه الاكثـار في الذكـر.. انا نجيت من سـليم نجيت منه.. اقسـم لك سيدي ان المره الاولي التي رأيت بها مريم ابنتك هي المره التي طردت فيها .. ثمه اشياء كثيره البلاء ليس الا لإقبال الخير.

- أنا أفهم ذلك الحمدللّه على كل شـيء.. أن اللّه يضع المرء في البلاء حتى يؤجر.. حتي يكافىء فلا تحزن.

- ظل كل من عثمان وعم أمين وأبو مريم في محبة وعتاب، حتي تصالحوا من ثم أخبرهم عم أمين أن سليم لم يأتِ، ربما فهم الأمر وهرب مثل الفئران.

- قال أبو مريم نذهب إلى منزلنا كعائلة ما رأيك يا عثمان؟!

- قال عثمان بعدما ابتسم خجلًا وفهم ما يقصده وردد سيكن ذلك أفضل.

- من ثم عاد المدير وعثمان إلى بيت مريم وقصوا القصة هناك .. ذهلت أم مريم من حقيقة الأمر.

- أما مريم كان شيء صغير ما في قلبها يؤكد أنه ظلم وإن الحقيقة لها يومًا ستظهر.

- مريم كانت تستمع إلى الحديث على درج المنزل وهي جالسة على أولى درجاته من أعلى تختبىء داخل بين أخشاب الدرج يمينًا.. تخالطت الدمعات بالابتسامات.. ثمة ضحكات على نهاية الصبر والدعاء .. لاحظ أباها دمعتها فناداها فأقبلت.. واعتذر منها ومن أمها أمام عثمان وأمين، ومن ثم أهدى أمها ورودًا تمثل اعتذرًا عما حدث ليلة أمس .. وطبع على جبين طفلته قبلة اعتذار وإشعال النيران في صدر عثمان ليرى محبته لها.

- يقول عثمان مخاطبًا مريم عندما رأيتك يا مريم للمرة الأولي كدت أن اخطفكِ بين أضلعي.. من كثرة اشتياقي لكِ.. لا أعلم، هل هو اشتياق عن السنوات التي مرت من قبل؟ أ لا ما هذا الجنون؟ ما أعرفه حقًا أنني شعرت باشتياقي لكِ، لا أعلم ك -يف أحببتك وكيف وصلت لدرجة الحب هذه؟!.. مريم

أنـتِ أجمل هدية أرسـلها اللّه لي .. أن اللّه ابتلانـي بلاء صغيرًا و اختبـر صبـري ؛ لأحصل على ترقية في الشـركة ، ومن ثم حفل لتكريمي واعتذاري وردًا لاعتباري ، ومن ثم أهم شـيء وهو أنتِ يا كل عمري.. أحبك وعشقتك ومنذ أول وهلة.

❖ ❖ ❖

بقلم الكاتب: إيهاب حسن

الأعمال السابقة: كتاب المحتوى صادم قصة على نهر السيمون

إهداء: إلى سيدنا محمد ﷺ لم يعد فينا قوى للصراع.. حتى في أبسط الظروف.

❖ ❖ ❖

المتاهة

- أخ.. يا رأسي؟ أين أنا..؟ من أكون..؟ كيف أتيت لهنا..؟!

- يهم بالوقوف من على الأرض الصلبة، ينفض الغبار عن نفسه، يستجمع شتاته، يرى وكأنه في جدران عالية مرصوصة فوق بعضها، إنه بين جدران متاهة، منها ما تعلق في الهواء منسدلة من أثر انعكاس الجاذبية، يسير بضع خطوات للأمام، يجدها تظهر أمامه، حورية كحور الجنان.. لم يقابل مثلها منذ عشرات الأعوام، بالطبع هو محظوظ بأنه محجوز معها وحدهما، بشفاهيته يداعب مسامعها يقول:

- من أنتِ، أين أنا..؟ من أكون..؟

- لا تقلق؟ أنت في أمان هنا.. أنا لا أستطيع أن أؤذيك، لا تعلم ماذا بانتظارك بالخارج.

- اقتربت منه قليلا، وضعت يدها على جبينه.. يسقط في دوامة، يتحرك العالم من مكانه، ينتقل إلى غرفة مظلمة،

ركض فتى صغير من الظلام للضوء فيتوقف أمام الشاب، يرفع يده ليصافحه، فيمد الشاب يده للفتى أمامه، يمسك يده بشدة ويكبر حجم الطفل.. لا لحظة إنه يتمزق..! تحول الطفل لذئب أسود كبير، مازال يمسك يد الشاب ونظره قد جحظ، فيخبئ وجهه من الهجوم.. ماذا؟ لم يحدث شيء؟ التفت الشاب يرى أين ذهب الذئب.. لقد عاد فتى صغير ينظر له ببراءة، أغلق الضوء وعاد في اتجاه آخر، يركض في ممر شقة كان يعود بظهره في أخر الممر حتى سقط، فيركض الشاب يود أن يلحق به.. اختفي الضوء مرة أخرى وعاد في جانب آخر، يد يكسوها الشعر تحمل الفتى الصغير، يركض به والدم يسيل من قدمه، من أثر سقوطه ؛ انقسمت قدمه لنصفين فينظر الشاب لقدمه يجدها ملتفة بأذرع حديدية ؛ حتى لا تنقسم ويستطيع السير بها فتذكر أنه...

- صوت لشخص يغرد بالفرنسية - لحظة قد انتهى وقت الرقص، كفاك رقصًا.. حان وقت الهروب من المسئوليات.. لا تقلق ستعتني بك والدتك.. لا تقف هكذا ألا تعلم لقد انتهى وقت الرقص، اهرب سريعًا قبل أن يمسك بك.. عليك أن تشرب ولكن اهرب يا صديقي.. أنت حبيس الحياة.. انتهى وقتك.

- تركت يدها من على رأسه ليعودا لجدران المتاهة، تخبره:

- أنا الصهباء أتيت هنا لأخبرك أنني أنتظرك على باب خروجك من المتاهة.. وعليك أن تأخذ مني هذا المفتاح على الضفة الأخرى لتصل للحورية فتون..! لكن، احذر من المتاهة.

-عبر من إحدى الممرات أمامه، رأى قاضي العيش وجهه

أسـود غاضب، يمكنه بضربـة واحدة أن يجعلـك تلقى حتفك، يمسـك مطرقة قبضتها علـى هيئة ثعبان.. ورأسـها من جهة مليئة بأسـنان حـادة الطبـاع، فلمـا رأى الفتـى يدخل عليه هـم بقذف المطرقـة في وجهه، فيتجنـب المطرقة لتفلت فتهشـم جدار من جـدران المتاهة، ركض سـريعًا خوفًا مـن أن يصاب من مطرقة قاضي العيش، فيقذف به بالمطرقة لتسقط على شرائح الحديد لتتهشـم فيحاول الشـاب الوقوف فيسـقط، مع اقتراب المطرقة منـه وهو يحاول فيقـوم راكضًا بكل قوته ويفلـت من المطرقة وقاضـي العيـش، خروجًا من إحـدى ممرات المتاهـة، ليجد من أمامه شـيخ الشـباب.. (يا إلهي) هو يقرأ الأفـكار ليس بالمعنى الصحيح هو يسـتطيع أن يتنبأ بأفعالك، شعره أبيض كالجليد، وجهه ثلاثيني وعينه بقعة سوداء تخلو من البياض، يرميه بالنار، هاربًـا مـن نيران شـيخ الشـباب وهو يلهـث، فيقابل بـاب العبور لحوريـة المتاهـة.. لكـن كان قد غطاه شـيخ الشـباب بالنيران فـكان عليه أن يقفز من خلال النار فركض سـريعًا واضعًا يده على وجهه.

- ما لك عبرت منها سالمًا.. لم ينجح الكثير في العبور، خذ هـذا مفتاحك، افتح الباب، اختبـارك معي كان عبور المتاهة لتجد حرية الجمال، سـتطرح عليك اختبارها، ولكن عليك بأن تتخذ حرصك فهي لا ترحم...

- هل تقصدين أنني نجحت في العبور..!

- وهل تشـك في ذلك.. هذه المتاهة الهدف منها أن تتوه عنك أنت.. وليس عن الطريق، وأن تتوه عن ذاتك كانت مهمة حقيقية

لنعلم هل تستحق أن تقابل الملكة أو لا؟

- ولهذا شعرت بأنني لا أعلم أين أذهب! كنت على وشك الموت..!

- هيا اذهب فتون تنتظرك.. سر قليلًا سيرشدك الطريق.. ولا تسأل كثيرًا.

- نهر العسل

- ذات شعر لونه كحبات الرمال، بشرة بيضاء، وشفاه لونها كالرمان، تهنئة بالنجاح في عبور المتاهة وبدون أي نذير تُملس بيدها على عنقها بإغراء، ينسدل من خلفها نهر من العسل، يزداد إدفاق كل ما اقتربت منه، تقول:

- هل تعبت؟ أتريد أن نرتاح قليلاً؟.. هيا أنا فتون فتنت جميع الرجال فلتأتي.. قبلني واشعر نبض قلبي، أرى قلبك يرتجف، ولم يعرق وجهك؟ انظر للسماء بدأ الليل ينثر عباءته السوداء المرصعة بالنجوم، استنشق رحيقي تعال معي في جنتي أنا الفاتنة!

- نظر لها وفي حديثها يقشعر له جسده، يبتعد عنها وهي تدعوه ليمارس معها شعائر الحب، وفي أخر خطواته وهو يعود للمتاهة حائرًا قالت:

- لم تهرب مني أنا الفاتنة فتون.. لا تهرب..!

- وتنقض عليه كنمرة ستطيح به.. يسقط أسفلها فتقبله بحميمية، فيمسكها من الكتف ويلقي بها بعيدًا ويركض.. فتلحق به من الخلف تمسك بقدمه ليسقط على الأرض، تشد

بيداهـا نفسـها لتمطتيه كحصان من ظهره وهـو ملقى فيبعدها بقدمه ويركض مرة أخرى.. ولكن هذه المرة لم تلحق به فقالت:

- يا أنت لا تهرب لن أرتكب معك أخطاء فأنت شخص نبيل.

- لـم على إمـرأة بجمـال فتون وفتنتهـا أن تروض عن نفسـها للرجال؟

- تلك مهمتي! أنا لا أروض عني؟

- إذا كنـت قـد اقترفـت خطـأ واقتربـت مني لقتلتـك وهذه رسالتي!

- خـذ المفتـاح ادخـل لتقابـل المستبشـرة، سـتعرض عليك اختبارها إنها مستعدة لمقابلتك!

- كيف ذلك هل كانت تعلم بقدومي؟

- لا تسأل كثيرًا أدخل فقط.

- نهر الضباب

- فتـح البـاب ودخـل، سـور كالصـراط يمتـد مـن جانبـي البـاب الـذي دخل منه يمتد لأخر نظره ذا ارتفاع شـاهق، وأمامه طريقيـن، طريق يؤدي إلى الشـرق وآخر للغرب.. الشـرقي مظلم وعلـى جانبيه زهور مضيئة.. الغربـي يأخذك إلى بعض البحيرات الصغيرة وليست عميقة وكأنه سيمشي في مستنقع مائي.

- فدخـل الطريق الشـرقي، فـي بداية الطريـق كان الظلام حالك حتى أنارت الزهور مروره

- زهور مضيئة.. لا أرى هذا كل يوم!.. ما هذا الصوت؟

- صوت لفحيح أفعى يأتي من خلف إحدى الأزهار، سمع صوتها وتأكد أنها أفعى عندما وجدها تنقض عليه سريعًا، أخرج سكينًا صغيرًا، وبحركة خفيفة قطع رأس أفعى بطول خمسة زراع.. وفيما كان يعبر الطريق قد وصل لنهايته، ليهنئهُ العدو الصادق بعبوره الطريق، وفي لمح البصر أخرج العدو الصادق سكين ويقذفه تجاه الشاب فيهرب منه بعد تفادي السكين، العدو الصادق هو إنسان بوجهين: وجه خير يخدعك، ووجه شرير يقتلك، وأشبه بالمسوخ أكثر، يشرب الدماء ويأكل لحم البشر، لو رأيته يومًا أعطي نفسك مكافأة، واهرب منه كما فعل الشاب، ولأنه بدين لن يلحق بك ولكن قذفة سكينته لا تخيب أبدًا.

- وفي ركضة نحو جسر فيه الخشب على شكل أسنان طفل صغير، لم ينبت داخل فمه إلا بضعة أخشاب، سور صغير جدًا لقلة ألواح الخشب الذي سيعبر فوقها، يركض سريعًا فوق الجسر فينكسر الخشب ويسقط في نهر الضباب، ومن خلفه تمساح يفتح فمه ويدخل بكامل جسدة إلى فمه، ليظلم مشهد الخلفية من ورائه وتتحول للون الأسود.

- أيها الوسيم..

- من؟ ماذا! لحظة كيف أستطيع التنفس تحت الماء؟

- يا وسيم هنا نفسك الحق والباطل هنا يبقى السر داخلك سر والحقيقة تبقى سراب

- لا أفهم (بضيق).

- هنـا اختبـارك وعليك بالمرور وإلا سـيزداد صدرك اختناقا حتى تموت..

- وماذا أفعل؟

- افعل ما تمليه عليك نفسك.

- وفي أقل من ثانية وجد نفسـه يسـقط وكأنه في الفضاء، يـرى شـخص صورتـه تنبعث مـن العدم ليظهـر أمامـه، أحدًا ما يحمـل طفل وتأتـي زوجته من خلفه، لا يـرى ملامح لأحد منهم، ثم يسقط الغطاء عن وجه الطفل ليرى وجهه يقبض قلبه للحظة، مـن ثـم تختفي الصورة أمامـه وتعود صورة أخـرى، فتاة في عمر العشـرين ترقص بين أحضان عشيقها، ثم وجد نفسه يقف بعيدًا يبكـي.. ذهبـت الصـورة للعدم مرة أخرى، ليجد نفسـه يسـقط لأسفل حتى وجد أنه يقترب من الأرض ليغمض عينيه فور وصوله للقـاع خـاف أن يرتطم بالعشـب.. أغمض عينيه قليـلًا وبدأ يفتح عينه برفق ليجد نفسـه ملقى على الأعشـاب في حديقة مع صفاء السـماء ونهـر بديع أمامه، جلـس على كرسـي وكأن أحد قد تركه هنا عمدًا.. بدأت أنفاسـه تضيق، تذكر حديث الصهباء بـأن هـذه اختبـارات.. وتذكر أيضـا الصـورة الـذي قابلها عند سقوطه من صفح الماء، قال لنفسه بصوت مسموع:

- إن الذيـن كانـوا يحملوني .. هـل يعقل فعلًا.. هـم والداي.. وهذه الأخيرة في الصورة كانت حبيبتي ولكنها كانت ترقص مع صديقي.. ما الذي سيبكيني بعد كل تلك المعاناة.. أين أنتِ يا من سميتي بالمستبشرة؟

- وفـي لحظـة هـدأ المكان تمامًـا حتى إنـك إذا ألقيت عود ثقاب على الحشـائش لسـمعت خرفشـته، تتبخر الصورة حوله، اختفـى كل شـيء مـن جديد.. عاد للأسـود.. انبثق شـعاع ذهبي يخطـف الأنظـار لتظهـر المستبشـرة أمامـه، أخذته بعيـدًا عن الجسر وتقول:

- سـوف أدعـك تذهـب لأني أنـا المستبشـرة.. وأنـا يجب أن أنصحـك بـأن لا تنظر للخلف.. خـذ هذا المفتاح امـشِ قليلًا بين الأشجار ستجد باب داخل شجرة هذا اختبارك الثاني.

- غابة الذات.

- بالفعـل قـد ذهب، ولكنه ترك خلفه جـزء من القمر وكل مرحلة تعبر تأتي الأجمل من قبلها.

- وفـي طريقـه لدخـول الغابـة وجد الأشـجار المثمـرة بكل جمالها، فروعها الممتدة للسـماء، ألوانها المختلفة الغريبة الذي لم يرَ مثلها قط.. ولكن قد لاحظ شيئًا غريبًا.. لاحظ أن الأشجار تـزداد ضخامة فـي خطواته.. حتى في مضيه مـع الوقت وجد أنه صـار بحجـم فأر بين الأشـجار التـى زادت ضخامـة بطريقة غير مألوفـة.. فكـر بأن يجلس و يسـتريح قليلًا لأن الليل أوشـك على البزوغ.. سمع صوت يدوي في الأرجاء، مصدره من السماء يرتعد لـه السـامع إنه برق ورعد.. بـدأ المطر يهطل بغـزارة يحف أوراق الشـجر ليزيـد الشـقاء على رجل بحجـم الفأر في أحضـان غابة مجهولـة بعيـدة كل البعد عن عالمه.. اشـتدت العاصفة، حملته المـاء علـى ورقة من أوراق الشـجر إلـى نهاية حفـة الغابة في نهر أو مـا شـابه ذلك.. ولكنه تشـبث فـي جذع شـجرة كبيرة وبدأ

يتسلق حتى دخل في منزل من منازل السناجب ودخل يحتمي من الأمطار.. نظر من المكان الذي دخل منه ليرى الأمطار وهي تركض في قاع الغابة...

- جلس جلسة القرفساء ثم ذهب في نوم عميق...

- في صباح اليوم التالي، اعتدل من مكانه ليجد خلفه سنجاب بحجم حصان.. انتفض مذعورًا، وينتفض السنجاب معه في ذات الوقت.. كلاهما مذعورًا من الأخر، فتوقفوا عن الصراخ لبرهة ويعودون للصراخ مرة أخرى.. نظر كلاهما للآخر حتى هدأ الطرفين.. اقترب بطل القصة من السنجاب بهدوء، وضع يده على رأس السنجاب، فأغمض عينيه يستمتع بتلك اللحظة أمسك السنجاب بيده ووضعه على قلبه، وكأنه يخبره بأنه يملك قلب مثله.

- في يوم جديد.. يرتد البطل سنجابة المخلص ويقفزون على الأشجار واحدة تلو أخرى، يبحث البطل عن مخرجه من الغابة لا يجد طريق العودة ولا باب الخروج.. وقف يمتطي سنجابه على أطراف جذع شجرة.. أسفلهم حفرة في وسط الغابة بحجم مئة ذراع.. قفز فيه السنجاب، يفرد جناحه الرقيق.. حتى وصل مسافة كبيرة لأسفل البئر، وجد في المنتصف شجرة يتجول حولها أفاعي كثيرة و في الشجرة باب صغير، تعلق السنجاب في الهواء يفكرون كيف سيدخلون الباب.

- أعتقد يا صديقي أننا يجب أن نخدعهم.. علينا أن نقف في زاوية لا يملأها الثعابين حتى يقتربوا فتقفز على الباب وندخل سويًا بعيدًا عنهم..!

- هبط السنجاب في زاوية لا يملأها الأفاعي، لاحظت الثعابين وقوفهم فبدأوا بالاقتراب منهما، قفز السنجاب يفرد جناحيه ويقف في الهواء حتى تجمعت الأفاعي أسفله، ذهب تجاه الباب سريعًا وعلى ظهره البطل، ركضت الأفاعي تجاههم، فتح الباب ودخل دون أن ينظر خلفه وأغلقه بقوة، وقف ينظر للباب، وجد الجانب الأخر منه قد تم بنائه بالحجارة ويبدو عليه أنه شيد منذ زمن بعيد، فنظر خلفه لم يجد السنجاب وكأنه قد تبخر.. ولكن قد رأى ما لم يرَ من قبل...

- المال والجمال.

- على يمينه جبال من ذهب.. وعرش لملك وغرفة تملأها المراية، وهنا على يساره «سدانين» حورية لا يمكن وصفها من شدة جمالها تجلس على عرش من ذهب وفضة، عينان سحرت البطل ولكن بداخله لم يفتن بعد فقال:

- أريد العبور للملكة!

- هل تمزح معي؟ انظر لذلك العرش سيكون لك سأعطيك المال والجمال.. ولكن ابقى معي سوف تحقق كل أحلامك، كل ما عجزت عن فعله..!

- لا.. لا.. دعيني أذهب، لقد عبرت من متاهة وغرقت في نهر من الماء، وظللت أيام في الغابة أبحث عن باب العبور.. وتقولي ابقى معي؟ لا لن أبقى عذرًا.

- إذا لقد اخترت الصعب مجددًا.

- دفعته بقوة داخل غرفة المراية، ليغلق عليه الباب ويرى ذاته

فـي كل مكان، وكأن مـن في المرأة صورة تنظـر له حتى لم يلتفـت ليرى أن وجهه لم يتحـرك.. فجأة وجد باب يتحرك بجانبه فقفـز مـن خلاله وجد أنه لـم يتحرك من الغرفـة.. جلس مكانه علـى الأرض ينظـر إلى عينيـه في المرآة.. مرة خمـس دقائق على النظر لعينه.. حالة من الجنون قد أصابته قام من مجلسـه يضرب في المرآة حتى تهشمت جميعًا، هو حتى لا يعلم ما هذا المكان الشـبيه بالكهـوف.. خـرج من باب وجـده خلف المرايـات ليجد نفسـه يقف على مقربة خمس مئة متر على الأقل، بعض قطرات الغبار يسـقط فوق رأسه ينظر لفوق يجد السقف يهبط، ركض للأمـام، حتـى رأى بـاب ربمـا هذا هـو مقصده، السـقف يهبط سـريعًا وأمامه وقت ليس قليل حتى يصل.. وقف أمام الباب يلهث والسقف انسدل لنصف رأسه...

- في دخوله كان يرى الحائط يهبط ليغلق الباب أمامه.. وفي التفاتـه وجد الملكة تجلس على كرسـي من الذهب الخالص، تجدل شعرها...

- أظنك تتساءل الأن لم كل هذا حتى تصل إلى هنا؟

- وهل لديكِ إجابة..؟!

- يا عزيزي لا يصل إلى هنا الكثير من الرجال.. كنت أنتظر قدومك.. من أين تحب أن نبدأ..؟

- منذ دخلت المتاهة.. إلى هنا.

- المتاهـة هـي النفـس.. وقاضي العيش هو الشـقاء، وشـيخ الشباب هو العمر، وفتون هي كل نزواتك، شهواتك، رغباتك،

حب الحياة، أما عن المستبشرة هي الماضي الأليم، العدو الصادق هو أوجه الحياة المتلونة.. حيث أن الغابة التي كبر حجمها وأنت أصبحت فيها بحجم فأر.. هي عمق الذات، عندما وجدت نفسك أصغر الأشياء فهذه ثقتك التى اختفت وبإصرارك قد وجدت باب الدخول لحياة جديدة.. كان يواجهك فيها سدانين وهي الأنانية.. عندما خيرتك بين المال والجمال رفضت الوقوف عند هذا، فأكملت حتى وصلت لي.

- لم أفهم شيء ماذا يعني كل هذا..؟

- طرقت جدائلها لتلتفت له وتقول:

- أنت في بداية عمرك كنت تائه بين الحياة، كورقة شجر تأخذك الحياة في أي اتجاه، حتى شاء الله بأن تكون لك روح صالحة ترشدك إلى الطريق الصحيح، وبعدها فقدت والديك في حادث تعرفت على صديق لك وقف بجانبك في محنتك، ورأيت إمرأة أعجبتك فخانوك، أتت المستبشرة تواسيك بعد أن خسرت كل شيء، فدخلت غابة الذات الذي اعتقدت أنك لا تساوي شيئًا و أصبحت بحجم نملة في نظرك و كان لابد عليك بأن تهبط للقاع حتى تستطيع الخروج منه.. وعند خروجك كان أمامك أن تفعل الكثير وبأنانية لكنك أبيت ذلك.

- عزيزتي الجميع يبحث عن مصلحته.. عن نفسه.. المال.. لباس جديد.. مأكل.. مشرب.. مأوى.. الجميع يبحث عن نفسه.. إنه العالم الفاسد.. أن أكون نقي.. بلا جروح.. أو روح متهشمة.. قلب ممزق.. أن أكون نبي في حياة تفرض الحزن وتعطي الكبد.. السعادة شعور جيد، ولكن ليس الكثير يمتلكه..

صاحب المال ينظر لما يتمتع به الفقير من راحة خاطره.. والفقير ينظر لمال الغني، والجميع يحسد ويبغض.

- نظرت له الملكة بألم وشفقة

- بنـي لم تنتـهِ الحياة بعد ، حتـى بعد أن عبرت مـن المتاهة.. الفتنة.. الماضي.. الغابة.. وبعد أن تحكمت في أنانيتك.. وتركت المال والجمال.. سـيقابلك الآن أبـواب وعليك بالعبور منها ، حتى تصل لما تريد وستجدني أنتظرك عند ضفة نهر الأمل.

- إلى لقاء آخر في رواية حور ميم..

تمـــــت

❖ ❖ ❖

قصة بقلم الكاتبة: علياء والى

❖ ❖ ❖

جدر الصمت

كان صوت الريح يعلو ويصفر، ورؤوس الأشجار تهتز في ذعر وكأنما ليست متيقنة من ثباتها في الأرض، وتهطل الأمطار وكأنها لن تنتهى أبدًا. ترتعش الأرض وكأنها تنتفض من سكونها، اندفعت تجري بجنون عبر الشارع تحت ذلك المطر الشديد.

كانت تحس أن الهواء البارد يخترق جسدها ويذيب عظامها من شدة برودته، كانت تنتحب بشدة وكأنما تفرغ الهموم التي أثقلت كاهلها و أصبحت تنوء بحملها واحدًا واحدًا.

وكان الناظر إليها سيخرج برأى واحد بعد أن يرى الطين وقد أغرق قدميها وأطراف ثوبها.

وهو أنها متشردة أو شحاذة، و عندما يرى غطاء الرأس الذى وضعته على رأسها، وأخفت به معظم وجهها سيدرك أنها هاربة من شخص ما، وسيكون محقًا فهى تهرب إلى المجهول ولا تعلم إلى أين تسوقها الأقدار.

مشت تستتر بظلام الليل، وصوت أمها الصارخ باسمها يتردد فى نفسها و يزلزل كيانها بحزن طاغ. لم تكن تعي ماذا تفعل حينما خرجت من منزلها؟ وكل ما استطاعت فعله هو الركض

و بأقصى سرعة ، كأنما تفر من وحوش ضارية بعد أن أغشت سحابة الهم عينيها وجعلتها تتصرف بلا عقل أو تفكير.

أضاءت الليلة المعتمة بسنا البرق، أحست نفسها وهى سائرة وحدها أنها بتلك الجزيرة الاستوائية الخاوية التى تراها دائًما بأحلامها أحست أنها وحدها تمامًا كما كانت فى ذلك الحلم.

كانت ترى نفسها والريح تعبث بثيابها و تطوحها بشدة و خصلات شعرها الكستنائى الطويل.

تلتصق بوجهها كانت ترى نفسها دائمًا فى ذلك الحلم وقد تشققت قدماها العاريتين وسالت منهما الدماء كانت تسمع أصوات طبول الهمج وصراخ فرخ صغير سقط من العش.

أحست أنها مثلة نعم هى هذا الفرخ الذى سقط فى دنيا غير دنياه.

خرجت هاربة تاركة وراءها ماضٍ حافل بالأحزان والأفراح ؛ مزيج من الألم و السعادة.

اندفعت تحت ذلك السيل من المطر وكأنها تحاول أن تغتسل من كل الآلام التي اعتصرتها.

أن تتطهر من كل لحظة عانت فيها لم تكن تدري أي طريق تسلك؟ ولم تدر هل ما فعلته صواب أم خطأ؟

لم تنتبه لثيابها المنزلية إلا فى هذة اللحظة. احتارت ماذا تفعل؟ و أين تذهب؟ و هى بهذه الملابس بكت بمرارة وحرقة و طافت بذهنها ذكريات الماضى و آلامه ، وتساءلت: هل يمكن لها يومًا أن تنسَ و تعيد بناء حياتها من جديد أم تظل تلك

الذكريات تعذبها وتقض مضجعها؟

لم تكن تدري إلى أين تذهب وليس معها نقود. هل تذهب لأحد أقاربها أم ترحل عن دنياها التي عاشت فيها سنين عمرها الماضية إلى عالم مجهول و دنيا لايعرفها فيها أحد.

سألت نفسها لم ساءت الأمور بهذا الشكل؟ وجدت نفسها وقد قطعت شوطًا طويلًا في الطريق المؤدي إلى مدينة قريبة من مدينتها.

كانت ترتعد من شدة البرد وتخاف من الظلام الحالك الذى يخيم على الطريق بعد أن غطت سحب الشتاء على نجوم السماء وقمرها.

مشت هائمة على وجهها تلتقط عيناها الصور و لا تثبت فى ذهنها ولو لثوانٍ أحست كأنما حائل ضبابي يحول بينها وبين إدراك ماحولها ظلت تسير حتى كلت قدماها وقد أحست بالراحة ؛ لأن ظلام الليل أبعد عنها أعين الفضوليين أحست برعدة تسري في أوصالها ، ماذا ستفعل حين يبزع الفجر وتهتك أشعة الشمس ستر الليل الذى تحتمى به.

ولم تدر إلا و قد تسمرت قدماها بجوار شجرة عجفاء على جانب الطريق وكأنها تحاول أن تستتربها ولم تدرك أنه وهم بائسة تحتمى بالمجهول.

أفاقت من ضياعها لترى شعاعًا من النور يصطدم بعينها ويعيدها من شرودها ، وفجأة وجدت ذلك الرجل واقفًا أمامها بكل هيبته وتجهمه ، استغربت وقوفه أمامها ثم أدركت السر

فـى ذلك ، لقـد تحركت من مكانها واعترضت طريق السـيارة دون وعـي منهـا ، أمـا هو فقد ظـن أنها متسـولة اعترضت طريق سـيارته لتحصـل على بعـض المال.وجدتـه يخرج مـن جيبه ورقة ماليـة كبيرة يدسـها فـى يدها ؛ أفاقـت من هـول الصدمة وقد أحسـت بألم يعصـف بكل خلية من خلاياهـا وبكبرياء جريحة ردت له النقود بسرعة وشكرته.

تعجـب الرجل لتصرفها فهو لم يعرف أبدًا مشـردة بهذه الهيئة المزرية ترفض المسـاعدة فسـألها أتجدينه قليلًا لذلك ترديه أم أنك لا تدركين قيمة هذه الورقة المالية فترينها قليلة؟ ردت قائلة : بربك يا سيدي ليس هذا هو السبب ولكني لا أحتاج لمالك لذلك لـن أخذ ، نظـر إليها طويلًا وقد تملكه الغيـظ منها ؛ فهو يحس أنها تحتاج للمسـاعدة ولكنه اسـتدار ليتركها وينصرف وبينما يهم بالمغادرة بعد أن ركب السـيارة لمحها وقد انهارت وسقطت علـى ركبتيها ؛ فقرر أنه لن يتركها ولو أضطر لإكراهها على ركـوب السـيارة ، ولكـن ما أثار دهشـته أنه عندمـا رجع إليها وتوقـف بمحاذاتهـا وقد فتـح لها باب السـيارة وهو مقتنـع تمامًا أنهـا سـتعارض ، لكن واجبه يحتم عليـه ألا يتركها فوجىء بها تركـب السـيارة دون اعتـراض ، و كأنمـا استسـلمت لقدرهـا المجهول. لم يهتم لذلك أو يحاول تفسـيره حتى ، فقد كان كل همه ألا يتركها وحيدة فى هذا المكان الموحش.

جلسـت بجانبـه فى السـيارة و ثيابهـا تقطر مـاء فاعتذرت له بكلمـات قليلـة ، و لـم تنبس بعدها ببنت شـفة ظلا فى السـيارة لمدة تجاوز السـاعتين ، ولم يتكلم أحدهما بكلمة وكأن كل

واحد منهما يهيم بعالم سرمدى يتيه فيه بين الحجب.

بـدأت أنـوار المدينـة تتـلألأ من بعيـد فالتفـت إليها وسـألها مرتبـكًا أين تريدين النزول؟ التفتت إليه بأعين حائرة وقالت في أي مـكان فليس لي وجهة محددة أذهـب إليها ، نظر إلى عينيها لأول مـرة فانتفـض قلبه لهذا الحزن الدفيـن، والألم الذى تنطق بـه هذه الملامح الذابلة، ورأى بها شـرودًا يمنعها من الإحسـاس بما حولها ؛ فخاف عليها ولكنه لا يسـتطيع أن يفعل شـيئًا إلا أن يتركهـا وحيـدة. فليس من اللائق أن يأخذها معـه وهو يقيم فى شـقته بمفـرده، وفكر هل يذهـب بها إلى أخته فـى هذا الوقت المتأخـر مـن الليل ولكنـه محرج من زوج أخته فماذا سـيقول له عليها.

توقف بالسـيارة ونزلت هي منها وقد شـكرته ومشت بعينين مفتوحتين، لا ترى من خلالهما إلا دموعها وقد اندفعت مسـرعة لتعبر الطريق، ولم تنتبه إلى تلك السيارة القادمة من بعيد إلا وقد صدمتهـا ولـم تحس إلا والأرض تميد تحـت قدميها والدنيا تظلم من حولها.

أما هو فقد تسمر لدقيقة من أثر المفاجأة، ثم اندفع خارجًا من السـيارة ليراها وقد رقدت هامدة، وسـائق السـيارة التى صدمتها قد انحنى فوقها ؛ ليرى ما إذا كانت على قيد الحياة أم لا. سـأله سائق السيارة أتعرفها؟ فقطب حاجبيه، وأجابه بإيماءة من رأسه و حملها بين ذراعيه ووضعها فى السيارة و اتجه بها إلى المستشفى.

لم تدر كم من الوقت مضى؟ ولكنها عندما أفاقت وأدركت ما حدث لها ازدادت همًا ؛ فقد أضيفت تلك السـاق المكسـورة

إلـى متاعبهـا ، بـدأت تفقد عزيمتهـا ، أتعود ثانية إلـى دنيا فرت منهـا هاربة ، أم تنتظر قليلًا؟ وأدركـت أنها يجب أن تدفع نقودًا للمستشـفى، ولم تجد معهـا إلا خاتم ذهبي بيدهـا ، فنادت على الممرضـة لتخبرهـا أنهـا تريد بيعه ؛ لتسـدد فاتورة المستشـفى ولكـن الممرضـة نظرت إليها باسـتغراب ، وقالـت أن الدكتور «أحمد ثابت» قد تكفل بكل شيء فقالت لها : ولكنى لا أعرف هذا الرجل كما أننى لن أقبل أن يدفع لي أحد شيئًا.

احتارت الممرضة وأخذت منها الخاتم وخرجت، أما هي فقد ألقت برأسها على الوسادة ونامت.

أفاقـت من غفوتها بعـد قليل لتجد ذلك الرجل الذى اسـتقلت سـيارته جالسًـا بجوارها يحدق إليها فى صمت، واسـتغربت من نفسها كيف استطاعت أن تنام فى هذه الظروف؟

نظـر إليهـا و سـألها كيـف حالـك الآن؟ فنظرت إلى السـاق المكسـورة وقالـت: الحمـد للّه بخيـر ، مد يـده إليهـا بخاتمها الذهبـي وقـال لهـا : أبلغوني أنكِ تريديـن بيعه ، فقالـت: نعم. رد قائلًا : أنا لن أخذ منكِ قرشًا واحدًا فأنا صاحب هذا المستشفى ، ولن أسمح لكِ حتى بالاعتراض ، ورمقها بنظرة صارمة من عينيه فسـكتت ، فهى لم يعـد لديها القدرة على الجـدال. أخذ يدها و ألبسـها الخاتم و قد انبهرت أنفاسـها من تصرفـه التلقائي ، و لم تدر ماذا حدث لها ولكنها لم تنطق ببنت شفة.

عرفها بنفسـه قائلًا : أنا الدكتور أحمد ثابت طبيب و أسـتاذ جامعي وأنا صاحب هذا المستشـفى ، نظـرت إليه بعيون زائغة و قالت: وأنا «نور».

ابتسم لها لأول مرة منذ قابلته، وقال اسم رقيق يليق بملاك مثلك. أحست بالإحراج من شكلها وملابسها، وأدركت لأول مرة أنها ترتدي ملابس نظيفة غير تلك الملوثة بالطين، رفعت عينيها إليه بتساؤل، فقال: لقد قامت الممرضة باستبدال ثيابك، استريحي الآن و سأمر عليك فى الصباح.

فتحت نور عينيها فى الصباح بعد أن تخللت أشعة الشمس حجرتها و تذكرت كل ما حدث وهى لا تدري إلى أين ستذهب بهذه القدم المكسورة.

حاولت التفكير في حل لمشاكلها، و قد احتارت أتعود ثانية إلى دنيا فرت منها؟ أم تمضي قدمًا لعل الله يعوضها عن كثير مما فاتها، ولم تدر بنفسها إلا ودموعها قد أغرقت وجهها، فقد اشتاقت لحنان أمها، و كم تاقت نفسها في هذة اللحظة إلى بيتها؟ وفي غمرة انفعالها وجدته واقفًا أمامها ذلك الرجل الذي أنقذها عاقدًا حاجبيه ؛ وكأنه رافض لتلك الدموع على وجنتيها، ربت على ذراعها بلطف، وعلى وجهه ابتسامة هادئة جادة بعثت فيها طمأنينة العالم كلها.

طلب منها ألا تحزن أو تتضايق من وضعها، وأنه لن يتركها أبدًا، كانت تعلم أن حالات الكسور لا تبقى عادة فى المستشفى، ولكنها علمت من الممرضات أن الدكتور أحمد هو من أصر على استبقائها لفترة ؛ حتى يطمئن عليها، فاتخذت قرارًا أنها ستغادر المشفى فى هذا اليوم بعد الظهيرة، وتترك له رسالة لتشكره على تصرفه معها، ولكنها ما إن قامت من السرير حتى باءت خطتها بالفشل ؛ فقد وجدته أمامها وسألها

باستغراب أين تظنين نفسك ذاهبة؟ فخفضت بصرها وقالت: سأخرج، قال لها: هكذا بدون أن أعلم وأسمح لك بالخروج، كيف ستسيرين وقدمك هكذا؟ هل ستخرجين ثانية بثيابك المنزلية؟ فقالت له: أنا لن أظل أسيرة هذه الجبيرة فليس لدى وقت للراحة، زفر بحنق وهو لا يدري ماذا يفعل معها؟ ولكنه كان فى قرارة نفسه حانقًا على نفسه لم يتمسك بها، فليتركها تذهب. لم يحس أنه مسئول عنها؟ ولماذا هو منجذب إليها هكذا؟ نظرت إليه بعينين راجيتين وطلبت منه أن يتركها على راحتها، فما لبث أن استسلم، ولكنه قال لها: بشرط واحد أن أوصلك إلى مكان أطمئن عليك فيه فوافقت على مضض، فقال لها: انتظرينى لن أتأخر سأتيك بثياب، لم ترد واكتفت بالنظر إلى الأرض، كانت خجلة من وضعها. أما هو فسارع إلى بيته وأحضر بعضًا من ملابس أخته التى تركتها فى بيتهم حين تزوجت.

عاد إليها سريعًا ليجدها جالسة على طرف السرير كما هى لم تتحرك ونظراتها تائهة، ألمه ضياعها ولكنه لم يدر ماذا يفعل.

ترك الممرضة معها وقد استقر رأيه على أخذها لأحد الفنادق؛ لترتاح هناك حتى تشفى، كان يعلم أنها ليس معها أوراق تدل على شخصيتها ولكنه سيحجز الغرفة باسمه.

خرجت من المستشفى برفقته وقد أمسك بيدها وعاونها على الصعود إلى السيارة، وعدل ساقها المكسورة فانبهرت أنفاسها حينما اقترب منها، وتمنت أن ينتهى هذا الموقف سريعًا حتى تتخلص من قربه.

سارا لمسافة بالسيارة ولم تتكلم بكلمة، وانتبه أحمد أنها لم تتحرك منذ أن انطلقا بالسيارة، فالتفت إليها ليطمئن عليها ليفاجأ بأنها مغشي عليها ووجهها تعلوه حمرة شديدة. أوقف السيارة على جانب الطريق ليكتشف أنها تعاني من حمى شديدة، أسقط في يده كيف يتصرف؟ هل يعود بها إلى المشفى ثانية فهو لن يستطيع أخذها إلى أي فندق وهي بهذه الحالة؛ وفي النهاية حسم أمره سيأخذها إلى بيته وليكن ما يكون.

صعد بها إلى المنزل وهي لا تكاد تعي وقدماها لا تحملانها، وضعها في السرير في حجرة أخته وبدأ يحضر الثلج ليضع لها كمادات باردة، وجلس إلى جوار السرير على كرسي مقابل يتطلع إليها شاردًا وقد غاص في الكرسي الضخم وبدأ يراجع ما حدث منذ ليلة أمس، فأحس بدهشة من نفسه كيف فعل ذلك؟ وأتى بها إلى هنا ولم يخف عليها هكذا؛ بل لم أصلًا ينجذب إليها وهو المشهور بجفائه مع النساء وابتعاده عنهم.

لم جذبته هذه الشابة المشردة و لم يحس أن لها حضورًا طاغيًا حتى في هذه الملابس المتسخة؟

لقد أحس عندما ركبت بجواره في السيارة أول مرة أن نيرانًا تختلج في صدرها، وأن بصرها الشاخص إلى السماء يكاد يشق الغيوم إلى مجهول لا تعرفه.

لم ينتبه لنفسه بعد أن وصل إلى هذه النقطة في التفكير إلا على صوت حركتها واعتدالها في السرير. كانت قد مرت عدة ساعات على وصولهما إلى البيت، أما هي فقد نظرت إليه وهي لا تنطق ولمعت في عيونها آلاف الأسئلة: أين هما؟ وماذا

حدث؟ وهل؟ وهل؟ هداها قائلًا: اطمئني أنتِ بخير والحمد لله، كنت قد فقدت الوعي بسبب الحمى التي أصبتِ بها على ما يبدو بسبب ملابسك المبتلة في الأمس، فأتيت بكِ إلى بيتي ولم أتحرك من على هذا الكرسي منذ أن جئنا، ثم قال لها: هذه غرفة أختي"سارة». كانت لها قبل الزواج. وهذه خزانة ملابسها اختاري منها ما شئت وسوف أرشدك إلى الحمام، أطاعته صامتة وهي مذهولة من نفسها؛ كيف وضعت نفسها في هذا الموقف مع هذا الرجل الغريب؟ ولكنها ردت على نفسها: أنت لا تعلمي ما كان سيقابلك في الشارع وأنت وحيدة؟ كما أنك الآن ضعيفة بسبب هذه الساق المكسورة ولا حيلة لك، وهذا الرجل يبدو رجلًا جادًا ومحترمًا كما سمعت عنه من الممرضات في المستشفى، فلتركن إلى هذا المأوى حتى تلملم شتات نفسها.

أطلقت تنهيدة طويلة واعتدلت لتجده ينظر إليها بابتسامة خلابة، وكأنه استمع إلى الحوار الذي دار بينها وبين نفسها وارتاح لنتيجته.

سألته: كيف تدخل فتاة من الشارع هكذا إلى بيتك بدون حرص؟ نظر إليها بابتسامة هادئة وقال لها: هذا ليس بأسلوب فتاة من الشارع؛ أنا أستطيع التمييز والحكم على البشر جيدًا وأنا متأكد أن وراءك حكاية طويلة، ولكني لن ألح عليك بالسؤال طالما لا تريدين أنتِ التحدث بشأنها.

خرجت من الحمام بعد أن تحممت ووقفت في الصالة زائغة العينين، وقد لفت شعرها المبتل بنفس الإيشارب الذي جاءت به؛ وكأنها تتشبث به فلم يبقَ لها من أشيائها إلا هو. أشار أحمد

إلى غرفة أخته، وقال لها: استريحي وأغلقي الباب على نفسك من الداخل كي تطمئني ولكن انتظريني دقيقة واحدة. عاد بعد قليل وهو يحمل صينية الطعام، وقال لها: أنا حقًا لا أجيد إعداد الطعام؛ ولكني بارع جدًا في تسخينه فأختي تطهوه لي وتتركه في الثلاجة وأنا أسخنه، حاولت أن ترفض ولكنه صمم أن تأكل شيئًا، فأكلت القليل ورقدت على السرير دون أن تسحب الأغطية، وقد احتضنت مخدة صغيرة بشدة. هاله ذلك الحزن الصامت وتمنى لو يحمل عنها جزءً من آلامها؛ ولكنه لم يفعل شيئًا سوى أن سارع بجذب الأغطية عليها وتركها ترقد وحيدة وأغلق الباب من الخارج. أما هي فقد انهمرت الدموع من عينيها بلا توقف، ثم ما لبثت أن استسلمت للنوم وقد بدأت الأدوية تؤثر عليها.

هو الآخر ذهب إلى غرفته واستلقى على سريره وقد طار النوم من عينيه، ماذا سيقول للناس عنها؟ ومن هي أصلًا أخذت الأسئلة تدور في عقله، ثم ما لبث أن اجتمع دفء الأغطية مع إرهاق اليوم فتسلل النوم إلى جفونه سريعًا.

استيقظت في الصباح وقد أحست أنها أفضل حالًا، وبعد قليل سمعت طرقاته على باب الغرفة اعتدلت في جلستها وردت عليه تحية الصباح، ثم شكرته على ما فعله معها، وقالت له: لقد فعلت معي ما فيه الكفاية وأريد الذهاب من هنا، عارضها قائلًا: لن أدعك تذهبين وحدك إذا كان لديك أقارب هنا يمكن أن يأتوا ليأخذوك وهذا هو شرطي الوحيد، لكنها ارتاعت وقالت: لا ليس لي أقارب هنا ولا أريد أن أتصل بأحد؛ نظر إليها بصمت وقد أدهشته ردة فعلها وأدرك أن هناك خطبًا ما، فابتسم، وقال:

إذا لن تخرجي من هنا حتى تتحسني تمامًا، ولن تحسي بوجودي أبـدًا فأنا أقضي طيلة اليوم خارج البيت، وأتناول الطعام بالخارج غالبًـا علـى الرغم مـن إصرار أختي أن تطهو لـي، وهي فقط من تزورنـي تأتـي لترتب لي البيـت، فهي تعتبر نفسـها مكان أمي. رحمها الله. وعندما تقابلينها ستحبينها فهي مرحة وحنونة.

وفـي هذا اليوم اعتذر لأول مرة عن عمله، وقد اسـتأذن زميل له ليناظر حالاته نيابة عنه.

مـرت الأيـام بعـد ذلـك سـريعة؛ و قـد بـدأت تتمالك نفسـها وتسـتفيق مما أصابهـا، وهو فرح لتحسـنها وضائق صدره لقرب تركها المنزل.

نزعـت الجبـس عن سـاقها وقـد أدركت أنها يجـب أن تترك المنـزل، ولا تحرجه أكثر من ذلك كانت ممتنة له في داخلها، ليـس فقـط لأنه اعتنى بها؛ ولكـن لأنه لم يحوجهـا إلى رؤية أي شـخص تعرفه، فقد كانت محتاجة إلى هـذه العزلة، ولقد هيأ لها ذلك بشهامته.

أحـس هو بما يجـول في خاطرها وأنها تـود الذهاب، فأطرق صامتًـا وقـد أحزنه ذهابها، سـألها: إلى أيـن تذهبين؟ فأطرقت وقالت: لا أدري لا مكان محدد لي لأذهب إليه.

برقت عينه بأمل أخير تمسك به، فسألها: هل لديك شهادة ما؟ فأشـارت ببصرها وقالت: لا ولكن أسـتطيع القراءة والكتابة، فقال لها: ما رأيك أن تعملي عندي بالمستشـفى ولكنها تجهمت وقالت: لا أنا أكره المستشـفيات؛ ولكنها اسـتدركت وقالت:

هل يمكن أن أعمل خادمة هنا في منزلك؟ فارتبك قليلًا ولكنه وجد أنه الحل الأمثل لتكون قريبة منه، وقال لها: لكنك لن تكوني خادمتي؛ ستكونين سكرتيرتي، فكما ترين أنا أعيش في فوضى تامة.

فقالت له: لكني لن أسكن هنا؛ فقال لها: سنتدبر لك سكنًا قريبًا من هنا بإذن اللّه، وكأنما قد استجاب اللّه لأمنيته فقد رن جرس الشقة؛ وعندما فتح الباب وجد الطارق أخته سارة كانت نور قد تعرفت عليها وأحبتها لمرحها وتهذيبها.

دخلت سارة وقد أشرق وجهها عندما رأت نور واقفة على رجليها وهنأتها بسلامتها، روى لها أحمد الحديث الذي دار بينه وبين نور باختصار؛ فقالت له: أنا أعلم مكانًا قريبًا سيفاجئكما التفتا إليها كلاهما بتساؤل؟ فقالت: هنا في هذه العمارة شقة صغيرة مكونة من حجرة وصالة أخبرني عنها البواب بالصدفة منذ بضعة أيام.

طار أحمد من الفرحة؛ ولكنه حاول أن يتمالك نفسه حتى لا تنتبه نور أو أخته لشيء، قالت نور: خذ هذا الخاتم يا دكتور وبعه لأدفع من ثمنه الإيجار، حاول أحمد أن يعترض لكنها أصرت بشدة؛ فأخذه منها ليرضيها ولكنه لم ينو بيعه أبدًا.

فعلًا حصلت نور على الشقة الصغيرة، وساعدها أحمد وسارة على فرشها بقطع زائدة من الأثاث من منزليهما ولأول مرة منذ أن تركت نور بيتها تحس بالراحة، تأملت مملكتها الصغيرة بفرحة شديدة وتمنت أن تحمل لها حياتها الجديدة السعادة التي طالما بحثت عنها.

استطابت نور العيش هكذا ، كانت تنزل إلى شقة الدكتور أحمد في الصباح وتبدأ في ترتيب المنزل، وطهي الطعام، وشراء الأغراض اللازمة للبيت من الخارج، كانت تتقابل معه أحيانًا وفي أحيانٍ أخرى تمر أيام دون أن تراه.

كانت في هذه الأثناء قد اقتربت من سارة أكثر، وتعلقتا ببعضهما وقد استراحت لها سارة كثيرًا ، ولكنها لم تستطع أبدًا أن تستخرج منها كلمة واحدة عن ماضيها أو سببًا لصمتها الدائم وشرودها الذاهل.

بعد ذلك بحوالي أسبوع وفي أحد أيام الشتاء المشمسة الجميلة ، اندفع «خالد» الصحفي الشاب إلى المستشفى بسرعة كبيرة وعلامات السرور بادية على وجهه، وسأل الممرضة التي عرفته على الفور من الجلبة التي كان يحدثها عند زيارته لصديقه الدكتور «أحمد» أين ذلك الطبيب الناكر لحقوق الصداقة؟ أريده لأعاتبه؛ فهو لم يسأل عني وقد عدت من السفر منذ أسبوع كامل، وأيضا لأبشره بخبر سار، ابتسمت الممرضة التي كانت تعرف عمق الصداقة بين خالد والدكتور أحمد ، وأخبرته أنه يمر على المرضى وسيكون هنا حالًا؛ وبالفعل لم تمر عدة دقائق داعب فيها خالد كل ممرضة جميلة تخطو تلك الحجرة حتى عاد أحمد من مروره اليومي وقد تهلل وجهه حين رأى صديقه، واندفع إليه قائلًا وحشتني كثيرًا ، أما خالد فقد عاتبه عتابًا رقيقًا ، وقال له: لقد علمت من مصادري أنك ستحصل على جائزة علمية بسبب بحثك الأخير؛ ابتسم أحمد برضا وقال: إذا تحقق ذلك فلك مني الهدية التي تختارها.

ضحك فارس وقال: سوف أرضى الآن بدعوة على الغداء. رد أحمد: إذن سنتناول الغداء في منزلي، رد خالد وقد استغرب قائلًا: منزلك؟ هل تقصد أنك ستطلب لنا طعامًا هناك؟ إذا كنت تعني ذلك فأنا سأرفض؛ لأن منظر بيتك غير المرتب سيفقدني شهيتي، لقد كنت استغرب دائمًا كيف تكون إنسانًا ناجحًا هكذا وأنت تعيش في هذه الفوضى؟ ضحك أحمد وقال: لو ظللت تثرثر هكذا سنتأخر؛ لقد حصلت على سكرتيرة رائعة سأخبرك عنها ونحن في السيارة، هيا حتى نلحق بالغداء الشهي وفي الطريق روى له أحمد ما حدث أثناء سفره وكيف التقى بنور.

وصل الصديقان إلى بيت أحمد، وخالد قلق تراوده أفكار شتى بشأن تلك الفتاة فلربما كانت محتالة، وما زاد من قلقه هو إحساسه بأن أحمد متعلق بهذه الفتاة.

دخلت نور إلى الصالون وألقت عليهم التحية، وخالد يتفرس بها وكأنه يحاول سبر أغوارها، وجدها فتاة جميلة ملابسها عادية ومحتشمة؛ كانت ملابسها تنم عن ذوق رغم بساطتها أسلوبها رقيق في الحديث لا ينبئ أبدًا عن أنها مشردة.

نظر إليه أحمد وقال له: هل تعرفت إلى الملاك الذي هبط علي من السماء في ليلة عاصفة ليرتب لي كل أموري؟ ابتسم خالد ممازحًا إياه، وقال له: كل أمورك؟ ارتبك أحمد، واطرقت نور وقالت: سأذهب لتحضير المائدة. عندما خرجت عاتبه أحمد قائلًا: لقد أحرجتنا، فضحك خالد وقال: أنا لم أقل شيئًا ثم إنها جميلة، وقد كنتما هنا وحدكما؛ ألم تفكر حتى في شيء ما؟

نظـر إليه أحمد نظـرة جمدته وقال له: لا تزد بكلمة واحدة فهي أكثر امرأة محترمة قابلتها في حياتي.

أحس خالد أن أحمد يضع حدًا للنقاش بشأنها، فغير الموضوع قائـلًا: إذا فلنجـرب طهيها فليسـت كل الجميـلات بارعات في الطهي، فنظر أحمد إليه شاردًا وقال: إلا هي.

نسـي خالـد أفكاره حول نـور مؤقتًا بعـد أن وصلت له رائحة الملوخية والدجاج المحمر، ولم ينتظر جلوس أحمد إلى المائدة؛ بـل اندفع إلـى الطعام وأحمد ينظـر إليه ضاحكًا، ويسـأله: ما رأيك؟ فيرد خالد قائلًا وقد إمتلا فمه بالطعام: صدقت إلا هي.

لم تفهم نور ماذا يقصد بهذا الكلام، ولكنها أحست بالخجل فقـد أدركـت أن هناك حوارًا دار بينهما بشـأنها. أما أحمد فقد اسـتغل فرصة وجـود خالد معهما ليدعوها لتنـاول الطعام معهما حاولـت نور الاعتـذار محرجة؛ ولكن أحمد صمـم؛ فذهبت نور إلى المطبخ وأحضرت لنفسها طبقًا وشوكة وسكين، ولم تنتبه إلى أن طريقتها في تناول الطعام قد لفتت نظريهما كليهما.

جلس الصديقان يحتسـيان الشـاي بعد الغداء، ولاحظ أحمد صمت خالد على غير عادته، فسأله: ما بك؟ فأجاب خالد بجدية أدهشـت أحمد هـذه الفتاة وراءها سـر كبير، أنـا متأكد أنها ليست إنسانة عادية كما تبدو ولن أستريح حتى أحل لغزها، أما أحمـد فقد كان كل ما يؤرقه أن تكـون هاربة من زوج، وعدا ذلك لا يهمه أبدًا.

بعد انصراف خالد نادى أحمد على نور، وقال لها: آسـف أني

لم أتصل وأخبرك أن خالد سيأتي معي لتناول الغداء لقد تفاجئت لحضوره، وأعدك أني لن أصطحب أحدًا معي إلى المنزل إلا بعد أن تستعدي لاستقباله. اندهشت نور لأدبه الجم، وقالت له: أنت في بيتك ولك كل الحرية في فعل ما تشاء واصطحاب من تشاء إلى منزلك، وعملي هو خدمتكم؛ قاطعها شهاب وقال لها: كلا، أنت سكرتيرتي وتطوعك لتنظيم المنزل وطهي الطعام فضل منك.

نظرت إليه نور مليًا وقالت: هل أثر بك اهتمامي بحاجاتك ومنزلك هكذا؟ أو لم تدرك أني بدونك كنت سأكون الآن شريدة في الشوارع؟ ألم تعي أنك باهتمامك بي غيرت نظرتي للحياة وجعلتني أفكر بجانب مشرق فيها لم أره من قبل؟ لقد عرفت في منزلك معنى الأمان معنى أن يحترم الإنسان الآخرين لأدميتهم فقط وليس لشيء آخر.

صمتت فجأة لتسترد أنفاسها لتجده يحدق إليها بحيرة وتساؤل؛ ثم انفرجت أساريره وهو يقول لها، أكملي لم الصمت؟ فأنا حقًا بي فضول لاستكشاف مجاهل نفسك، لم كل هذا الشجن؟ اطرقت برأسها أرضًا وتنهدت طويلا، فقال لها: لن ألح عليك في السؤال لكني سأنتظر يومًا تأتيني فيه وتخبريني من أنتِ. يوما أسمع فيه الحقيقة العارية من بين شفتيك أما أنا فلن أبحث أو أنقب عنها أبدًا. ثم أمسك يديها بكلتا يديه فمادت بها الدنيا وقال لها: هل تعديني بأنك حين تكونين مستعدة يومًا أن تشاركي أحدًا بشجونك أكون أنا هذا الإنسان؟

نظرت إليه طويلًا وأحست كأن عينيه البنيتين غاصتا في

أعماقها واستخرجتا كل أسرار نفسها الدفينة، تشابكت نظراتهما وهي تحس أنها مقيدة ولا سبيل إلى الفكاك، ولكنها ما لبثت أن أفاقت واستوعبت سؤاله؛ فحركت رأسها إيجابًا، وقد لاح شبح ابتسامة على وجهها ثم سحبت يديها من يديه بسرعة واتجهت إلى المطبخ، وفكرها كله مشدود حوله أنه بلا شك منقذها؛ أنقذها مرة من الحياة في الشارع، وها هو الآن يحاول إنقاذها من حياة الوحدة والتيه في مجاهل اليأس والظلمة.

توالت الأيام بعد ذلك وتوطدت علاقتها بأحمد أكثر، كان يعجبها منه أنه كان يعاملها كند له ولا يستهين بتفكيرها؛ فقد كان يتناقش معها في الكثير من الموضوعات ويقتنع برأيها في كثير من الأحيان، أما خالد فقد كان كسب احترامه وصداقته أصعب بكثير، وكثيرًا ما كان يأتي مع أحمد فقط ليدرس تصرفاتها وكانت تعي ذلك وتقابله بكل هدوء.

كانت تعرف أنها وضعت نفسها في مأزق حين خرجت من بيتها متمردة على واقع لم تعد تقبله، ولكن لا مجال للعودة مرة أخرى.

في صباح أحد الأيام أتت سارة وقد أحضرت معها أغراضًا كثيرة، وقالت لنور: هيا أمامنا الكثير من العمل فلدينا اليوم ضيوف كثر، وأخبرتها أن لهم ابنة خالة أتت من السفر وأنها سوف تتعشى معهم وسيأتي خالد أيضًا، ثم ابتسمت وأردفت أن خالد لا يستطيع التأخر عن دعوة يلتقي فيها بصافي؛ فهو معجب بها ويحاول التقرب إليها، وأخبرتها أن عادل زوجها سيأتي أيضا

هو وأخيه المهندس محمود.

ارتبكت نور وأحست أنها ستكون مثار تساؤل الجميع، ولم تكن تريد مواجهة هذا الجمع من الناس، فقد كان أكثر ما يريحها في هذا العمل؛ أنها غير مضطرة لمخالطة أي أحد.

استأذنت سارة وقالت: هل يمكن أن تسمحي لي أن أجهز معك كل شيء قبل وصولهم وأن تعفيني من التواجد هنا أثناء العشاء؟ وسوف أقوم بتنظيف كل شيء بعد ذهابهم.

احتارت سارة أمام نظرات الرجاء في عيونها؛ وعندما همت بالموافقة خرج أحمد من مكتبه وكان قد سمع جزءًا من حديثهما وقال بصرامة: هذا لن يحدث، خفضت نور بصرها ولم تتكلم فهو له الحق في تقرير هذا الأمر بما أنه رب عملها.

أما أحمد فقد اقترب من نور وقد أحس بضيقها ثم نظر إليها مباشرة؛ وقال لها: لقد حان الوقت لتواجهي الناس؛ أنت لن تعيشي هكذا دائمًا وأنا لست أجبرك على شيء ولكن هروبك هذا غير مجد. أعلم أنك تواجهين مشكلة ما، وما يؤرقني أنني لست أدري ماهيتها ولكنني لا أوافق على هذه العزلة التي تفرضينها على نفسك.

ابتسمت سارة وقد أدركت لأول مرة أن أخاها قد تفتح قلبه للحب، وفهمت أنه يحاول أن يخرجها عن صمتها عله يعرف من هي فعلًا؟ فقررت مساعدته وقالت: إذا سوف أتخذ أنا القرار سوف نقوم أنا ونور بتجهيز كل شيء، ثم نخرج بعد الظهيرة لنشتري لنور ثوبًا جديدًا تلبسه حاولت نور أن تعترض فقد أنفقت

كل راتبها في شراء أشياء لسكنها الجديد، أما أحمد فقد فهم سبب اعتراضها فدخل إلى المكتب وأحضر بعضًا من النقود أعطاها لها، وقال هذه سلفة من راتب الشهر الجديد، وكان في نيته ألا يسترد منها هذا المال ولكنه يعلم أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتوافق.

بعد عدة ساعات قامتا فيها سارة ونور بتجهيز كل شيء، خرجتا معًا لتشتريا ثوبًا لنور التي اختارت ثوبًا بسيطًا تداخل فيه اللون الأسود مع الوردي، كان الثوب بسيطًا لكنه أنيق جدًا ورقيق. نظرت إليها سارة وقالت يبدو أنك ستستمرين بإدهاشي ولم تفهم نور قصدها.

اختارت نور غطاء رأس وردي واشترت بعض أدوات التجميل البسيطة، كانت سعيدة وملامحها مشرقة وكأنما تتعرف على الدنيا من جديد.

عندما انتهتا استأذنتها سارة لتعود إلى بيتها لتجهز نفسها هي الأخرى، وتأتي بصحبة زوجها وأخيه في المساء.

وقبل موعد وصول الضيوف؛ ارتدت نور ملابسها وقد وضعت قليلًا من الكحل وأحمر الشفاه وردي اللون، وعندما نزلت إلى شقة أحمد بالأسفل فتح لها الباب وقد تسمر في مكانه وهو يحدق بها! كأنه يراها لأول مرة، أخجلها تحديقه بها واحمرت وجنتيها وقالت له: ألن تدخلني؟ ورائي أعمال لأنجزها، ضحك وقال: بهذه الأناقة والجمال سأقوم أنا بخدمتك، ضحكت وهي تتجنب النظر إليه فقد كان جذابًا جدًا؛ وهو مرتديا بنطلونًا أسود وسترة سوداء وقميصًا أبيض ناصع البياض، دخلت إلى

المطبخ بسرعة حتى لا يلاحظ اهتمامها، وبقيت تتشاغل بالترتيبات حتى وصل أول الضيوف وكان خالد. فتح أحمد له الباب ونادى على نور لتحضر له شيئًا يشربه وعندما رأها خالد أطلق صفيرًا طويلًا أربكها، وقال لأحمد: الذي رمقه بنظرة معاتبة لا تنظر إلي هكذا فأنا أضعف أمام الجمال؛ لم تعلق نور بكلمة واستأذنتهم وخرجت.

أتي البقية تباعًا وحاولت نور قدر الإمكان أن تبقى فترات طويلة في المطبخ، ولكن هذا لم يحل بينها وبين نظرات الانبهار التي كان يرنو بها المهندس محمود أخو زوج سارة إليها وهي، أيضًا لم يغب عنها تعلق صافي بأحمد، وتفاجأت بنفسها وقد تضايقت من مدى قربهما من بعضهما؛ وقد تساءلت لأول مرة: هل تعجب صافي أحمد؟ وحتى لا ينتبه أحد إليها تعللت بتحضير الطاولة وابتعدت عنهم.

وعندما أتى وقت تناول الطعام صمم أحمد أن تجلس معهم، وكان قد قدمها إليهم على أنها سكرتيرته وكانت ممتنة له لذلك.

بدأ الجميع بالجلوس إلى الطاولة وقد أتت صافي وهي متعلقة بذراع أحمد وكأنها تعلن أنه من أملاكها. آلمها ذلك وتضايقت من نفسها أكثر مما تضايقت من صافي فما شأنها بهما، فهما أحرار في تصرفاتهما.

جلس الجميع إلى الطاولة، وقد جلست سارة إلى يمينها وجلس محمود إلى يسارها، بدأ الجميع بتناول الطعام ثم ما لبث كل اثنين أن انخرطا في حديث جانبي، أخذ محمود في التحدث

معها وكانت عيونه لم تفارقها منذ دخل وراءها ، بدأ يحدثها عن عمله وعن المواقف الطريفة التي تحدث فيه وهي تبتسم أحيانًا ، ولـم يفتها أن أحمـد كان يتابعهما بنظراته ولم يبد عليه الارتياح إطلاقـا ، بل أنها في بعض الأوقات كانـت تلمح وجهه مكفهرا ثم سرعان ما يتمالك نفسه ويتصرف بطريقة عادية.

أيضًـا سـارة انتبهـت إلى أحمد الـذي بدأ يتحـدث مع محمود ببرود غريب وعدائية ، فخافت أن تحدث مشكلة لذلك انتحت به جانبًا بعد تناول الطعام ، وقالت له ما بك؟ لم تتصرف مع محمود هكـذا؟ فزفر بضيق وقال ألم تلاحظـي كيف ينظر إليها؟ قال ذلك وهو يشتعل غضبًا نظرت إليه بصرامة وقالت: إنه لم يتجاوز حـدوده معها ، لكنك أنت مـن يتجاوز الحـدود باهتمامك الزائد بهـا ونحن لا نعرف عنها شـيئًا. أدرك أحمـد أنها تحاول ردعه عن الاستسـلام لمشاعره ، ولكنه لم يكن يملك إزاء هذه المشاعر شيئًا فقال لها بحزن عميق: وما فائدة اهتمامي بها وهي لا تراني أصلًا؛ وكأنها تعيش في عالم آخر لامس حزنه قلبها فلانت له ، وقالت اصبر يا أخي علنا نصل إلى شيء بشأنها بإذن اللّٰه.

أمـا نور فقد أحسـت بأنهـا تريد الانفـراد بنفسـها وأن ترتاح قليـلًا مـن تحديقهم بها ؛ فدخلـت إلى الشـرفة ولكنها لم تكد تدخـل حتى وجدت أحمد خلفها وقد اقتـرب منها ، وقال لها : ألم نتفق على أن تندمجي مع الجميع؟ ثم ابتسم وقال: ولكن أتعرفي أنا مرتاح لجلوسـك هنا وحدك على الأقل سـيتركك محمود في حالك قليلًا ، فابتسـمت وقد فهمت أنه مسـتاء من تقرب محمود منها وقد أسـعدها ذلك في قرارة نفسـها. لمحت القلق في عينيه

وهو يتكلم عن محمود ، وتمنت لو تطمئنه وتقول له: «اهدأ ليس في قلبي سواك» ولكنها لم تجرؤ على قول ذلك فهي تعرف جيدًا أن الوضع معقد وقد آلمها ذلك.

ويبدو أن مسحة من الحزن قد طفت على وجهها ولاحظها أحمد الذي لم تفارق عيناه قسمات وجهها ، فقال لها : ما بكِ يا نور؟ ألا تريدين أن تخبريني ما الذي يحزنك إلى هذا الحد؟ نظرت إليه وقبل أن تجيب دخلت صافي الشرفة وقد غاظها وقوفهما معا ؛ فقررت أن تضايق نور وقالت لها جئت لأشكرك على هذا الطعام الرائع ، لقد أثبت أنك خادمة ممتازة. فالتفت إليها أحمد بنظرة نارية وقد أدرك أن غرضها إهانة نور ، وقبض على يديه حتى ابيضت مفاصله ، أما نور فقد لاحظت غضبه وقررت تهدئة الوضع ، فقالت لها : شكرًا لك لقد أسعدتيني برأيك؛ فهم أحمد أنها لا تريد تأزم الموقف فهدأ هو الآخر وقد كبرت نور في عينيه وازدادت جمالًا على جمالها.

أما صافي فقد استشعرت الخطر من نظرته؛ وقررت أن تغادر المكان بهذا الانتصار الصغير.

وقف أحمد صامتًا يلعن صافي في سره؛ فقد ضايقت نور وقطعت حديثهما وربما كانت نور ستروي له شيئًا عنها ولكنه لم يشأ أن يضغط عليها.

دخلا بعد ذلك إلى الصالون لينضما إلى البقية ليجدا خالد يقول: أين أنتما تعالا لتعرفا ما نخطط له ، لقد عرضت على الجميع الذهاب في عطلة نهاية الأسبوع لتغيير الجو ، اعترضت نور وقالت: أعذروني فأنا سأبقى هنا وسافروا أنتم واستمتعوا

بوقتكم، نظر خالد إلى أحمد ليرى ردة فعله؛ فوجده متضايق وكان يعلم أنه لن يستمتع بالرحلة في غير وجودها فأراد مساعدة صديقه وقال بأسلوب مسرحي يؤسفني يا سيدتي أنه لا مجال للاعتذار وهذا ينطبق على الجميع، نظرت نور إلى أحمد بتوسل، ولكنه قال: خالد محق، فنحن جميعًا نحتاج إلى عطلة فهمت أنه يرفض تخلفها عنهم فسكتت.

ساد الجميع جو من المرح، وسألوا خالد: أين سنذهب؟ فقال إلى الساحل الشمالي خالتي تمتلك فيلا هناك وقد أصبح الجو دافئًا وسنستمتع بالعطلة إن شاء الله.

جاءت نهاية الأسبوع وقد أعدت نور أغراضها، وانطلق الجميع معًا في سياراتهم. أمضوا اليوم الأول في الاسترخاء على الشاطىء، وفي المساء خرجوا جميعًا لتمضية السهرة وكان محمود لا يترك فرصة يمكن أن يتقرب فيها إلى نور إلا انتهزها، وكذلك فعلت صافي مع أحمد، وكان هذا يضايق أحمد كثيرًا؛ ولكنه لم يرد افتعال مشكلة كي لا تتضايق سارة أو زوجها.

وبعد يومين من وصولهما وقفت نور على الشاطىء تراقب الغروب الذي تعشقه، وقد امتزجت ألوان الشمش الغاربة بلون عينيها العسليتين، وألقت بظلالها على وجهها فاكتسب رقة ونعومة ذابت مع صوت الموج وهو يضرب الشاطىء بلا كلل. اقترب منها أحمد وقد أحس بالصفاء يغمرها وكأنها حورية خرجت من الماء تكحل عيونها بشعاع الشمس الذهبي، ولأول مرة أمسك بيدها؛ ارتجفت وحاولت سحب يدها بسرعة ولكنه

لـم يفلتهـا ، وقـال لها : لن أصبـر أكثر من ذلك أريـدك فقط أن تعرفي مشاعري تجاهك؛ وأن دنياي بدونك لم تكن تعني شيئًا ، نظـرت إليـه ولـم تنطق ، وهـو لم يقف ليسـمع جوابهـا بل تحرك بسـرعة من أمامها ، جعلتها تفكر في نفسها ، أحدث هذا حقًا؟ ابتسمت وتطلعت للشمس الغاربة وكأنما ملكت الدنيا.

حاولـت نـور أن تتحاشـى النظـر إليه بقيـة الليلـة ، وهو كان يدرك ذلك ولكنه ارتاح بعد أن أخبرها بمشاعره.

فـي اليـوم التالـي بينمـا كانوا يقومون بالشـواء . فـي حديقة الفيلا . تحدثت صافي عن أحد الضيوف في برنامجها التليفزيوني ويدعـى "الدكتـور شـهاب" وكان جراحًـا مصريًـا يعيـش فـي ألمانيـا ، وأخبرتهـم أنهـا قابلته في اليوم السـابق ودعتـه لتناول الشاي معهم عصرًا ، وكانت نور في هذه الأثناء داخل الفيلا ولم تسمع شيئًا من الحوار.

وفعـلا أتـى الضيـف فـي موعـده ، وقـد جلـس الجميـع معه يتكلمـون عن التقدم في المجال الطبـي في مصر وفي ألمانيا ، عندمـا سـأل أحمد عن نـور فردت صافي: لم تسـأل عنهـا؟ إنها لن تفهم شـيئًا مـن هذا النقـاش اغتاظ أحمد وسـكت احترامًا للضيـف ، وبعـد قليـل أتت نور وسـارة مـن داخل الفيـلا وكانتا تحمـلان قطعـا من الكعـك وتضحكان معـا ، وعندمـا وصلتا إلى الجمع الملتف حول المائدة تسـمرت نور ولم تتحرك ، ووقف الضيف مذهولًا ؛ ما أدهش الجميع؛ حاولت نور الاستدارة والعودة إلـى الداخل لكنه لم يمهلهـا بل اندفع إليها وجذبها من ذراعها ، وقـال لهـا : انتظري ، أنا لـن أتركك تهربين ثانيـة أنا إلى الآن لم

استوعب ما فعلت سابقًا.ارتجفت ولم ترد ظل ممسكًا بها ، وهو يقـول: ألم تدركِ كم قلقنا عليكِ ، بقي الجميع يحدق إليهما في صمـت ما عـدا أحمد الذي قال لـه: أترك يدها هـل تعرفها؟ هل أنـت زوجهـا؟ ترك شـهاب يدها وقد أفـاق من عصبيتـه واعتذر؛ أجـل أعرفها وتعرفني جيدًا أليس كذلك يا دكتورة؟ نظر إليها الجميـع ليعرفـوا ما يحدث ولكنهـا صمتت، ولـم تجب فأردف شـهاب قائلًا: إنها الدكتورة "نوران عبد الفتاح" أسـتاذة جراحة الأورام بجامعة هامبورج بألمانيا ، وقد عملت كمساعد لها عدة سـنوات، وقد تسـببت لنـا بالجنون منـذ اختفائها ، ولـن أقل لك كيف حال أسـرتها بعد أن تركتهم وتركت كل شـيء وراءها بدون أي إحساس بالمسئولية ، كانت نور صامتة والدموع تنهمر مـن عينيهـا فاندفع إليها أحمد وأجلسـها على كرسـي مجاور ، بقي الجميع صامتين ينظرون إليها باسـتغراب وقد تذكر أحمد أنه رآها ممسكة بأحد المجلات الطبية العالمية وكانت حزينة جدًا ؛ وقال لها: ألهذا كنت حزينة عندما أمسـكت بهذه المجلة لأنها ذكرتك بعملك؟

فقـال له شـهاب: لأنهـا كانت تنشـر أبحاثًا علميـة بها ، وفي إحـدى أعدادها كانت هناك صورة لهـا ولفريقها الطبي بعد أن استاصلت ورمًا في المخ لشاب وكانت تعتبر ذلك إنجازًا طبيًا.

اقتـرب منهـا أحمـد وقـال لها: نور هـل هذا الـكلام صحيح فأومأت برأسـها إيجابًا ، ثم نظرت إلى شـهاب وقالت: أنا آسـفة يـا شـهاب لقد خذلتـك وخذلت الجميـع ، لقد كنـت أنانية ، رد شهاب: لقد يئسنا من البحث عنكِ ولن أخبرك كم تأثر مرضاكِ

الذيـن تمنوا أن تجري لهم عملياتهم الجراحية ، وأتمنى أن تجدي مبررًا يقنعهم بتركك لهم.

رفعـت نـور عينها إلى أحمد وقالـت له: أنا مدينة لك بتفسـير كل شيء.

جذبهـا أحمـد مـن يدها واسـتاذن الجميـع ، أحـاط كتفيها بذراعه ومشـى معها صوب الشاطىء تشيعهم نظرات الحسرة في عيـون محمود وصافي، وذهـول البقية الذين التفوا حول شـهاب ليـروي لهم كل شـيء عنها ، أحسـت صافي بالاختنـاق من هذه الحقيـرة التي يهيـم بها أحمد عشـقًا ، وقالت: أنـا متأكدة أنها هاربة من شـيء خطير ، ربما تكون قد ارتكبت جريمة وتحاول التملـص مـن العقـاب ، رد خالـد إذن صدقـت نظرتـي فيها فهي إنسانة عاقلة وقوية ولا أعتقد أنها تفعل شيئًا كهذا.

سارت هي وأحمد على الشاطىء الذي سطع بنور القمر ، وقد تشـابكت أيديهم وقد أحسـت بالراحة لأنها سـتزيل هذا الحمل عن كاهلها ، أما هو فقد أوقفها أمامه وقال لها: قبل كل شيء سأسألك سؤالا واحدًا: هل أنت متزوجة؟ فابتسمت وقالت له لا ، تنفـس الصعداء وقال لها إذا احكي ما شـئت لقد كنت مرتعبًا أن تكوني هاربة من زوج ما.

جلسا متجاورين على الشاطىء تستحثها نظراته على الكلام ولسـانه لا ينطـق ، نظـرت إليه وقالـت: أغاضب أنـت مني؟ فقال لهـا: ولـم ذلك؟ أنت لم تكذبي على ، ولم تدعي شـيئًا ، ولكنك التزمت الصمت ، قالت له: سأخبرك بكل شيء.

أنـا اسـمي نوران عبد الفتاح، نسـكن في مدينـة صغيرة لها طابـع ريفـي بالقرب مـن المنصورة، والـدي جراح، ولـي أخوين أصغـر مني، أما عن مشـكلتي فقد بدأت منذ زمن طويل حينما كنت طفلة ذات سـبع سـنوات تقريبًا؛ في هذا الوقت كان لأبي أخـت لم يكـن له من الإخـوة سـواها، وذات يوم أحسـت بالألم في ظهرها؛ واسـتلزم الأمـر إجراء جراحة لها، وفـي هذا الوقت كان أبـي طبيبًـا حديث العهد بالجراحـة، ولكنه أصر على أن يجري هو الجراحة لعمتي، وحاول زملاؤه إثناءه عن ذلك ولكنه أصر على رأيه، وحدثت الكارثة التي قلبت دنيانا ونغصت علينا عيشـنا لبقية حياتنا؛ لقـد أخطأ والدي أثناء إجـراء الجراحة لها وخرجت من العملية مصابة بالشـلل، ثم تدهورت حالتها النفسية بعـد ذلـك وماتت. كل ذلـك وأبي في ذهـول من أمـره لقد حمل نفسـه مسـئولية ما حدث لها كاملا ؛على الرغم أني سمعت أنها كانـت تعتـرض دائمًا على ذلك وتقول إنهـا إرادة اللّه ولا دخل له فيما أصابها، ولكن ذلك لم يكن يخفف عنه ألم ما حدث؛ وظل يعتبر نفسه السبب في كل ما جرى لها وأصر على ترك الجراحة والطب كليًا؛ مع أنهما كانا حلم حياته، وقرر أن يعمل بالتجارة ولم تقدر والدتي أن تثنيه عن عزمه ذاك وتركته متمنية أن يدفن همومه في عمله الجديد ويعود لحياته وأبناءه الثلاثة، وخاصة أن له توأما لم يتعدا من العمر شـهورًا هما أخوي الصغيرين، ولكن أبي لم يستطع نسيان ما حدث ولم يقدر على دفن الماضي ودفعنا جميعًا الثمن.

أكملـت وقد اغرورقـت عيناهـا بالدموع وقالـت: لقد حبس

والدي نفسه في عزلة كئيبة بعيدًا عنا أنا وإخوتي، بل وعن أمي التي أصبح قاسيًا جدًا معها يثور لأتفه الأسباب؛ ولا يكف عن توبيخها فيما بينهما أو حتى أمام الناس ولكنها صبرت وتحملت لأجله ولأجلنا وكبرت وأنا ضائعة.

أحب أبي وأكرهه في ذات الوقت؛ أخاف من شدته وتجهمه في وجهنا وأميل لتحديه، كنت أكبر من أخواي لأدرك أأأن ما يحدث حولي ليس عدلًا، كنت كثيرًا ما أغضب لأمي حين يهينها وأتوعده بانتقامي حين أكبر، ثم كبرت وفهمت أنه ليس عدوي بل هو أبي، وهو أولى الناس بحبي وليس كراهيتي. وبدأت تلك الصراعات النفسية بداخلي تكبر وتزداد عمقًا كلما زاد وعيي وإدراكي للحياة، كنت أنظر لعيني أمي فأجد بركتين عسليتين غارقتين في الحزن تستتران وراء أهداب طويلة متمنية ألا يحس أحد منا بشجونها، كان يقتلني صمتها وأنظر إلى أبي الذي انهمك في تجارته، وتحوله لشخص آخر لم تخفف الأيام من قسوته وشدته معها ومعنا أنا وإخوتي.

أصبح أبي ثريًا جدًا ولم يبخل علينا بماله قط، أو يحرمنا منه كما بخل علينا بعطفه وحنانه.

كبرت و قد إتخذت قرارًا أن أنجح فيما فشل فيه هو، قررت دخول كلية الطب رغم معارضته الشديدة لي؛ إلا أني أصررت وتفوقت جدًا في دراستي التي كنت أعشقها وعندما أنهيت الدراسة الجامعية سمحت لي تقديراتي المرتفعة وحالتنا المادية الجيدة أن أسافر لألمانيا لأستكمل دراستي، وتخصصت في جراحة الأورام، وتفانيت في عملي ودراستي حرمت نفسي من

كل متعة حصلت عليها فتاة في سني لم أكن أعي أني كنت أحاول لفت نظره هو، لقد أبهرت الدنيا ولم أستطع لفت انتباهه حتى. كنت أتمنى أن يفتخر بي وأرى في عينيه فرحة الأب بتفوق ابنته، ولكنه لم يكن يرانا أصلًا وكان أكثر ما يغيظني منه أنه كان يصب اهتمامه على ابن عمتي؛ وكان يقول دائما: حرمته من أمه فلن أحرمه حناني واهتمامي. كنت أغار من هذا الولد المدلل التافه الذي لم ينجح في شيء في حياته بسبب دلال والدي الزائد له، لم يكن يهمه من الدنيا سوى السفر والفتيات واقتناء أحدث الموديلات من كل شيء.

في هذه الأثناء تقابلت مع مهندس مصري يقيم في ألمانيا، جذبني بحلو حديثه وأحسست أنه عوضني حنان أبي فقد كان يكبرني بخمسة عشر عاما، وبعد توطد علاقتنا طلب مني الزواج فوافقت، وطلبت أجازة من عملي لأسافر إلى مصر واستأذن والدي أن يسمح له بمقابلته هو وأهله، ولكن أبي رفض مقابلتهم وصدمني تصرفه فألححت عليه في السؤال عن سبب ذلك؛ قلت له: لم ترفض مقابلته وأنت لا تعرفه حتى؟ وهالني ما سمعته، قال لي بكل بساطة لقد طلبك ابن عمتك وقد وافقت، فقلت له: وافقت دون أن تسألني؟ وكيف توافق على هذا الإنسان العابث الذي لم يحقق نجاحًا واحدًا في حياته؟ فلم يفلح في دراسة أو عمل.

نظر إلي بصمت وقال لي: هو ابن عمتك وأولى بك، ولن يظل هكذا سيغيره الزواج وتحمل المسئولية، ثم تركني ودخل مكتبه.

وقفت دقيقة غير مستوعبة ما يحدث وقد جن جنوني، ثم قررت أخيرًا أن أحطم جدر الصمت التي أقمتها بيدي، وسكنتها سنينًا وسنين، دخلت إليه في مكتبه وواجهته بتقصيره في حقنا، وقلت له: أننا لا نعني له شيئًا، وأنه يقدمني لابن عمتي كجزء من التعويض الذي ندفعه له جراء ما حدث لأمه. كانت أمي تبكي وتصرخ في وجهي لكي أصمت ولكني لم أملك غضبي، فقلت له، أنت ظالم سيحاسبك الله على أنك حرمتنا وجودك وأنت بيننا على قيد الحياة، نعم أعطيتني المال وحرمتني أن ألمس يدك، أن أسير في الشارع معك وأخبر أصدقائي أن هذا أبي، لقد كنت متأكدة أنك في بعض الأحيان لا تعرف في أي سنة دراسية أنا، ظل يحدق بي كأنه يراني لأول مرة في حياته ولم أدر إلا وقد صفعني على وجهي صفعة إرتج لها كياني، لحظتها قررت أن أتركهم إلى الأبد، أن أتخلص من هذا الصراع المميت، قررت أن أبدأ حياة جديدة لا وجود فيها للدكتورة نوران عبد الفتاح بنجاحها ويأسها وقهرها، وخرجت من البيت بملابسي التي قابلتني بها في تلك الليلة الماطرة.

كنت غاضبة منه لما فعله بي وبإخوتي، وغاضبة من نفسي لأني تحدثت معه بهذه الطريقة، وغاضبة من أمي لسلبيتها وعدم دفاعها عني وعن حقي في اختيار زوجي، وغاضبة من الدنيا التي حرمتني حنانه وهو حي أمامي يعيش معي تحت سقف واحد. كنت أسأل نفسي أي منطق هذا أن أحرم من سعادتي بأمر أبي الذي كان يجب أن يكون أول الباحثين عن سعادتي.

صمتت نور وقد شهقت بالبكاء وأحمد ينظر إليها؛ وقد تمزق

قلبـه من أجلها وقال لهـا : كم كنت حمقاء فيما فعلته بنفسـكِ وبهـم ومن يدري مـاذا حل بأهلك بعد مغـادرة البيت؟ أنا متأكدَ أنهـم جنوا من البحث عنك، نظـرت إليه بضياع وقالت: أنا أيضًا قلبـي يتمـزق لبعـدي عنهم ولكنـي لا أريد أن أعـود ، نظر إليها بحنـان وشـوق، وقال: أنا أيضًا خائف مـن عودتك فلن أقوى على غيابك ولن أتحمل ألم فقدك، ثم أمسك بيديها وقال: هل أحببته لهذه الدرجة فاستغربت وقالت: من تقصد؟ فقال ذلك الذي تقدم لخطبتك وتركت البيت بسببه، أحست بارتعاشة يده الممسكة بيدهـا وهـو يسـأل، شـردت قليلًا وقالـت: كلا لم أحبـه بقلبي ولكن عقلي تعلق به ليسـد فراغ احتياجي لأبي؛ وقد اكتشـفت ذلـك لاحقًـا ولم تسـتطع أن تقول لـه بعد أن عرفـت معك كيف يكون الحب.

تنفس الصعداء وقال لها : هيا بنا نعود إليهم فقد تأخر الوقت، عـادا إلى الفيلا ليجدا الجميع جالسـين كما هم، وفوجئت بأن شـهاب لـم يغادر، فذهبـت إليه وهـو جالس ووضعـت يدها على كتفـه وهي تعلم أن شـدة غضبه منها بسـبب عمـق صداقتهما ، وقالت له سـامحني يا شـهاب على ما سـببته لك من ارتباك، أنت تعلـم أنـك كنت صديقي الوحيد ، ربط شـهاب علـى يدها وقال لها : لا تقلقي يا نوران لقد تفهمت كل شيء حين قابلت والدتك، ولكنـي حزنـت لأنـك لم تلجـأي إلي وأيضـا تلك الربكـة التي أحدثهـا غيابك في المستشـفى كانت كبيرة، ثـم تنحنح وقال لهـا : لقد انتظرتك لأخبرك بشـيء لم أسـتطع إخبـارك به عندما ذهبت منذ قليل؛ توترت نور من لهجته واسـتحثته بعينيها ما الأمر

يـا شـهاب؟ فقال لهـا والدك طريـح الفراش منذ تركـت المنزل ويرفض تناول الأدوية ووالدتك أعيتها الحيل معه.

شهقت نور بالبكاء؛ وهي تعلم جيدًا أنها سبب ما حدث لأبيها ، وندمت لما فعلته تلك الليلة ، وقف شـهاب وأمسـك بيدها ، وقال لهـا : لا تخافي سيتحسـن كل شـيء وعندما هم بمسـح دموعها جذبهـا أحمـد برفق وقد اغتاظ لاقترابه منهـا هكذا؛ وقال لها : سنسـافر في الصباح ونذهب إلى أهلك مباشـرة ، فهم شـهاب ما جرى وأدرك غيرة أحمد وأنه يحبها؛ ولكنه لم يرد تركها معهم قبل أن يسـألها : أتودين الذهاب معي الآن؟ فنظرت نور إلى أحمد وقالت: لا سـأذهب مع الدكتـور أحمد في الصباح. تركها على راحتها واستأذن منهم وانصرف.

وفـي هذه الليلـة لم يغمض لنـور جفن كانت قلقـة على أبيها وتتمنى استرضاءه، ولكنها خائفة من ردة فعله.

اسـتيقظ الجميـع باكرًا ، وقد اختار خالـد وصافي ومحمود النزول إلى القاهرة؛ وقد ودعوا الجميع وتمنوا لهم السعادة.

جلسـت نور إلى جوار أحمد في السـيارة وتبعهم سارة وزوجها فـي سـيارة أخـرى، أخذ أحمـد يراقـب تعابير وجههـا من طرف خفـي، وهو يدرك مدى توترهـا؛ فحاول أن يتكلم في أكثر من موضوع ليصـرف ذهنها عن التفكير وهـي تعلم قصده فتجاريه قدر الإمكان.

وصلـوا إلى بيت نور قرابة الظهيرة، وتفاجأ الجميع بضخامته وحديقته الغناء التي كانت مبهجة جدًا ، هتفت سارة بعدما نزلوا

من السيارة: يا إلهي إنه قصر، كيف تسمين هذا بيتا؟ ابتسمت نور وضربات قلبها تكاد تسمع من بعيد، وقد كانت ترتجف تقريبا أدرك أحمد ما تعانيه فأمسك يدها بقوة ليطمئنها، ولأول مرة تضغط على يده بنفس القوة كأنما تستمد شجاعتها منه.

دخلوا جميعًا إلى الحديقة ليفاجأوا بشابين صغيرين يلقيان بنفسيهما على نور وهما يشبعاها تقبيل حتى أسقطاها أرضا، أخذت نور تبكي وسارة أيضا.

تابع عادل زوج سارة ما يحدث وقال لأحمد الذي روى له كل شيء بالأمس بعد خلود الجميع للنوم: كم كانت حمقاء وعرضت نفسها للخطر؛ لولا أن دفع الله بك إليها لتنقذها أومأ أحمد برأسه وقال: أعتقد أنها هي من أنقذتني يا عادل فالحياة بدونها لم تكن حياة.

هنا تكلمت سارة وقالت: ألن ندخل؟ انتبهت نور وقالت: طبعا تفضلوا أنا آسفة شغلت بأخواي قال لها أحمد: لا عليك. دخلت نور إلى الصالة، ودخل الجميع وراءها لتجد أمها واقفة أمامها غير مصدقة أنها تراها، وقفت فى مكانها وقالت لأمها: هل ترحبون بي هنا مرة أخرى؟ فتحت أمها ذراعيها وقالت لها: ماذا تقولين يا ابنتي؟ هذا بيتك ونحن أهلك يا بنيتي وما لا تعلمينه أن أباك كان قد كتبه لك في عيد ميلادك الواحد والعشرين، لكنه لم يخبرني إلا بعد أن تركت البيت، لذا فأنت فعليًا صاحبة هذا البيت ونحن ضيوفك. ولست غاضبة منك يا ابنتي ستبقين أبدًا نور فتاتي التي أفتخر بها وبأخلاقها.

سألتها نور على والدها، فقالت لها: أنه في فراشه فهو لم يسلم

من المرض منذ أن رحلت وهو دائم البكاء من أجلك، تمزق قلب نـور ونظـرت إلى أحمد فقال لها: لا تقلقي ولو شـئت صعدت إليه معـك، هنا انتبهت نور أنها لـم تعرفها على الضيوف فالتفتت إلى أمها وقالت لها: هذه هي عائلتي التي آوتني واعتنت بي حتى عدت إليكم، نظرت أمها إليهم نظرة عرفان وقالت لهم: لا أجد عندي ما أقوله فامتناني لكم لا تكفيه كلماتي ثم قادتهم إلى صالون كبير، وقالت: تفضلوا سأخبر زوجي بوجودكم.

صعـدت نور الدرج خلف والدتها وهي ترتجف، وعندما فتحت أمهـا بـاب الغرفـة رأت أباهـا يرقـد في السـرير ضعيفًا شـاحب الوجه؛ وكأنما أصبح شـخصًا آخر فلم تدر إلا وقد انهالت على وجهـه ويديه بالتقبيل ودموعها تغـرق وجهه ويديه، وقد اختلطت دموعهمـا معًا، أخذت تطلب من والدها أن يسـامحها وتخبره أن حبـه في قلبها قـد ازداد منذ أن تركت البيـت، وأنها نادمة على كل كلمـة تفوهـت بها ولكن عنادها هو مـا جعلها تتمادى ولا تعود.

احتـوى أبوها كفيها بين يديه كأنـه يحتضن كنزًا، ولأول مـرة تعـرف فـي حياتها طعم لمسـته الحانيـة. قال لهـا أبوها: يا ابنتـي، لقـد أخطـأت في حقكـم جميعًـا، أنا لم أكن قاسـي القلـب كما تعتقديـن، ولكني كنـت أخاف التعلـق بكم؛ لم أكـن أقـوى أبدًا علـى فقد أيًّا منكـم أو خسـارته كما فقدت أختـي التـي كنت متعلقًا بهـا، فأنا ربيتها عندما مـات والدينا، وكانـت أختي وابنتـي وأحيانًا كنت أحسـها كأمـي رغم أنها كانـت أصغر بكثيـر، وعندما فقدتهـا ماتت الدنيـا في عيني

فابتعدت عن الجميع، وقررت أنْ أغلق قلبي ولا أعلّقه بأحد أيًا كان، ولكن كم كنت مخطئًا وكم ظلمتكم معي؛ كنت أعتقد أنَّه يكفي أنْ أقوم بمسئولياتي المادية تجاهكم وكفى وأنَّكم لا تحتاجون مني لأكثر من ذلك، وكم كنت مخطئًا كنت أراكِ وأنتِ تتقدمين في دراستك وعملك وأعرف أنْ كل ما تحتاجينه مني هو نظرة تقدير أو كلمة تشجيع لكني بخلت عليك بها يا ابنتي، إنَّ خطأي في حقكم كان خطأً لا يغتفر، ولقد كنتِ صادقة في كل كلمة واجهتيني بها، نعم؛ لقد قصرت في حقكم وأسرفت في تدليل ابن عمتك حتى فسد، وكدت أخسره أيضًا فسامحيني يا ابنتي أنتم جميعًا مَن يجب أنْ يسامحوني. لم تنطق نور ولكنها إنكبت على يديه تقبلهما وكأنها تعوض حرمان سنين البعد عنه هنا تكلمت أمها بعد أنْ أحست أنْ الجو صفا بينهما، وقالت لنور: ألن تخبري والدك عن ضيوفك؟ تلعثمت نور وقالت: سأروي لك يا أبى كل شيء منذ تركتكم وبدأت تحكي لوالدها كل شيء حتى انتهت وقد أيقن في داخله أنْ قلبها تعلق بأحمد، فقال لوالدتها: نادي الدكتور أحمد والضيوف لأتعرف بهم وأشكرهم.

صعدوا جميعًا إليه ووجه الأب كلامه لأحمد وقال له: لا شيء يجازي شهامتك مع ابنتي ومحافظتك عليها، رد أحمد قائلًا: هذا واجبي وأىّ إنسان في مكاني كان سيفعل مثلي تمامًا. فقال الأب: لا يا بني لا يفعل هذا إلا كريم الأصل.

هنا تدخل عادل، وقال: إذا كنت مصرًا على إكرامنا فلنا عندك طلب يا دكتور عبد الفتاح أنا بصفتي زوج أخته وأخيه

الأكبر أطلب منك يد الدكتورة نورهان لتكون زوجة للدكتور أحمد نظر الأب إلى نور التي أشرق وجهها وأطرقت أرضًا ولم تغب عنه فرحتها فقال: أنا لا أحتاج إلى السؤال عليكم فما روته لي نور عنكم يكفي كما أنني واثق من اختيارها.

أطلقت الأم زغرودة حبستها طويلًا في صدرها لأجل هذا اليوم، ونزل الجميع إلى الأسفل ليرتاحوا في غرفهم، أمَّا نور وأحمد فقد خرجوا إلى الحديقة وبينما هم سائرين فيها قالت له: لمَّ أنت صامت هكذا هل أفهم أنْ عادل أورطك بهذه الزيجة ثم نظرت إليه مداعبة.

اعتدل أحمد إليها، ووضع ذراعيه حول كتفيها، ورفع ذقنها لأعلى لتلتقي أعينهم وهو يقول لها: لو تعلمين ما فعلت بي منذ قابلتك ضائعة وأنتِ تنظرين إليَّ بهاتين العينين كأنكِ عصفور صغير بلله المطر. لم تكن امرأة قبلك تثير فيَّ أيُّ إحساس؛ أمَّا معكِ فقد كنت أحميك كفارس يزود عن وطنه اختبرت معك إحساس الغيرة اللعين عندما أبدى محمود إهتمامه بكِ كنت استغرب من نفسي؛ لم تفر منَّي الكلمات في حضرتك؟ أيّ هيبة وجمال كانت تحمل نظراتك إذا تكلمتِ؟ كنت أصغي إليكِ بكل جوارحي، لم أكن أحس بلذة النوم إلا إذا كنتِ أنتِ محور أحلامي لو تعلمي كم كنت أرتعب عندما يجول بخاطري أنَّكِ هاربة من زوج وأنَّكِ لن تكوني لي.

نظرت إليه بوله وقالت: أنا أيضًا كنتُ أحاول أنْ أخبرك أنك حبيبي وفارسي ولكني كنت أحجم في كل مرة تارة بسبب حيائي منك، وتارة لأنني لم أكن أريد أن أخبر أحدًا من أنا والآن

أشهد اللّه يا أحمد أنّي أحبك ولم ولن يكون لي حبيب غيرك.

بعد شـهر من هذا اليوم ازدان بيت نـور بأبهى حلة، وأقيم فيه عرس تاق إليه الجميع معلنًا انتهاء عهد الأحزان، وتألقت نور في فستانها الأبيض كنجمة هبطت من السماء بين كفّيّ أحمد.

تمت بحمـــــد اللّه.

❖ ❖ ❖

قصة بقلم الكاتب: كريم غباشي

صاحب رواية «يعلمون الناس السحر» والمجموعة القصصية «وانفرطت حبات السحر»

❖ ❖ ❖

لعنة روح

الحـبُّ وحْـدهُ لا يكفـي، والذِّئاب البشـرية لا ترحـم، «آلاء» لـم تُكمل العِشْـرين من عُمرها فتاة مثـل أي فتاة تحلم أن تصبح طبيبة ماهرة، حلمها أن تعْمل في «مستشفى ٥٧٣٥٧» تحبُّ الخير ولكـن ما غيَّر حياتها رأسًـا على عقب هو الحُـب أو لعنة الحب.. فـي بدايـة الأمر أقنعها أنَّهُ يحبها وأنه سـيهلك بدونها إن تركَته لم تكن تعلم ماذا ينوي أن يفعل بها، أصرَّ كثيرًا على أن تخرج معه، كانت ترفض وقتها وبشـدة حتَّى جاء إلى منزلها وأخبرها من الشرفة أنه على استعداد أن يطلب يدها في صباح اليوم الثاني أرسل لها رسالة مكتوب فيها:

(أنتِ ستكونين زوجتي فلما لا نخرج معًا)

-وسوس لها الشَّيطان حتى أقنعها بالخروج معه وعندما التقت به طلب منها أن تذهب معه إلى الشقة موضحًا لها:

أنـا أخشـى أن يرانا أحد ويخبر والـدك، كانت تتحرك معه بثقة عمياء؛ فهذا هو الشخص الذي قد حصل على قلبها، وصلوا المنـزل كانـت رائحته كريهة؛ ما يعني أن الشـقة لـم تُفتح منذُ

وقـت طويـل، أخبرهـا أنه لا يجلس هنـا كثيرًا وأن هذه الشـقة ترجع إلى والده.

-جلسـوا يتحدثـون حتى سـمعت صوت طرقات البـاب العالية انتفض جسدها خوفًا وقالت:

-هل تنتظر أحد!

-قال بابتسامة بلهاء تخف الكثير:

- يبدو أنه «عم عبده» السَّباك.

- ألم تقل أن المنزل لم يفتح منذ فترة بعيد؟

- يبدو أن والدي مَن أرسله

-قـام وفتـح الباب لمحـة «آلاء» شـابًا يقِف معـه فأدخله وقام بإغلاق الباب بقوة

-علمت وقتها أنها وقعت فريسة بين يديهم.

-دخل الشـاب وجلس بجوارها وهو ينظر الى جسـدها بإغراء ثم أدار رأسـه محدثًا هذا الوغد الذي استدرجها إلى هذا المنزل قائلًا:

-هي ليسـت جميلـة بقدر ما أخبرتني ولكـن لا بأس تكفي ليوم واحد

-ولكن قبل أي شيء أين المال؟

-أخرج صديقه المال من جيبه وقال:

-هذه مائة جُنيه.

-ماذا؟ مائة جنيه فقط؟

-نعـم، أنت قد نصبـت علينا قلت أنها جميلـة وأنا لا أرى هذا الجمال.

-كانـت «آلاء» تتابع حديثهم وهي ترتعـش؛ لا تعلم ماذا تفعل ولكن عندما سمعته يقول:

-هـي معك افعل ما تشـاء ولكن اترك المنـزل نظيفًا قبل أن تغادر.

-قالت آلاء بصوت عال:

- هل هذا جزائي أني أحببتك أيها الحقير؟

-تبسم الذي يجلس بجوارها قائلاً:

-يبدو أنك غبية؛ وهل يوجد شيء يُسمى حب؟

-ثم أمسك يدها؛ انتفض جسدها وهمت لتغادر ف أمسك بها ووضع يدهُ على فمها وقال بحده:

-إن سمعت صوتك مرة أخرى سأقتلك، ألا تفهمين؟

-لـم تكترث لتهديـده ونزعت يده محاولة الخـروج من الباب ولكن قد أغلـق الباب بإحكام، سـمعتهم يضحكون فهرولت إلى المطبخ وأحضرت سكينًا وقالت بصوت مرتجف:

إن اقترب أحد مني سأقتل نفسي

-اقترب منها «علاء» وقال ساخرًا:

الفتـاة التي أتت هنـا قبلك كانت تقول نفـس هذا الحديث؛ يبدو أنكم تشبهون بعضكم، هيا لا يوجد وقت.

-فأخذهـا الآخـر على غفلـة وأمسـك يدها؛ ومزق ملابسـها

كانـوا ينهشـون لحمهـا والدمـوع تتسـاقط منهـا كالمطر؛ لم يرحمهـا أحد منهم ولـم يكترث «علاء» لصرخاتها حتى فارقت الحياة بين أيديهم ما جعلهم في دهشة قال «علاء» . الذي كانت تُحبه .:

يبدو أنها فقدت الوعي!

-نظر الآخر إليه ـ وقد على وجهه الفزع ـ قائلًا :

- لم تفقد الوعي بل ماتت!

-ماذا تقول؟

-أقول لك أنها ماتت هي لا تتنفس

-قال «علاء» معاتبًا :

-ألم أقل لك يكفي هذا؟

- دعك من هذا الآن لابد أن نخفي جثتها قبل أن نُفضح

- ولكن كيف؟

- تعال معي سأخبرك دخل الحمام وأخذ ينزع البلاط وأخبره وقتها أن أنسب مكان لدفنها هو هنا.

قاطعه قائلاً :

-لا لن أجعلها تدفن في الشقة !

- ومـاذا سـنفعل هل نخرج بهـا أمام الناس فيقبـض علينا هل تعي ما تقول!

-إن قمتَ بدفنها كيف سنتخلص من الرائحة؟

- رأيـتُ مشـهد في حلقـة برنامج مـن الجانـي أن الرجل دفن

زوجته ووضعها في الحمام وقام بوضع الخرسانة على جثتها

-عندي فكرة أخرى هل سمعت عن حمض الهيدروفلوريك

-لا!

-هو حمض قادر على إذابة الجثة وما سيتبقى منها سنأخذه خارج المنزل

-أُعجب بالفكرة وجاءت بترحيب لديه وقال متسائلًا:

-ولكن أخبرني كيف سنأتي بهذا الحمض؟

-عندنا في الجامعة لا تقلق ولكن أعطني بعض الوقت.

-مرت الساعات حتى أتى «علاء» به وقاموا بملء حوض الاستحمام، وأخذ صديقه يرتدي القفازات وهو يضع الحمض ما لم يعلمهُ عن الحمض أنه قادر على اذابة القفازات ومن الممكن أن يخترق الجلد والأنسجة بكل سهولة، وهذا ما حدث ولج الحمض إلى دمه فوقع على الأرض، كان جسده يرتعش حاول «علاء» أن ينقذه ولكن لم يُفلح نظراته وهو يرقد بجوار الفتاة التي أغتصبها غريبة وكأنه يقول لها سامحيني، فزع «علاء» مما حدث وتحول المنزل إلى مقبرة؛ بدلًا من جثة أصبحوا اثنين.

-حاول أن يُركز قليلًا وأخذ يُكمل ما كان يفعله صديقه ولكن بحذر حتى انتهى، أخذ جثة الفتاة وتركها حتى ذابت، فوضع حمض الكبريت في الحوض وأخذ يضع الجثة الثانية، وما تبقى منهم غير أحشاء بسيطة فأخذهم في حقيبة وألقاهم في الماء، شعر بارتياح فأخذ يُكمل ليلته وكأنه لم يفعل شيء؛

عاد إلى منزله الثانية وجد أخته في انتظاره وقالت بحد :

- لم كل هذا التأخير؟

- دعيني وشأني الآن.

-ماذا حدث؟

- لم يحدث شيء أريد أن أخلد إلى النوم.

-لم يشعر بتأنيب الضمير وكأنه نوع غير البشر نام ليلتها ، لم تمر ساعة حتى انتفض جسده وكأنه أصيب بمس كهربائي ، تنهد ثم قام إلى الحمام ، وعندما دخل وجد الباب مغلقًا مما يعني أن أحدًا ما بالداخل ظلَّ واقفًا ظنًا منه أن أخته من بالداخل ، مرت أكثر من عشرُون دقيقة فنادى عليها وطرق الباب أكثر من مرة فلم يسمع شيء ، وما إن مرت لحظات حتى فُتح الباب من تلقاء نفسه ولا يوجد أحد.

-ملأ الغضب محياه ودخل وهو مستاء ، ثم عاد إلى فراشه وتدثر فيه فصرخات الفتاة لم تفارقه ، لم يستطع أن يخلد للنوم ولكن سمع شيئًا ما يتحرك ببطء محاولًا فتح الباب ، نظر مترقبًا حتى وجد الباب يفتح ولكن لا أحد.

-قام وتحرك نحو الباب فإذا بنفس الفتاة التي قُتلت ، تقف في الطُّرقة ترتدي ملابس بيضاء مغطاة بالدِماء ، وشعرها الأسود المنسدل على وجهها أعطاها منظرًا مرعبًا تشيبُ له الرؤوس ، ابتسمت ابتسامة ألقتْ الرعب في قلبه ظل يقول وهو غير مصدق:

-أنا أحلم أنتِ خيال أعلم ذلك.

-ظلَّتْ تقتربُ منهُ وهي تقول: لم قتلتني؟

-رجع للقهقرة قائلاً:

-أنا لم أقتلك هو من قتلك.

-لم تتكلم وظلت تقترب حتى كاد «علاء» أن يقع من النافذة نظر خلفه فلم يجدها، اقترب ببطء ووضع يده على رأسه وتنهد وهو يقول:

-كان حُلم!

-وقبل أن يُكمل كلمته شعر بها خلفه كانت وكأنها تهمِس في أذنه وهي تقول: ملعون.

-جمع «علاء» كل ما أوتي من قوة وكأنه أصيب بهستيريا ثم التفت إليها وأمسكها من رقبتها وقال منفعلًا :

-نعم أنا من قتلتك وسأقتلك مرَّة أخرى.

-ظلَّ يَضْحك حتى نظر إلى وجهها فتفاجأ أن التي بين يديه ليست، "آلاء "بل أخته، وقع على الأرض بجانبها وهو يبكي:

-آلاء مستحيل أنتِ لم تموتي أخبريني لماذا لا تتكلمين!

-مرت سويعات قليلة وهو نائم بجوارها وقلبه يحترق، وكأن هذا كان عقابه على ما اقترف، قام وتركها وفرَّ هاربًا ولكن لم تتركه اللعنة!

-اختبأ في المزارع ظلَّ يأكل من القمامة؛ كان يرى الفتاة التي قتلها في وجوه كل من ينظر إليهم، حتى ظن أنه قد جُن، وجد أناس يتحدثون عن دجال يعالج جميع الأمراض الغامضة

ذهـب إليه طلبًا للمسـاعدة، فحكى له ما جـرى، طلب الدجال مبلغـا كبيـرًا مقابل فك اللعنـة، لم يكن أمام عـلاء حل آخر، ذهـب الـى صاحب متجر وهدده وأخذ الأمـوال عُنوة عنه ثم ذهب إلـى الدَّجـال، وهناك حصلـت الطَّامة فجأة تغيـرت ملامح وجه هذا الدّجال، وما إن مرَّت لحظات حتى وقع مغشـيًا عليه تركهُ «علاء» وهرب وأخذ المال معه.

-وفـي صباح اليوم الثاني علم أن الدجال قد مات محترقًا مما ألقى الرعب في قلبه، حاول أن يتخلص من لعنة الروح حتى يأس فحاول الانتحار فضلًا على أن يقبض عليه، هو لا يريد أن يمكثَ داخل السجن.. وأن تلازمه اللعنة بين هذه الجدران الأربعة، عزم على الانتحار، صعد فوق إحدى ناطحات السحاب وقبل أن يُلقي نفسه سمع صوت يأتي من خلفه يقول: لن تهرب من اللعنة.

-أدار وجهه فإذا بها الفتاة نفسها فزع منها وقال:

-سامحيني أنا أخذت جزائي.

-تبسمت وقالت:

-عقابك ستأخذه بعد موتك أما الآن لا..

-قال مستغربًا:

-وماذا تريدين منى اتركيني !

-أشـارت إليـه أن يتبعها فتقدمت قدمـه نحوها، كان يخطو خطـوة ترجع هـي خطوة، حتى وجد رجال الشـرطة بجـواره وتم القبض عليه.

-كانت تلازمه اللعنة في محبسة كل ليلة حتى حُكم عليه بخمسة عشر سنة مع الشغل والنفاذ، كان يتمنى أن ينطق القاضي بالإعدام فضلًا عن البقاء حيًا مع هذه اللعنة لم يحتمل عام واحد فقطع شراايينه ومات... رجعت روح الفتاة إلى مكانها راضية بعد أن أخذت حقها؛ ولكن هل تنتهى اللعنة بموته؟!

تمـــت

بقلم الكاتبة/ أمل محمد عباس.

❖ ❖ ❖

عندما ينهض الكبرياء لا مجال لقلبي

وحيدة في غرفتها التي تقع في مدينة صغيرة في شرق مصر، تهاجمها أفكار باتت مألوفة من كثرة المرور على عقلها ولكنها تلقي بها وتدميها وكأنها لأول مرة تهاجمها وتجثو عليها.

اشتعل بداخلها الغضب والحزن، وتفلتت منها دموع حارة رغمًا عنها، وانسابت مسرعة على خديها ترسم خطوط حزن متدلية من مقلتيها.. ما الذي أفعله بنفسي؟!

لماذا وصلت إلى هذا الطريق المبهم؟

استمرت تغرق في أحزانها التي اجتاحتها منذ أن تبدل أصيل النهار إلى ظلمة الليل، وظلت تتسارع مع الأفكار حتى شق الظلام يومًا جديدًا، ونهضت كعادتها لاستقبال يوم جديد ولكن يشبه كل أيامها، رن هاتفها نظرت إليه بطرف عينها فوجدت ياسر يريد التواصل معها، ابتسمت إسراء، وتقهقت بضحكات متقطعة.. أعدت مجددًا أيها الغبي؟!

كنت أعلم أنك لن تجرؤ على الفرار مني، ليست أنا من تُنسى أو تُهجر، ولكن ستكون عودتك هذه شقاء عليك، فقد انتزعتك من داخلي منذ أن تمردت، وظننت أنك ملكتني،

وأجزت لنفسك هجري، والتطاول على مشاعري، لن أستسلم مرة أخرى لشغفي بوجودك، اعتدت على العيش بمفردي وأن لا أنتظر أحد.

فتحت الهاتف وأنصتت لتسمع ماذا يريد؟

-حبيبتي..

-حبيبتي..

-لماذا لا تجيبي؟

-ماذا تريد؟

لماذا عدت بعد كل هذه المدة.. ما الذي ذكرك بي؟

-لم أنساكِ.

لا أنكر أنني حاولت تجاوزك لكن لم أستطع.

-ولكنك تزوجت وتركتني.

أراك تتغزل فيها على مواقع التواصل، وتنعم بحياة سعيدة.

-أنتِ لا تعلمين شيئًا.

ليس كل ما يراه الناس حقيقة.

أظل أتألم بمفردي لا يشعر بي أحد، لا أحد يعلم أمري إلا الله.

-تمردت على لأني مطلقة وكأنه ذنبي.

كنت تعلم جيدًا أنني وقع عليّ ظلم من المجتمع ولم أتزوج برغبتي، وقد أصبحت مطلقة ولدي طفلان بلعبة من القدر دون رغبة مني.

كيف يخيل لك أنني أقبل بعودتك مرة أخرى لا أريد حتى أن أذكرك في نفسي.

-مازلت أحبك.

مازلت أتخيلك في أحضاني ولم أستطع تجاوزك.

كنت غبي وأنصتُ إلى رأي عائلتي حين منعوني أن أتزوج بامرأة مطلقة، وهجمت على أفكار حول زواجك السابق ومما قد تعرض إليه من غيرة وعواقب أحالت بيننا، لم أستطع تحمل أنكِ كنتِ بين أيدي رجل آخر واطلع عليكي.

-إذن لماذا عدت؟

-أريد أن نعود أصدقاء، أقبل بأي دور تمنحيني إياه في حياتك، لم أستطع الفرار من عشقك، لا أستطع الحياة بدونك، أرهقني عشقك وعاد بي إليكِ.

كاد ينفطر قلبها، وتحن إلى وجوده وعودته فهي كانت تتمزق من الشوق إلى قربه أو الحديث معه.

كان يتناسب جيدًا مع أفكارها ومبادئها كانا يتشابهان في أشياء كثيرة مشتركة بينهم، كانت تعشقه حد الجنون ولكن ما فعله بها لا تستطع تجاوزه.

قالت بكل كبرياء:

-لم أعد أحمل لك داخلي أي مشاعر، أنت الآن مجرد أخ وصديق وأهلا بك في أي وقت.

-أخ؟!!!

على الرغم من أنني لن أستطع تقبل هذا الوضع، ولكني

أقبل أي شروط مقابل البقاء بجانبك.

ابتسمت ونهض كبريائها واستعادت كرامتها التي أهدرها قبل سنة ماضية عانت فيها كثيرًا من ظلمه لها ، لم تستطع كرهه ، ولم تستطع تجاوزه، ولكن لا تنسى الأنثى لحظات الأوجاع، ولن تطغى مشاعرها على كبريائها مهما كان الثمن، وأطلقت جملتها التي تقتدي بها «عندما ينهض الكبرياء لا مجال لقلبي».

عاد بينهم الود والملاطفة والمزاح، ولكنها حريصة جدًا على إعطائه مساحة معينة مختلفة عما سبق.

استطاعت إقناعه بأنها لم تعد تحمل له أي مشاعر ولم يتبقَ غير الود.

بات يلقي إليها كل ما في جعبته ويشكو لها من مصيره ومن سوء أخلاق زوجته التي لا تتناسب معه نهائيًا.

كانت تنصحه أن يتريس وأن هذهِ الأمور عادية في بداية الزواج، وكانت هي تمارس حياتها بشكل طبيعي دون أن تكترث لردة فعله.

قد كان سابقًا يغار عليها بشدة إن تحدثت مع أحد أو أطلقت ضحكاتها ولكن الآن لا يحق له منعها فهو مجرد أخ وصديق.

وكانت الغيرة تشتعل في قلبه ويجن جنونه ولكن لابد وأن يتقبل، لم يعد له حق

وكانت تتفن هي في إشعال غضبه كما كان يفعل سابقًا ، كانت سابقًا ضعيفة تسيطر عليها مشاعر الحب، وكانت تغفر له بسخاء وإفراط أهدر حقها ، واستباح لنفسه إحراق مشاعرها

عدة مرات.

أمـا الآن هـي واثقـة مـن حبه بعـد أن عـاد ذليل لا يقـوى على بُعدها ، ولم يستطع أحد ملئ مكانها بقلبه.

كانـت تتبـادل الضحـكات مـع شـخص أبـدى إعجابـه بشـخصيتها وانفرادها وتألقها في الحديـث أثناء حضورها ندوة أدبية ألقت فيها بعض من فصاحة عقلها ، ومناقشتها أمور واقعية بشـكل مؤثر ، فانقـض على الرجل بعنف مهاجمًـا له ألا يقترب منها مجددًا ، ولا يتبادل معها الحديث وإلا سيكون عقابه وخيم.

كاد قلبها يدق من الفرحة وهي تشـاهده يشـتعل من الغيرة ، وكان يطيـب قلبها كلما رأته مشـتعل الغضـب ثائرًا يفصح عن عشقه لها أمام الجميع دون خجل ، أمام من تركها في يوم أمامهم في ذل وانكسار وألق بها دون أن يكترث لمعاناتها.

-قالت ما بك ألسنا أصدقاء؟

ما الذي تفعله؟ بربك أيعقل هذا؟!

-قـال لهـا لا تعجبني هذه الفكـرة ، نحن لسـنا أصدقاء ولا أشقاء.

أنتِ ملك لي وحدي ، وقسم بربي إن رأيتك تجاوزتي مرة أخرى واسترسلتي الحديث مع أحد لن تتخيلي ما الذي سأفعله.

كان يهاجـم الجميـع بشـكل جنونـي وواضح ، وأعلـن أمام الجميع أنها ملك له وبات الجميع يخشى الحديث معها.

كانـت تود الانتقام منه ، ولكـن أخبرها قلبها أن يمكنها أن تمنحه فرصة جديدة في الحب ، فقد أعلن عشقه لها أمام الجميع ،

وتغير حقًا وأصبح يلهث وراءها ويحاوط عليها بعناية كبيرة.

وأخبرها بأنه سوف يفارق زوجت وما هي إلا إجراءات بسيطة ويفك عقد زواجه بتلك المرأة السيئة التي لا تناسبه

عادت المياه لمجراها مجددًا وتعانق قلبيهما معلنًا أن لا فرار بعد اليوم، ولا طريق لهما إلا إليهما كلاهما يتجه نحو الآخر وتنتهي الطريق أمام عينيه.

ما هي إلا أيام وتملك قلبها مجددًا ، وضمن عشقها وعودتها وقطع عهد على نفسه ألا يخونها ولا يخفي عليها أمرًا.

مارست السعادة معه وتذوقت العشق مجددًا وكأنها تعشقه من جديد ، وأطلقت فيه الأشعار وأنشد قلبها فرحًا من فرط السعادة.

إذا بفتاة تخبرها عبر مواقع التواصل أنها منذ عدة أيام تواصلت معه وتورط معها في علاقة غير شريفة ، ومازالا يتبادلان الحديث من كلمات جريئة تجاوزت الأخلاق، وأرسلت إليها صور ملتقطة عن جزء من حوار قذر دار بينهما ، ولم تنتظر الفتاة إجابتها وأغلقت حسابها كليًا.

ذهبت إليه إسراء محملة بالوجع والخذلان.

أحقًا فعلت هذا؟!!

أحقًا قطعت عهدك بالإخلاص؟!!

أنكر ما روته الفتاة ونفى كل شيء.

ماعدا أنه فعلًا استجاب لها وتواصل معها بعد إلحاح منها ، ولم يتجاوز معها مثلما ادعت عليه تلك اللعينة.

-لماذا لم تخبرني حين تواصلت معك لماذا لم تطلعني ؟!

-لـم يكـن الأمـر مهـم لذلك لـم أخبـرك، لقـد حظرتها من التواصل وانتهي الأمر ولهذا هي تنتقم مني.

تريد أن تدمر علاقتنا الجميع يحقد علينا ويريد اسـتهدافنا، صدقيني كان الأمر عاديًا، ولم أتواصل معها أكثر من مرتين، وحين اكتشفت سوء أخلاقها حظرتها من التواصل ولهذا رغبت في الانتقام مني.

تشـتت أفكارهـا عـادت إليهـا الأحـزان مجـددًا، هاجمتها الأفـكـار، وظـل عقلهـا يعاتبهـا بعنف مـا كان يجـب عليكِ أن تمنحيه فرصة من البداية.

حاول التودد إليها مجددًا وإقناعها بأنه أخطأ، وبأن تلك الفتاة عابرة واستعد للعقاب أيًا كان إلا الهجر.

مرت الأيام وكانت الأحاديث بينهم مجرد اطمئنان سطحي، وكان يتفنن في استرجاعها مرة أخرى.

علـى الرغم من شـعاراتها المخدرة للكبريـاء كانت ضعيفة أمامه يسـتطيع استرجاعها بكل بساطة، حاولت أن تتجاوز تلك الفعلة أيضًا وأن تسـتمر معه، وتغفر له فالبشر خطاء ورب العباد يغفر هل ستبخل هي بالعفو والصفح؟

ومرت الأيام وفي ليلة كان يتبادلان الحديث

بحجـة الصراحة والوضوح، وأنه لابد مـن إطلاعها على كل أموره أخبرها أنه سـقط مجددًا مع فتاة أخرى، وقضى معها ليلة تعـارف يتبـادلان الحديث بغنج ودلـع، وأنه بعد انتهائـه منها قام

بحظرها ، وتحجج بالفراغ والملل وأنها كانت منشغلة عنه وبأنه أراد أن يتحدث مع غريب عابر لا يعرف عنه شيء.

ضحكت بقهقهة:

أي تعلم أنه فعلها مجددًا ، لم تستغرب الأمر وحتى لم تغضب ، ولم تتوجع مثل سابق ، تقبلت كلماته وكأنها مألوفة ، فقد اعتادت منه الغدر والخذلان ، واعتاد منها الصفح والتجاوز عن أخطائه.

فقالت بكل هدوء لقد انقطع حبل الود بيننا الآن ، وتهالكت خيوطه ، ولم يعد صالح للوصال.

-أنا الآن انتزعتك من داخلي بعدما استهلكت جميع مشاعري ، ولم يعد لك بداخلي مكان ، الآن سأولي عنك بإرادتي ، ولم أعْدُ لك حتى جزء من الأحزان.. هل أحزن على إنسان غدر بي وخذلني بعدما أصفحت عنه عدة مرات وأعطيته الأمان.

لم أسعَ يومًا لانتزاعك من قلبي ولكنك فعلتها أنت وأزحت عني حمل كان ثقله على قلبي مثل الجبال.

يا من كان في يوم دواء لقلبي ، أنت الآن مطرود من مدينتي وأعدك لن تجد مثل عشقي مهما طال بك الزمان..ستعود يومًا أمام أبواب مدينتي ولن تجد مجيب لصرخاتك ومصيرك سيكون مثلما قدمت خذلان.

ها الآن عاد يلاطفني ، ولكن قلبي أصبح لا يتذكره ولا يعرف من هذا الغريب الذي يتجول حول مدينتي وهل التقيت به في يومًا من الأيام؟!

❖ ❖ ❖

بقلم الكاتبة / ريم أبو النصر

«صدر لها مجموعة قصصية بعنوان مشهد محذوف»

❖ ❖ ❖

جسد بلا ظل

إهدَاء:

إلـى ظِلّي الّذي أهَواه، الّذي أصَبحَتُ أشـعُر بِه في كُل وَقتٍ وحِين..

إلىَ ظِلّي الّذي أصَبحَ كَيانَي و وَجدانَي..

أصَبحَتُ الآنَ ألّتَفتَ إلَيكَ وأبَتَسم مُنتَظِرَة إنّتِفَاضَتُكَ التَالية..

ولَقدْ عَلمتُ عِلَم اليَقينَ بَأنّ حَانَ الوَقتَ لتَتحَرر بَسمَتِي وتَطفُو عَاليًا مُرَحِبةً بِكَ..

❖ ❖ ❖

فلتنظر خلفك ولتقل لي، مَن يتبعك؟!!

❖ ❖ ❖

أشرقت الأرض بنور ربها، والشمس هادئة بشعاعها المُنبعث من بين خلاياها الشمسية، كانت دافئة كفايةً حتى يشعر صاحبي بالإنتعاش وعضلاته تستنشق الهواء.. ولكن هل هذا يكفي لإنتعاش روحه؟؟!، كُنتُ شديد الظهور كذلك بسبب إضاءتها القوية الّتي أظهرتني دون أدنى مجهود مني لأكون

حاضرًا غير مُختفي بين غياهب الظلام، صوت زقزقة العصافير جعلتني مُنتبه لها كأنها تُخبرني بأنني لست الوحيد الّذي ينتظر الشمس ليضحي هائمًا على الأرض، خرجت أتبع صاحبي كعادتي وهذا أمر مسلوب الإرادة مني فلقد حاولتُ أن أتحرر من عبوديتي تلك وأن أبتعد عن هؤلاء الناس مُنكسري القلب والعقل، حاولت ولكنني أفشل بإستمرار، سأخبركم بأمر إستنذف عقلي و وجداني.. لِمَ أنتم كذلك !، أتصور وقوفكم عند تلك النقطة وهذا السؤال بالذات وهذا هو المطلوب، فلتقف للحظة وترى نفسك بمنظوري أنا !، نَعم.. أنا هذا الظل الجامد والتابع لكَ بإستمرار غير عابئ ـ أنت ـ عن حضوري أو كياني، سأطلق عليك سؤالًا أخيرًا وسامحني عن الخروج من قصتي وأسألتي الثقيلة بالنسبة لكم لا تندهش فأنا كذلك أبغض أسألتي، هل إبتسمت اليوم لأحد دون أن تعرفه حتى؟! فأنا أُعاني من هذا الأمر وسأخبرك كيف هذا !!

اتباعي كان عاديًا ولا أستطيع أن أُحرك يديّ حتى من مَوضعهما، كانت نظرة صاحبي أو بمعنى أصح وأقوى مالكِ كان يقترب من تلك السيدة العجوز صاحبة الشعر الأشيب والبشرة البيضاء مع نَمش مُلفت للعين ويطفو على وجهها كُله، كُنتُ أظن بأنه سيُصبح عليها كالعادة ويدنو منها مُقبلًا يديها بحنان والإبتسامة تعلو وجهه ولو كان من باب الشفقة بها وعلى جلوسها كذلك في كل يوم مُذُ زمنٍ لا يُذكرَ، كانت غائبة مُذُ فترة ولكن يبدو بأنه نساها خلفً حُزنه من العالم والناس أجمعين، فكيف لا يكون كذلك وهي أصبحت مُنحنية

الظهـر ناظرة في نقطة بعيـدة لا تُنحي عنها ، ولم تنظر لصديقي مثلـه كـأنهـم أخـذوا عهدًا على أنفسـهم بعـدم مُقاطعة الآخر ، ولكنـي أتذكـر وجههـا الحسـن ولسـانها الطلق فـي الدعوات للآتـي والذاهـب ، تركناها خلفنا وكأن آخـر فُرصة للتواصل إنتهـت بينهمـا وظلهـا أصبح غريـب عليَّ كـذلـك و وجهه أصبح أكثـر عُتمة مما عليه ونظرته أصبحت مثل صاحبته غائرة ناظر لصاحبته بعين الشفقة والوحدة العميقة في عينيهما ، شعرتُ بها وبوحدتهـا وكـأن شـعورهم إنتقـل إليّ بـكل بسـاطة ممكنة ، وإحساسـها كان عبـارة عن وحدة غير مُنتهيـة مَخفية خلف زوج مـن العيـون الرمادية ، وإبتسـامة مُنكسـرة.. ضائعة.. مُتشـتتة ، ودعواتهـا الّتي تُمطر بها الجميع ، تُحـاول أن تجعل الجميع يملك ما لا تملكه !، وكان هذا جُرمها في الحياة!!

خطوة..

الأخرى..

ثم الأخرى..

فـأصبحـت خطواتـه غريبـة علـى عادتـي وإضطرابـه جعلني أتمايـل هنا وهناك بغير هُدى ، وأصبحـتُ مُضطرب مثله وعقلي يُشـتته الضلال قبل الظلام ، أصبحتُ أشعر بثقل خطواتي وتعب أنفاسـي تسـبق أنفاسه الحاره ، والشـمس المُنعشة مالت للظلام وعُتمـة غيومهـا أوشـكت أن تَخفيني ورغم تشوشـاتي وإرهاقي كاملًا إلا إنني سـمعت صوت طفلًا يصرخ وبشـدة من بين ظلام العالـم المُحيـط بـي ، رأيتـه يصـرخ بشـدة والدمع يسـبق صوته ويجـري على خدّيـه والأم لا تُبالي بفلـذة كبدها ـ كـما تدعي

ـ وعند استمرار ادعاء الصغير ـ كما أوهمت نفسها ـ قامت بالصراخ عليه كنوع من إرهابه حتى يصمت تمامًا ولكنها لم تُحقق مُبتغاها هكذا فإقتربت رافعة يدها ساقطة على خده الملئ بالدموع ليصمت وينتهي من وصلة صراخه المُزعج، والخذلان تَكون بسلاسة وطفلٍ لم يتعدَ العاشرة تمكن منه الخذلان بسبب إم كانت له الأمان في يوم ما ، رأيتُ الأحداث من ثقبًا صغيرًا ينتهي عند نظرة الفتى المُنكسرة أمام جمعٍ من الناس والأم فخورة بزعزعة ثقة الصبي، وقد نجحت فيَ تعليمه بأن الحياة ليست سعيدة مُطلقًا وعند إنفجارك لا مكان للبكاء أو الصراخ، لقد جعلتني تلك النظرة مُنكسر النفس أكثر وتهادم بداخلي شيءٍ لا أعلمه وفي ظلالي أصبحتُ أوقن بأن العالم أصبح أكثر عُتمة وظلامًا من ظلمتي !!

وجدتُ صاحبي يسير بخطوات هادئة أقرب للمملة بجوار الصبي وأمه بعد أن ألقى عليهم نظرة عابرة هادئة كخطواته ولم يتوقف لثانية ليفض الحدث ويربت على شعر الصغير كما كان يفعل دائمًا مُذُ زمنٍ، ولكني لم استطع تتبعه تلك المرة فالظلم كثُر والخذلان أصبح عادي لذلك خرجت عن طور جمودي ويدي بدأت بالتحرك مُبتعدة عن مكانها المُعتاد وتخليتُ عن ثباتي وأصبحتُ أربُت بحنان على ظل الصغير حيث فقده مِن أهم منبع لكل الحنان !، وإبتسامتي رأها ظله ولكن لا أحد يراها سوانا وأنتم غافلين عنا وعما حولكم !

نظر ظله لي وكأنه يستفهم ببراءه عن كيفية خروجي من طور اتباع الصاحب ولكني تجاهلته مُخبرًا العالم قبله بصوتٍ

يُقطر إستنكارًا :-

ـ «وماذا تنتظر مِنْ قومًا ضلوا السبيل لعقلك يا صغير!».

وخطوتي الثانية كُنتُ ثبتُ في مكاني ورجعت لطوري التقليدي اتباع هذا التائه في ملكوت السراب !!

أنفاسي هدأت وخطوات صاحبي تباطئت، روحي أثقلتها الهموم والحُزن تعبها واليأس لحقها.. إذا كانت روحي هكذا فما بال روح صديقي !!

هل يكون مُتعب كخطواته تلك؟! أم يكون مُتبلد المشاعر كصفحة وجهه البلهاء؟!

أم يكون بين هذا وذاك وأنا معه غريق !!

ـ «صباحُ الخير».

صوتها الحنون أيقظ حواسي، وعطرها الفواح أشعل خلاياي، وإبتسامتها البسيطة أهلكت بقاياي، كانت عبارة عن صورة من الإبداع خلقها الله عز وجلّ بصورة خلاقة لا مثيل لها.

ـ « صباحكِ نور»

وزَين أحرفه البسيطة الباردة ببسمة أماتتني وهالة الحزن طغت على المكان كله، واللون الأسود كلوني ولون ظلها هي الأخرى سقط بيننا كالبحر يُطغينا وحوارهما الهادئ جعل كلانا يبتسم ساخرًا من تلك الأقدار ومن صاحبه كذلك، أصبح قلبي مكلولًا وظلها أصبح مغمورًا باليأس والخيبة كلانا سرنا على خطى صاحبه وكلا صاحبنا غير دارين بنا، ورأيتُ حبيبتي تُغادر وصاحبتها تتملكها بكل سهولة ويُسر والوحدة

تملكت كلتاهما والهالات السوداء تلقي بستارها على عينين رائعتين أبدع الله فيها بحق!

لم أستطع أن أظل مكاني بعد أن زادت المسافه بيننا وكل من صاحبينا يُوجهان ظهرهما إلى بعضهما البعض مُبتعدين عن بعضهما ولكني تحررتُ بل تحررت يديّ فقط وجزئي العلوي كأن هذا النصف يُعبر عن تأيده لي والباقي مازال يُعلن خضوعه التام لمالكِ، تشتت رؤيتي ويديّ تمسك ذراعها بقوة جعلتها تتسمر مكانها مُتفاجئة أم مصدومة لا فرق ولا تميز الآن ! فيكفي أن أقول لها «أُحُبكِ» ولينتهي بي الزمان والمكان وكل مُسميات الفيزياء الآن، يكفي أن أحتضن كفيها كالآن.. وأن أنفرد بعينيها كالآن.. وأن أقول لها ما يحلو لي.. كالآن !

ولكن الوقت خانني والمكان باعني وتحررت هي كالسراب من بين يديّ ؛ تابعة لصاحبتها وبقت يدي مُعلقه في الهواء حاضنة السراب من حولي، وإبتعدت الحبيبة بعيون تُقطر دمعًا والصاحبة تُغادر بلا شعور وصاحبي لا مُبالي بما حوله وأولهم أنا !!

غادرتُ معه وإستسلمتُ له في لحظاتي التالية، وأصبحتُ ظلًا بلا روح ولا حتى إختلاف، دائمًا آمنتُ باختلافي ورأي كان دائمًا يُقال، وإستسلامي لم يكُن من شهمي ولكني استسلمتُ ببساطة ونسيتُ حلمي وهدفي وكياني.. نسيتُ حبي واعتزازي.. نسيتُ مَنْ أنا ولِمَ موجود من الأساس؟!

لِمَ يكونُ مصدري ضوءً يُنير الأرض بما فيهم أنا!، ظهوري مُرتبط بالنور وكياني مُظلم بشدة لا يوجد فيه بصيص أملًا يُميزه هذا النور.

اختفى كياني وتمردي على صنف البشرية أجمعين، كانوا هم مصدر الشقاء بالنسبة لنا فتعددت المصائب وكُنت أنا الضحية تلك المرة وليس القاضي !!

كُنتُ أمن بالتغير وسبر أغوار السلبيات فأصبح السالب جزءً لا يتجزأ مني حتى قلبي أصبح ينبض بالسالب، وصديقي شاركته في هذا أيضًا فلا مكان ولا إحتمال لوجود التغير في بئر مُتعفن يخرج منه رائحة الروتين وأصحاب البئر فرحين لهذا الأساس.

لم أقدر أن أتحمل أكثر وبمجرد أن خطى صديقي خطوته التاليه مع إختفاء طيف حبيبتي وظلها القريب مني، بدأ كياني بالظهور، وتمردي عاد من سفره الطويل ـ بالنسبة لي ـ وتحركت يديّ مع جزئي العلوي وبدأت أتمايل بغير هدى وهيستريه التمرد وعدم الخضوع إستولت عليّ كاملًا ؛ وهمي الأول والأخير أن أتحرر من هذا الكائن المُسمى صاحبي، بدأ الجزء السفلي يستجيب لمظاهرتي، وصوتي، ورأي الذي تلاشي مع مُحاولة إقناعي بالخنوع والموت حيًا في دُنيا الكآبه، تحررت.. وأخيرًا تحررت منه ورجّة عنيفة إهتزت داخلي عند إخراج روحي منه مع آخر نقطة إتصال به و الهزة إنتقلت له جعلته يسقط أرضًا بقوة وأخذ يبحث هنا وهناك عن شيء كأنه فقدّ شيئًا، وهو بالفعل فقدّ ما لم يشعر به أبدًا ولن يشعر به قط !

«انتظري».

وصرختي جعلتها تلتفت لي والصدمة ألجمت لسانها لدقائق وقوتي أصبحت مصدري في كل أحوالي، ونظرتُ لها وهي تسير

خلف صاحبتها وخطواتي تحتل مكان خطواتها بتناسق وهدوء..

«لـم أعدّ أستطيع الإبتعاد أكثر، وإشتياقي كان آخر أملًا أمتلكه لأتحرر من عبوديتي »

«لِمَ تحررت؟!»

الصدمة إحتلتني تلك المرة وألجمت لساني، تسألني لِمَ وكأنها لا تعرف !.. كأنها لم تعش ما ذقته !.. كأنها لا تريد التحرر !.. كأنها ليست هي !..

«تسألي وكأنكِ لا تعرفين !، تسألي لِمَ إبتعدتُ عن بؤسي وشقاءي، تسأليني لِمَ إبتعدت عن أسباب خسارتي وإبتعادي عنكِ في كل يوم وكل لحظة، تحررتُ مِن مَنْ لم يشعر بي ولو لثانيه، تحررتُ مِن مَنْ بدّلته الدنيا والناس، تحررتُ مِن مَنْ نَسى مبادئه ورماها في سلة المُهملات عندما وجدها لا تليق بعالمه، إبتعدتُ عن مَنْ كان لا يشعر بدقاتي تهفو إليكِ.. بعشقك الّذي يرويني مُنذُ رأيتُكِ، كيف تسأليني وصاحبينا كانا سبب دمارنا.. نموت شوقًا لبعضنا وهما رافضان هذا، عند لُقياهم يبدءا إبتساماتٍ سخيفة مع إيماءتهم الأكثر حماقة وينتهي اللقاء.. وهذا كل شيء أتريدين هذا !، هل تفضلين هذا؟!، ألا تُريدين جمعنا، عشقنا، لهفتنا، نظرات أعيننا، ألا تريدينني؟!!!»

إنتهت روحي بمجرد إنتهائي من كلماتي، طعنة قدّ أتت من مالكِ الّذي من المُفترض أن يكون صديقي.. طعنة قدّ ضربتني في صميمي المُظلم مع كبره، كان في صغره شديد الجمال والبراءة.. شديد التفاؤل والسعادة.. شديد الإبتسام والتراضي،

كان وانتهى الأمر فمع كبره علّم بأن لا مكان لكل هذا.. لا مكان لبراءته وسط وحوشٍ تنهش في أحشاءه.. لا مكان لإبتسامته وسط أحفادٍ من الكآبة والخراب، وأخذ القرار بأن يكون مِن القطيع بأن يكون داخل جعبة هذا العالم المليء بكل ما طالح ويُفسد كل ما هو صالح.

لا أعلم أأعذره أم ألومه.. لا أعلم وليتني أعلم !!

ولكن اللوم حقًا عليه !!

« حررني.. خُدني معك.. حررني أرجوك ! »

نبرتها الراجية مع لمسة يديها الباردتين أيقظتني، ولوعة عينيها أهلكتني، ونفسها المُتهدج جعلنا أسحبها بكل قوتي لأحررها من مجهولًا مُرعب يُخيف الجميع، إنتشلتها من بؤرتها المُظلمة بعزم قوتي حتى تحررت مُخلفة وراءها نفس الهزة العنيفة وسقوط صاحبتها وبحث عن ماذا؟!.. عن لا شيء !

نظرتُ لعينيها بعد أن إلتقفتها بين ذراعي وظلامي بدأ بالإضمحلال والإنهيار أمام مُقلتيها..

« وماذا بعد؟!، إن العالم مُوحش بالنسبة لنا كيف نهرب منه إلى الأبد »

إشتدت يديّ حولها ونظراتي أصبحت قوية يملؤها الحنان..

« كيف تشتكِ لي كبر العالم وهمومه.. والعالم ضئيل بالنسبة لعينيكِ عزيزتي؟! »

بدأنا مسيرتنا بالإبتعاد عن الكل وهتفتُ لها بقوة أخشى تصدعها..

« فلنأتي بكل أصدقائنا من جحيمهم هذا ولنتمرد على أنفسنا قبلهم، فلعلنا نتحرر حقًا هذه المرة »

« حسنًا، هيا بنا، فالجميع ينتظر تلك اللحظة ولكنه يُناضل نفسه أولًا ولا يُريد الإعتراف »

شجعتني وجعلتني أناضل لأجل حرية الجميع، فلنحارب إعتقدات رسخوها في أدمغتنا مُنذُ صغرنا وحان الوقت لنحرر ونُرفرف في عالمنا نحنُ بمحض إرادتنا وليس إرادة غيرنا.

أسرعت خطواتنا ولم يُلاحظنا أحدًا كذلك، وأول من ذهبتُ إليه ظل المرأة العجوز، ظلها الّذي يمتلك من الحزن ما يكفيه لعمرٍ ثانٍ، أخذت أتذكر تفاصيلها وملامح وجهها النضرة الّذي تملكتها حنانًا مع خرابًا في نفس الوقت، إكتفيت من حزن العالم فلنسمح بطيف السعادة يأخذنا لعالمنا الأبيض الغير مُلوث بغبار الماضي ولا الحاضر ولا المُستقبل، غير مُلوث بظلام الحزن والمرارة ولا أنفاس الشقاء والألم، فلنتركهم خلفنا ولنحيا وقتنا هذا، هل صعبًا علينا وعليكم هذا !!

رأيتها بنفس الوضعيه الّتي تحتلها في كل مرة، وظهرها المحني لأسفل بإنكسار فإقتربت بأقصى سرعة لي وتركت يدّ حبيبتي لأربت على ظهرها مُقبلًا يديها..

«إتركي هذا العالم وتعالي معي، فلقد إنكسرتي بما فيه الكفاية».

لم تتصدم من إنفرادي بدون جسدي وكأنني لم أصبح ظل بلا جسد !، ولكن يبدو بأنها كانت تنتظر تلك الإنتفاضة من

جيلي ولعله يأتي بنفعٍ لنا..

«وهل ستُحافظ على إستقامة ظهري؟!»

ابتلعت ريقي بصعوبة وكأن حملي يزداد ولكن لا تراجع الآن، فهمستُ لها بحنان وعهد أخذته على نفسي قبل أن أخبرها به..

«سأجعله مُستقيمًا دائمًا بإذن اللّه، وليكفي شرف استقامته للحظة بدلًا مِن إنكساره لمدي الدهر »

«أحترم صراحتك ولذلك فلتأخذني معكما »

وألقت نظرة على حبيبتي مع إبتسامتها الدافئة بإستمرار، حضنتها وإبتسمت لها وفعلت ما فعلته مع حبيبتي ولكن هذه المرة ساعدتني حبيبتي وأصبحت سندي مُنذُ الآن وأنا ظلها الدائم...

طرنا ثلاثتنا في بلادنا العجيبة وقررتُ المرور على صاحب كسرت نفسي ونظرة المرارة في عينيه، سرتُ إليه بعد طول عذاب منه، نعم.. ذهبتُ إلى الصغير، ورأيتُ نفس الخذلان وكسرت النفس وبرود الأم..

رأيته يلعب بدون صوتٍ ولا روح، رأيته ينظر لفجوة أحدثها الجميع وليس أمه فقط، دمارٌ شملَه بما فيه والألعاب ساكنة في يديه، إقتربتُ وتلك المرة كانت معي العجوز وحبيبتي..

«ماذا تفعل الآن يا صغيري؟!»

المرارة حاضرة مع نظرة الألم..

«أحاول نسيان نفسي بألعابي يا عم»

« وهل نسيت؟! »

لم يكنْ صغيرًا في ردَّه.. لم يكنْ قطًا..

« وهل ينسى الفرد منى آلامه؟! »

للحظة تألمتُ وخفتُ من مجهولٍ يُسيطر على الجميع.. المجهول ينهش بوحشية في الجميع وأولهم هذا الصغير..

« لِمَ أصبحت كذلك يا صغيري؟! »

إبتسم بسخرية لا تليق بفتى صغير مثله ونظر لي ثم إنتقل بنظره لكل ما حوله بإستهزاء وقال صراحةً..

« إن الحياة أبغض مما نتصور ياعم »

وقدّ قال النهاية وكفى كلامًا بعد هذا يُقال، فالبغض خُلق معنا ولأعيننا غلقنا، ولكن ماذا تُساوي أن كلمة كتلك تخرج من فم صغير لا يعي شيئًا حوله، وكيف لا يعي وهو يُخبرنا بمأساته الّتي رأيتها بأم عيني..

« إخرج من كل هذا ولنلعب بدميتك بعيدًا عن هنا، ولترفرف أجنحتك بهدوء وتهور كما يحلو لك، وتعلم يا عزيزي من دُنيا العجائب».

ورفرفت أجنحتنا بعيدًا بعيدًا بعد قرار الجميع بالنفور من أصحابهم والخضوع لإرادتهم فقط

«إن الروح لها حقًا عليكم فلترحموها قليلًا، ولتبقوا على آرائكم حتى لو سُفكت دماءكم، لا يجب عليكم أن تسعدوا أحدًا ولكن يكفي ألا تؤذوا أحدًا وكونوا نسائم هادئه غير ضارة بنفسها قبل غيرها».

كانت هذه أول أحرفي الّتي نطقتُ بها في وسـط هذا الجمع مـن الظلال، فالجميع قدّ تحرر من سـيده ولكـن هل تحرر من أفكاره ومُعتقداته !!

«إن الحياة أبغض مما كُنا نتصور»

نظـرتُ للصغيـر عنـد نطقهـا وبالفعـل كانـت صادقـة رغم صعوبتها علينا قبلهم، ولكن إبتسامته لي جعلتني أبدأ من جديد في شرح آفاقي..

«لِمَ يجب علينا نحن معشر الظلال بالصمت والموت في هدوء وخفيـة؟!، لِـمَ يجـب علينـا الإتبـاع لا أن نُتبع؟!، لِمَ الإستسـلام شـعرانا والحـزن رايتنـا !، لِمَ المـرارة صديقتنا والأمـل عدونا.. لِـمَ؟!، ماذا حولكم.. فلتنظروا وتقولوا ليِّ ماذا ترون؟! هل رأيتم الفسـاد والبغض بالتأكيد يوجد.. هل رأيتم المشقة والإنكسار ؛ لِمَ لا وهو أسـاس حياتنا !، لِـمَ يجب أن نلتزم الصمت والجمود في حضرة الإنسـان والبؤس يتربع على عرش أنفاسه والهم أقرب إليه من وريده؟!»

قاطعني إحداهم بصوتٍ عالٍ يُقطر تشاؤم وتشاؤم، قائلًا..

«وماذا بيدنا لنفعله، وكيف نستطيع يا هذا؟!»

أجبته بهدوءٍ والقوة تحتل نبرتي..

« بيدنا الكثير و الكثير، بيدنا خلق مُجتمعًا جديدًا.. مُجتمع خـاص بينا، وكيـف ! فلتنظر لنا يا هذا ولتـرى قوتنا وأعدادنا وأعلم علم اليقين بـأننا إذا أردنا شيء فيكون بإذن اللّه »

صمتـوا جميعًـا و لوهلـة فقط ثم بـدأت الهمهمـات من جديد

والقـوة بدأت في الظهور والإنفجار من بيـن ثنايا الصخور وطغت الظـلال أخيـرًا من بين الأكوان، قاطع شـرارات تفكيري ظلًا آخر..

« وماذا ستسـتفيد من كل هذا؟!، ولِـمَ تُحرض الجميع على التمرد؟! »

أجبته باسـتنكار وتعجب في نفس الوقت والصدمة مرسومة بحرفية على باقي أجزاء وجهي..

«أنسـيت أننـي منكـم وقوتـي منبعهـا أنتـم وضعفي سـببها انهياركم، وكيف تسألني عن الاستسلام لهم بعد كل هذا ! »

صمتـوا نهائيًا وبقت أصوات تنفسـنا، والوقت يمُر بعشـوائية غريبة على عهده وكلمات حبيبتي مع مسـكة أطراف أصابعها بيدي جعلتني مُنتبه لها وهي توجه أحرفها ليَّ..

«مـاذا تريدنا أن نفعل؟!، فلنُحـارب من أجل التغير والإصلاح سيأتي بعدها».

وحروفها الأخيرة وجهتها لشـعبها بنفـس مُثابرة وعزيمة قوية ورفعة يدّ تعني الثقة..

«فلنُحارب؛ هيا لنُغير مسارهم قبل مسارنا!»

وابتعدنا وحلقتُ مع آلاف من شعبي ولنُحارب !!

أسـرعت ظل العجوز بنفسٍ مُشـتاقة لجسدها بعد أن كانت صاحبتهـا «جسـد بـلا ظـل» واقتربت لنفـس وضعيتهـا القديمه وإلتصقـت فيهـا بقـوة غادرتها مُنذُ زمـنٍ طويلٍ، شـهقت العجوز بصدمـة وما لبثت أن وجدت ظلها يُرشـدها هذه المرة لموضعها

القديم هي وحبيب عمرها الّذي رحل مُنذُ قرنٍ من الزمان، وجدت نفسها تتسلق درجات بيتها واقفه أمام سور سطحها مُنتظرة الشمس ولوعتها، والعصافير وزقزقتها، والسماء بلونها، والنسيم برائحته..

ابتسمت أخيرًا وظلها إبتسم كذلك وكان هذه المره المتبوع وليس التابع...

طار الصغير مُحلقًا في الآفاق أولًا يرى العالم من حوله ولعبته في يديه، العالم أجمل من الأعلى وأكثر واقعية من الأسفل وكلاهما مُتممين لبعضهما..

نزل لأسفل بكل سرعته وإخترق الجدران والأوساط والبسمه على ثغره لا تُبدلها دمعه ولا كسرة، رأيته سعيدًا وبشدة كأنه لم يحزن قط ولم يفرح من قبل، إخترق صدر الصغير وربت على قلبه قبل أن يبتعد عن ألعابه بجسده الّذي كان «جسد بلا ظل»، صرخ الصغير بشدة وعندما سمعته أمه كانت على وشك أن توبخه ولكن تصدى لها هذه المرة حضن الصغير وهو يتربع أحضانها، فتحت الأم عينيها ولم تستطع التكلم لثانية أو أقل ولكنها لم تلبث أن إقتنصت هي كذلك حضن صغيرها وفلذة كبدها ـ كما تشعر ـ وقبل أن تغمض عينيها سمعته يهمس لها بحبٍ خالصٍ

«أُحبُكِ أُمي»

أغمضت عينيها بتأثر غريب والأمومة تطغي على أيّ مشاعر تمتلكها الآن و وجدت لسانها يردّ بتلقائية وحنانٍ..

«وأن أُحبُك أكثر مما تتصور عزيزي»

وانتهاء المشهد لا يعني إنتهاء حضنٍ دافئ مُفعم بأملٍ حقيقي هذه المرة..

لم أستطع الإنتظار وطرتُ وطار معي كل ما إمتلكته يومًا ، أردتُ التحرر.. أردتُ التغير.. أردتُ أن أحيا وسط عالم لم يكن فيه نبضٍ للعيش أبدًا ، رأيته من بعيد تائهًا في ملكوتهً الخاص، اقتحمته بكل قوتي لعله يشعر بيَّ..

والفجوة إمتلئت بيَّ والآن هو عثر على ما ضاع منه ولكني لم أنتظر أن يفيق من غيبوبته المؤقته تلك داخل سرابه، فأخذت الأنفاس تتلقفني هنا وهناك، فأسرعتُ بأخذه للمكان المُحدد وهو غير قادرًا على الاعتراض هذه المره.. فأنا هنا المسيطر لا المُتجمد ، وأصبحنا واحدًا بعد أن كان هو «جسد بلا ظل» وكنت أنا «ظل بلا جسد».

رأيتها من بعيد تُلوح لي وتَجرّ صاحبتها معها كذلك ويتقلص الفرق والمسافات بيننا حتى تصادمنا بشدة وأصبحت صاحبتها في أحضان صاحبي وعينيهما مشدودتين غير واعين لشيء وهتفت هي قائلة..

«ماذا.. يحدث.. هنا؟!»

ولم يردّ عليها هو ولكن إبتسامته طغت عليه حتى إنتقلت إليها وأعينهم تبوح بالكثير والكثير.. كثيرًا رفضاه في الماضي لنكون ــ نحن ــ السبب تلك المرة في اللقاء وليس الصدفة فإقتربتُ أنا من حبيبتي وإنطبقنا على بعضنا وأصبحنا كيانًا

واحدًا لا يُفرقه أحدًا ، وقبل إنتهاء آخر أحرفي أحب أن أقول لكَ..

«فلتصنع ظلك كما تريد ولكنه سينتفض شئت أم أبيت في يوم من الأيام ولتنتظر هذا اليوم، ولتبتسم فقط لهذه الحياة وأرفع يديك عاليًا ولتخبر السميع بما تُريده الآن».

تمت بحمد الله..

بقلم الكاتبة: «مروة الشربيني».

❖ ❖ ❖

«بداية»

لكل منا حكاية، حكاية ربما سيرويها التاريخ يومًا وربما لا، ربما تؤثر في أحدهم ولعلها تكون بر الأمان له، لا تسألني كيف؟ أو لم؟ فإنه قدرك ومقدر لك رؤيته، لا لن يتغير إلا إذا أحسنت الدعاء؛ ربما حينها يتغير إلى ما تتمنى وهو خير لك، لا تيأس وتحزن إذا أحببت شخص أو شيء ولم يُقدر لك، فلا تعلم أين أو فيما يكمن الخير؟ ربك له حكمة ستعرفها يومًا ما فلا تكن غافلاً عن معرفتها، نصيحتي لك لا تحب، إذا وجد الحب؛ وُجد الألم والجروح الغائرة لن يشفيها الزمن على مر حياتك فهي علامة مبهمة بداخلك، حتى أنتَ لن تمحوها فلها أثرها الدفين، ستتعلم من تلك القصة التي سأرويها لك الكثير والكثير، قصة غريبة في حياتك ستظل تلاحقك أينما ذهبت، تتساءل في كل لحظة: لم أنا دون الآخرين؟ فتجيبك نفسك: اصمت، فأنت في منتصف الطريق، اصمت وإلا كل شيء سيصبح قاتمًا، اصمت فالصمت فن لا يُفهم، هيا لا تجادل نفسك وتنهرها وأسرع في خطواتك، وتحد ذاك الدخيل بداخلك الذي يؤلمك، إن حدث خطأ ولم يكن بإرادتك أسرع في طريقك والزم الصمت حتى تنجو، لا، لا تسأل لم الصمت؟ أو ما الذي ستنجو منه؟ ولكنك ستعرف في نهاية الطريق، لا تلتفت لمن ينادي باسمك واصنع

المجد بنفسك، هيا لقد حان دورك أرني ماذا ستفعل، لا لا تنظر إليّ هكذا فأنا سأجلس وسأرى إن كنت تستحق العبور بسلام أم سيكون مصيرك الهلاك.

بطلة القصة موجودة بالفعل على هذا الكوكب، ربما تكوني أنتِ البطلة، لكن هل ستكوني بهذه القوة والثبات على تخطي العقبات أم ماذا سيحدث؟ انظري إلى واقعك ولا تتركِ شراع الرحلة يقذفك كما يهوى، بل اجعلي قلبك هو عينك، لكن حذاري أن يكون في كافة أمورك، اجعليه متوازنًا مع عقلك لتري الأمور من جانب لا يُحزنكِ.

وأنتَ لم أصابك الحنق؟ أتحزن لأنها البطلة؟ حسبك أن تظن بأنها ضعيفة، هي فقط نشأت في مجتمع قلت فيهِ شجاعة المرأة، والرجال هم من لهم الأولوية في كل شيء، أما عنها فإنها تُوضع على أحد الرفوف، متى شئت أخذتها ومتى شئت وضعتها، فلتفيق يا آدم من غفلتك فحواء هي الأولوية أو العدم، ستتغير نظرتك لها حتى تود أن تلوذ بموافقتها على طلب الإنضمام إلى عالمك القاسي، أتحسب بأنها رهن إشارتك؛ كلا لكن فطرتها سليمة يحركها قلبها النقي الذي لم يخلو من مصاعب الحياة، لكنها تحاول أن تحافظ على قلب تلجأ إليه متى أرادت، لكي يخبرها بصدق أو كذب من أمامها لديها غريزة يُتعجب منها، لكن للّه في خلقه شؤون.

في إحدى المناطق الراقية التي تطل على النيل، يجلس شاب وفتاة من يراهم من بعيد يظنهما حبيبين، هكذا هم البشر يظنون الأمور الظاهرة هي الصائبة، لكنهم لم يتعمقوا بداخلنا

ليـروا حقيقتنا الحزينة أو قد تكـون حزينة، فربما يدخل الفرح خلسة إلى قلوبنا، لكن الحزن طغىٰ عليه فمحى طيف الفرح من القلوب، ليتهم يفهمون الأمور بطريقة صحيحة على الأقل ترضينا وترضيهـم، لكن لن يسـمع أحد لأحد، فمنـذ متى والعيب فينا! العيب دائمًا في من حولنا.

-أشـرقت: لا أعلم لم أتينا إلى هنا؟ لمَ لمْ أذهب إلى المشـفي ككل مرة؟

- مـراد بابتسـامة: هـل أعجبتكِ المشـفي أم مـاذا؟! أردت أن تتحدثي بحرية هذه المرة فأريد أن أرى قصتك بشكل أوضح.

-نظـرت لـه بلامبـالاة فـكل مـا تريـده التخلـص مـن فرط الشـحنات السـلبية بداخلها، والتوتر الذي يمـزق حياتها بالبطء الشـديد، لـم يخطـر على بالهـا أن تذهـب لطبيب نفسـي يومًا، لكـن صديقتها هي السـبب؛ هي مـن دفعتها للمجـئ إلى طبيب أحمـق، فالتغير الذي طـرأ عليه يدل على أن الحب يدق باب قلبه وتخشـى أن تكون السـبب لكنه حقًا معتوه، فهو لا يفهم شـيء على الإطلاق.

- أخرجهـا من شـرودها على كلمـة كانت تتوقـع مجيئها، لكن لم تتوقع أنها سـتأتي بهذه السـرعة، أم أن الأيام أسـرعت في خطواتها لتحاصرها في بقعة زمنية ليس لها مسمى.

- مراد: هل أصابكِ العشق؟!

- أشـرقت بابتسـامة يشـوبها الحزن: كلا، وكيف السبيل لدخول العشـق قلبي؟ وقد نشـأت في بيت قاحل من الود والحب،

أترى تلك الإبتسامة على وجهي؟ يسبقها كل يوم دموع تنهمر بلا سبب تتسابق على أي أرض تتوارى بها؛ خشية أن يراها أحد لا أعلم من أنا، أصبحت أخاف نفسي فأنا في عالم آخر غير هذا العالم البائس، أبحث عن شتات نفسي، وأبسط الأمور تسعدني لكن يقتحمني الواقع، بلا أدنى شفقة أو تنبيه لأقع في مشاكل لا أعلم كيف هبطت عليّ، لا أستطيع الهروب منه، بل أبتسم له بلامبالاة، ثم أخوض تجربة مريرة، لم يكن لي يد بها.

- سافر أخي وتركنا ومن بعدها ساءت أحوالنا، كنت أرى أبي وهو يضرب أمي كل يوم وأسمع أبشع الكلمات، وأرى أفظع الصور فها هي أمي من عملت على رعايتنا، واهتمت بنا بين أيدي رجل افتقد قلبه معنى الرحمة، كل ما في قلبه القسوة، كلا ليس له قلب؛ بل قلبه تحول إلى حجر لا يستطع أحد استعطافه حتى توسلت أمي لم تجد نفعًا، وعندما حاولت أن أفض النزاع بينهما، لطمني على وجهي، لكنني لم أقف مكتفة الأيدي بل حاولت أكثر من مرة حتى دفعني نحو الحائط وسقطت، وأخر ما رأيته دموع أختي الصغرى، وأمي التي أنهكها الضرب، تسرع في خطاها نحوي، ولم أدر ما حدث بعدها سوى في اليوم التالي وأنا في مشفى عام، شعرت وكأنني مسجونة في أسوأ حلم لي، لم تكن مشفى عادية بل لم تكن مشفي من الأساس، كانت كأنها مبنى مزدحم بالناس، ومن يساعدونهم فقدوا آدميتهم في حادث ماتت فيه ضمائرهم؛ يعاملون الناس وكأنهم حشرات، لم أر سوى ممرضة واحدة وسط مئة تبتسم في وجه المرضى، بل وتقول لهم ما يطيب أوجاعهم، يا لها من إنسانة

جميلـة الروح، لم تكن إصابتي بالغـة الخطورة لهذا خرجت في نفس اليوم، ومن يومها لم أر أبي، ساءت أحوالنا كثيرًا، ونفدت الأموال التي كانت تدخرها أمي خشـية يوم كهذا، اليوم الذي يفر فيه زوجها كالجبناء من معركة هو قائدها، إن رحل القائد كيف سـيواجه بقيـة الفريق طريقهم؟ اتصلت بأخي ليسـاعدنا؛ لكنـه ورث صفة الكره والقسـوة من أبي، وقـال لي بألا أتصل مجددًا، نفذت طلبه ليس خوفًا ولا طاعة لأوامره؛ لكنني لا أحب أن أطلب الشيء نفسه مرتين، أصاب أمي المرض وظلت حبيسة الفـراش، عامًـا كاملًا أهتـم بها هي وأختي، كنـت أعمل إلى جانب دراسـتي الثانوية، كان هو من سـاعدني على إجادة عمل بسـرعة، عمـل يجعلني أوفق بين حياتي كلهـا، لكنه تغير بعد ذلـك، لم يعد طارق الذي أعرفه، ظللت أعمل بجد واجتهاد حتى حصلـت على الأمـوال الكافيـة لمعالجة أمـي، لكنني تأخرت لدقائـق فقط، ولـم تمهلني العـودة حتى لكي أودعها، شـعرت فـي ذلـك اليوم بأنني يتيمـة الأب والأم بل ليس لـي عائلة؛ عائلتي تكمن في أختي الصغرى فقط.

- حتى جاء ذلك اليوم المشـئوم الذي رأيته فيه في أول يوم لي في الجامعة، ما أزال أذكر تفاصيل ذلك اليوم عن ظهر قلب.

- ريان: المعذرة أنستي، ولكن هناك شيء سقط منكِ.

- أشرقت: شكرًا

- ريان: يبدو وكأنكِ في السنة الدراسية الأولى من الجامعة.

- أشرقت: بلى.

- استدارت لتذهب لكنها سمعته يقول:

- ريـان: الطابـق الثانـي مـن المبنـى المقابل يوجـد به جدول محاضراتك.

- التفتت لتشـكره لكنها لم تجده، يشـبه أبطال الكرتون يساعدون الناس ومن ثم يختفي أثرهم.

- ذهبـت إلـى المبنى، لكنهـا ظلت تتحدث إلى نفسـها على أي الطوابق سـتذهب، اختلطـت الأمور عليها فذكـرت أنه قال «الطابـق الثالـث» وليتها لـم تفعل، صعدت الطابـق ووجدته ملئ بالشـباب اضطربـت لهـذا الحشـد واسـتدارت للنـزول، لكـن أحدهم وقف أمامها ليمنعها من المرور.

- أشرقت بصوت يكاد يسمع: هل يمكنك أن تسمح لي بالمرور؟

- كريم بابتسامة خبيثة: لا أحد يلقي إلي الأوامر، أتفهمين؟ ولـم يقل لي أحـد بأن الدفعة الجديـدة فتياتها جميلات هكذا، ويبدو وكأنكِ أجملهن.

- لم تسـتطع سـماع حرف آخـر فلطمته على وجهـه، ودفعته ليسقط على السلالم فاقدًا توازنه، وأضحى الشباب يضحكون عليه وهرولت هاربة من أسد يكاد ينقض على فريسته، لكنها ليست كما توقع ستخضع لأوامره.

- رأى ريـان ما حدث معها وتعجب لأمرها، كيف لفتاة مثلها أن تفعـل مـا فعلته؟ وقد كانت قبل قليل مشوشـة لا تعلم إلى أين هي ذاهبة كطفلة تائهة من أبيها وسط الزحام، تذكر أن موعد المحاضرة القادمة بعد ربع ساعة من الآن، تمنى بداخله لو تكون

تلـك المحاضـرة لدفعة هذا العام لكنه نفـض تلك الأفكار عن رأسـه ، كيف يفكر بهذه الطريقة؟ لقد تعدي مرحله المراهقة منـذ زمن ويخشـى الوقـوع في أسـر الحب كضحايـا الحروب ، يدخلـون بها ويعلمون أن مصيرهم إما الموت أو الانتصار ، أما هو فمصيره مجهول في هذا الإتجاه ، لم يجازف يومًا ليقع أسيرًا له ، كان يكفيه سـماع قصص الحب من أصدقائه وما يحدث فيها مـن خلافات ، أو انتهـاء علاقة ، أو ربما تؤدي لانتحار شـخصان يُنهيـا حياتهمـا مـن أجل مـاذا؟! من أجل لعنـة الحب التـي ما إن تصيب الإنسـان حتى تجعله في دائرة ليس لها بداية ولا نهاية ، أن يسـعى وراءك الحب خير من أن تسـعى أنت له ، فالحب يجعل لنا فرحة تغمرنا متى شـئنا لكن سُـمه ليس له دواء؛ ما إن يُكسـر جزء بداخلك حتى يصعب التئامه من جديد.

-فالحـب ما إن تشـعر به حتى ترى قلبك مسـرور ، وترى يدك تخـط علـى الـورق بكلمات لـم تر لهـا مثيل ، من يكتب يشـعر بآلام الحب الحقيقية ، لأن يده تعزف على وتر ليس له مُسـمى ما بيـن قصص مؤلمـة وجميلة وكئيبة ، حتى سـهام الفراق أصابت الشـاعر خليـل مطران وعبـر عن حالته في سـطور قليلة يقرأوها القارئ ببسـاطة ويسـر ، لكنه لم يعِ حقيقة الحب المؤلمة بل لم يعِ الحقيقة كاملة.

«شـاكٍ إلـى البحر اضطـراب خواطـري ، ، فيجيبنـي برياحه الهوجاء»

«شـاو علـى صخـر أصم وليـت لـي ، ، قلبًـا كهـذي الصخرة الصماء»

«ينتابها موج كموج مكارهي، ، ويفتها كالسقم في أعضائي»

«والبحر خفاق الجوانب ضائق، ، كمدًا كصدري ساعة الإمساء»

- رأى الموضوع من زاوية واحدة، ولم يره من خارج إطار الصورة، فربما يكون الفراق خيرًا لهما.

- انتبه ريان من شروده على صوت صديقه طارق، ويبدو أنه هنا منذ زمن.

- طارق بتعجب: ماذا أصابك يا ريان هيا لقد حانت اللحظة الحاسمة التي كنت تنتظرها طيلة مشوارك الجامعي وها أنتَ اليوم معيد في كلية الآداب.

- ريان بابتسامة: معك حق يا صاح إنه اليوم المنتظر سألتقِ بكَ بعد الدوام.

- أحيانًا يمنحنا القدر صدفة لتغير مسار الحياة وتفكيرنا، لنحيا داخل صدفة نسأل أنفسنا دومًا هل نستحق كل ذلك؟وماذا فعلنا؟!

- دخل ريان محاضرته الأولى ليس كطالب وإنما كمعيد.

- توغل الفرح بداخله حينما رآها، ووجد ابتسامته لا إراديًا ترتسم على وجهه، كلا إنها ليست ابتسامة عادية بل ابتسامة نابعة من القلب.

- ريان: السلام عليكم أحب أن أعرفكم بنفسي.. أنا ريان عبدالرحمن وهدرس ليكم - إن شاء الله - مادة علم النفس،

أول يوم ليكم لازم يكون خفيف كده، هشرح حاجة بسيطة وأتعرف بيكم إن شاء الله.

- بدأ في شرح جزء بسيط من المادة، لطالما رأى نفسه كهذا يدرس لطلبة الجامعة، ويساعدهم في مشوارهم الدراسي، يعلم جيدًا بأن الناس ترى كلية القمة «الطب والهندسة والإعلام» لكنهم غير مدركين بأن الإنسان الناجح لابد أن يكون في مجال يرضيه، ويبدع فيه لكي يحقق نجاح أكثر لا يوجد ما يسمى «كلية قمة وقاع» بل الإنسان الطموح يستطيع النجاح في أي مجال.

- انتهى مما كان يشرحه وتعرف إلى الطلاب، وكان بشوش في وجههم ويبدالهم الدعابات على عكس الآخرين، الجدية دائمة في حديثهم ولا مجال للنقاش في أي شيء، يعيشون في زمن غير زمانهم لا يعلموا بأن الكل كاره لهم ولموادهم.

- مراد: وماذا حدث في تلك المحاضرة؟! هل كانت ودية مع الفتيات فقط أم مع الجميع؟

- نظرت له نظرة جعلته يصمت.

- أشرقت: ريان ليس من ذلك النوع من الرجال، ولا أسمح لك بإهانته، انتهت المحاضرة حتى قبل أن يعلم اسمي ولم يحاول حتى الوصول إليّ ولا أن يزعجني.

- مراد: إذن ماذا حدث بعدها؟ وكيف علمتِ بشخصيته لكي تدافعي عنه هكذا؟!

- أشرقت: لقد انتهت جلسة اليوم، طبيبي العزيز: لن أستطيع

الحديث أكثر، أخبرني متى تحين أخر جلسة لي؟!

- مراد: لا يزال هناك أربعةً فقط.

- أشرقت: ألم تقل لي لا يزال هناك اثنتان فقط؟

- مراد: الأمور تتغير ولا شيء يبقى على حاله.

- أشرقت: حسنًا.

- نما في قلبها حبه منذ الصغر، وهو عاشق لأخرى كانت تتألم في صمت، وهو لا يدرك وإن لاحظ شرودها وحزنها، سألها: ماذا بكِ؟! فتجيبه أنها بخير، لم يشأ الإبحار في عالمها ولو للحظة، فتركته على أرض قاحلة من الزرع ويأمل أن تنبت الأرض يومًا بكل ما تمنى، كان يعيش في وهم، ولا يدرك نهاية أفعاله حتى ساءت الأمور أكثر ليظلم فتاة أخلصت له رغم جفاءه معها.

- زينب: أبشري يا حسناء جاءكِ خاطب اليوم ولا أظن أنكِ سترفضيه كالبقية.

- حسناء: لا أريد الزواج يا أمي حسنًا ولا يهمني من هو.

- زينب: كما تريدين، لكن الخاطب «طارق» بن خالتك كريمة.

- هبت واقفة من مكانها وابتسمت رغمًا عنها.

- حسناء: ماذا تقولين؟ أحقًا هو؟ ها هي دعوتي تتحقق.

- زينب بخبث: ألم تقولي بأنك رافضة للمبدأ نفسه؟ ماذا حصل لتغيري رأيك؟

- انتبهت حسناء لما تفوهت به أمام أمها ، ولم تعلم كيف تصحح ما حدث؟

- حسناء: ها من قال بأنني رافضة للمبدأ ، دعيني أفكر قليلاً وسأجيبك.

- زينب: إذا ذهبتِ إلى مشفى المجانين ستكوني أنتِ السبب.

- حسناء بفرحة: يا أمي كنت أمزح فقط ويبدو أن هاتفي يرن بالخارج.

- ولا تعلم كيف هربت من ذلك الموقف، ولا تعلم ما الذي قالته: هل سيكون لصالحها أم العكس؟

- لكن الأم متفهمة لها ، وتعلم أن صغيرتها دق الحب باب قلبها ، وتخشى عليها مما هي مُقدمة عليه.

- على الجانب الآخر في منزل طارق يشتركان في نفس الموضوع، لكن كلاهما له رأيه الخاص.

- طارق بعصبية: ماذا فعلتِ أأنتِ مجنونة؟ تعلمين جيدًا بأن حسناء في مثابة أختي فقط وذهبتِ لخطبتها دون علمي، لماذا تصرين على مضايقتي؟ يبدو وكأنكِ كبرتي في العمر، ولا تدرين ماذا تفعلين يا...

- لم يكمل حديثه حيث وجد صفعة مدوية على وجهه.

- كريمة: يا لك من فتى عديم الأخلاق، ولم أعرف كيف أحسن تربيتك؟ شئت أم أبيت ستذهب معي اليوم لبيتها ، أم ستظل تنتظر؟

- طارق بغضب: اذهبي وأريني من سيأتي معكِ؟

- كريمة: إذا لم تأت معي فلتخرج من بيتي ولا تعد، ولتنسى بأني أمك؛ تريد الزواج من فتاة الحي كله يتحدث عن خروجها المبكر ورجوعها بعد منتصف الليل، إن كانت هي آخر بنات حواء لن تتزوجها يا طارق، أرني ماذا ستفعل؟ أمامك خيارين لا ثالث لهما.

- توقفت عقارب الساعة بل توقف الزمن كله من حوله، وكأنه بين نارين، أينسى حب طفولته وشبابه من أجل أحاديث الناس اللامتناهية؟ أم يظلم فتاة ليس لها شأن فيما يحدث كل ذنبها أنها تحبه؟ كان يعلم بذلك جيدًا لم يشأ أن تتعلق به أكثر حتى لا ينكسر قلبها، لا يعلم ماذا يفعل؟ وكيف سيكون هذا الاختبار اللعين؟ وعلى أي ميناء سيتوقف شراع الرحلة؟

- طارق بخيبة أمل: متى سنذهب يا أمي؟

- كريمة بانتصار: في الساعة الثامنة يا ولدي، هيا اذهب إلى غرفتك وستجد كل ما يلزمك، فلقد اشتريت بعض الملابس الجديدة لك.

- ذهب إلى غرفته كطفل مشرد النفس بحاجة إلى من يطمئنه، لكنه لم يجد، لا يدري ماذا يفعل؟ حتى أنه لم يدافع عن حبه، لم تكن الليلة مفرحة له بل وكأن أقرب الناس لقلبه مات وذاهب إلى مأتمه، كأي شخص كان يرى بأن حبيبته مرت بظروف قاسية وحدها، والسبب هو والدها أو الهارب، كما يسميه الناس أحاديث الناس اللامتناهية، والخوض في الأعراض والنميمة، وقيل وقال... ونسوا تعاليم الدين بل نسوا الإسلام من الأساس، وكأننا في بلاد المسلمين بلا إسلام نسوا

بأن يحسنوا الظن بغيرهم، وألا يتبعوا عوراتهم، وألا يذكروا عيوب غيرهم، فمن هنا تنمو نقطة سوداء فيمن يستمع إليهم دون دليل، بل يسير كالأنعام وسط الدنيا ويحسب أنه يفقه كل شيء وهو لا يعلم سوى اسمه فقط. ما شعورك إن أسئت الظن بغيرك ومن ثم أصبح جزءً لا يتجزأ من روحك؟ التمس لأخيك الأعذار وإن حدث تشابك بينكما فلا تستمع لما يقال عنه وتصدقه، فكم من أناس يضعون لمساتهم السحرية من أجل فراق من حولهم ويتلذذون بذلك، يا لهم من حمقى، فالدنيا تدور وتدور حتى تُكشف الحقائق كاملة.

- لا يعلم كيف جاءه النوم؟ وكأنه طوق النجاة له يريد أن يستمع إلى أحد يقوده إلى بر الأمان، وبالفعل فاز بما أراد حُلم غير مسار تفكيره للأبد.

- فعبر أحلامنا نلتقي خلسة مع من نحب أو من رحل عنا منذ زمن.

- على الجانب الآخر كان هناك من يهمس لنفسه: ها هي دعوتكِ تتحقق أمام عيناكِ يا فتاة، سيغمرك الفرح في القادم من حياتك مع نصفك الآخر.

- كانت مشتاقة لذلك اليوم الذي كانت ترجوه منذ زمن، وها هي دعوتها تتحقق لكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن؛ شعرت بحزن يتسلل إلى قلبها وسمعت أحاديثه المؤذية لها، أفيقي من أحلامك الوردية فطارق عاشق لأخرى، وأنت لستِ في دائرة اهتمامه يا حسناء، سيكسر قلبك وسط هذه المعركة ستكوني أنتِ الخاسرة فقط.

- لكنها لم تسمح للحزن أن يعكر صفوها من أجل أحاديث كاذبة، لو لم يكن يريدها لما طلب يدها.

- هكذا كانت تقول أو ربما كانت تقنع نفسها بحقيقة هي لا تحب سماعها، لكنها حسمت أمرها بأنها ستكون في قلبه وعقله ولا أحد سواها.

- عزمت على خوض معركتها بنفسها، وأنها ستكون منتصرة في النهاية، ولن تسمح لأي شخص أن يعكر صفو حياتها.

- تتحدثين إلى نفسك يا حسناء وكأنكِ تملكين قلباً من فولاذ، بربك أكل هذا من أجل لعنة الحب، وإن كان هذا الحب فلما تتحطم قلوب الكثير منا، الحب ليس فترة يملؤها الصفاء والسعادة ولا فترة يشوبها الأحزان، ما إن يدق الحب باب أحدهم حتى يخلص لمن أحب، العلاقات الصادقة لا تنتهي، الحب ليس هو أساس الحياة، بل الاهتمام سيدها.

- الاهتمام أفضل من الحب، إذا وُجد الاهتمام ولد الحب، وتعمق في النفوس لبقية الحياة، لكن لا وجود للحب دون الاهتمام.

- مرت خمسة أشهر كسرعة البرق، وجاء اليوم المنتظر لفرحة الأختين.

- ما إن انتهى الشيخ من عقد القران حتى انطلقت الزغاريد في كل مكان، كانت الفرحة تملأ قلوب الجميع، فرح طارق بزواجه ولأول مرة يشعر وكأنه شخص آخر غير الذي يعرفه،

أمـا عنها فكانـت تحمد اللّه كثيرًا على التغيـر المفاجئ الذي طرأ عليه وتتعجب من أجله.

- طارق بود: مبارك يا حسناء قلبي.

- حسناء بلامبالاة: شكرًا.

- نظر إليها بتعجب: من هذه؟!

- طارق: إنكِ أجمل فتيات حواء، أنت للقلب أميرته.

- حسناء ببرود: شكرًا على تلك المجاملة اللطيفة.

- طـارق لنفسـه: هـل أقتُلهـا أم مـاذا أفعـل؟ يـاارب ألهمنـي الصواب، فيبدو وكأن كل شـيء سـيرد لي. يا لكِ من غريبة يا حواء، متى شـئت يتحول أسـلوبك ويقع آدم في بحورك كالغريق ولا يدري متى يتم إنقاذه، هذه هي حواء القوية التي تجعل التوازن بين عقلها وقلبها لا التي تسير وراء قلبها لتصبح أسيرة للحب.

- طارق: هل تسمحين لي ببضع دقائق فقط وسآتي إليكِ؟

- نظرت لـه بتعجب واندهاش ولم تُجيبه، ولكن فجأة تحول كل ذلك إلى صدمة حينما رأته يأتي ومعه أشرقت.

- وقف الجميع والصدمة مسيطرة عليهم..

- كريمة: ما الذي جاء بكِ إلى هنا يا ابنة الهارب؟ أم كفاكِ تدمير لقلوبنا؟ هل جئتي لتسرقي ولدي من عروسه؟

- جاء طارق ليرد؛ لكن أشرقت منعته.

- أشـرقت بثبـات: لم آتـي لتخريب الحفل سـيدتي المصون، بـل جئـت لأبارك لصديقة طفولتي، واسـمي هو: أشـرقت أسـلم

عبدالرحمـن وليـس ابنة الهارب، لم أكن أتوقـع معاملتك هذه، لكـن أصبحت أعي جيدًا بأنه لا يوجد عزيز لدى أحد، فالكل تتغير أحوالهم شكرًا على تعليمي درسًا آخر في حياتي.

- كريمـة باشـمئزاز: الجميـع يعـرف بخروجـك المبكـر ورجوعـك بعـد منتصـف الليـل ويتحدثون بأبشـع الصـور عنكِ، كيـف لـكِ أن تكوني بذلك الثبات، تعلميـن مكانك ليس هنا بل بين الساقطات.

- طارق بغضب:كفاكِ يا أمي أنتِ لا تعرفين شيء.

- كريمة: اصمت يا طارق، إلى متى ستظل أحمق يا ولدي؟

- أشرقت: يا زوجة عمي المصون، مكاني ليس هنا صدقًا، وليـس بيـن السـاقطات كمـا تقوليـن، مكاني ليـس هنا على الإطـلاق، مكانـي في مكان أجمـل مع أناس أنقيـاء، الجميع يتحدث عني، هل سـأذهب لكل شـخص وأقول لـه: من فضلك لا تتحـدث عني فأنا امرأة تعمل ليـل نهار من أجل حياة كريمة، أقـول لهـم: لا تتحدثـوا عني فأنا امـرأة مكافحـة، كل هذا لا يهمني لي رب يسمع ويرى ما يحدث لي وسينصرني ولو بعد حين.

- كريمة: والشخص الذي يأتي بكِ كل يوم بسيارته.

- أشـرقت بحـزن: إنها صديقتـي ورد وليس رجـل كما يظن الجميـع، ظلمهـا المجتمـع لأنها أنثى فـأرادت أن تحيا كرجل، حتـى أنا تناسـيت لبعض الوقـت أنها أنثى، هربـت من بيت كل الأولوية فيه للذكر، بيت قاسي ولا يعلم معنى للإنسانية، عاشت كرجل وتناسـت أنوثتها كل ذلـك من أجل تفضيل الذكر على

الأنثى، لنا الله أما يكفيكم ظلما لنا؟ كفاكم لقد هرم القلب من الأوجاع وقلت الدموع من كثرة نزولها كل يوم أما يكفيكم كل ذلك.

- رأت حسناء الصورة كاملة للمرة الأولى، رأت بأنها ظلمت صديقتها وصدقت كل ما يقال، ولم تصدق قلبها كانت تسمع أحاديث أشرقت والدموع تنساب من قلبها علي رفيقتها، كثرت معاناتها وحدها ولم يساعدها أحد.

- طارق بإشفاق: كفاكِ حديث يا أشرقت.

- أشرقت بانهيار: دعني أتحدث يا طارق للمرة الأولى التي أدافع فيها عن نفسي، دعني أحطم قلوب من ظلموني ولو قليلًا، دعني أُسقيهم من نفس الكأس المرة.

- بدأت الرؤية من أمامها تختفي رويدًا رويدًا حتى سقطت مغشيًا عليها.

- أسرعت حسناء لصديقتها تضمها بشدة.

- وقف الجميع ولا يعلمون ماذا يفعلون، عيونهم تبكي على فتاة كانت ضحية من ضحايا زمان.

- أسرع طارق لطلب الإسعاف، ويخشى أن تموت أخته، الآن فقط اعترف لنفسه بأنها أخته.

- في المشفى كانت تبكي على ظلمها لفتاة كانت تعاملها في يوم من الأيام كابنة لها، لكن كل ذلك ذهب مع الريح ولم يبق شيء.

- حسناء بعتاب: طارق هل كنت تعلم أن أشرقت مظلومة؟

ولم تخبرني كل هذه المدة.

- طارق: لا أعلم بما أجيبك لكن هناك شيء يجب أن تعرفيه.

في تلك اللحظة خرج الطبيب.

- طارق: كيف حالها أيها الطبيب؟

- الطبيب: يؤسفني قول ذلك، لكن أشرقت حالتها الصحية والنفسية سيئة للغاية، يجب أن تتابع مع طبيب نفسي.

- طارق: شكرًا لك، هل بإمكاننا رؤيتها؟

- الطبيب: إنها نائمة الآن، لن تفيق إلا في اليوم التالي.

- حسناء: يا لكِ من مسكينة يا صديقتي.

- طارق: ستكون بخير، إنها قوية للغاية ولا تقبل الهزيمة بسهولة، والآن تعالي معي إلى المكان الذي طالما حلمت أن تكوني فيه.

- حسناء باستغراب: أي الأماكن تقصد؟ وماذا عن أشرقت هل سنتركها؟!

- طارق: كلا، إنها رغبة أشرقت، كما أني سأجيبك على كل أسئلتك.

- كريمة: طارق سأظل أنا وخالتك هنا، اعتني بريم جيدًا يا ولدي.

- طارق: حسنًا يا أمي، هيا يا ريم تعالي معي.

- ذهبا إلى بيت صغير يطل على شاطئ البحر من يراه يظن بأنه مهجور، لكنه في غاية الجمال من الداخل.

- حسناء: لما أتينا إلى هنا؟!

- طارق: هنا منبع الأسرار يا زوجتي، هنا تكمن الحقيقة، هذا البيت لجدي وجد أشرقت، أترين ذاك الكتاب هناك؟

- ذهبت ريم وأتت بذاك الكتاب.

- قرأت حسناء اسمه «بداية لكل شخص داخل لعنة الحب».

قرأت العنوان ولم تفهم شيء، فتحت أولى صفحاته لتجد أعذب الكلمات:

(أنت هنا من أجل الحقيقة المبهمة لقلبك، أنت هنا من أجل الحب، أنت هنا من أجل الود والسعادة الخفية، حتمًا ستصادفك حكمة الله في كل ما حدث لك، وستبتسم تلقائيًا لبحر الظلمات الذي أسرك لفترة داخله، لتجد النور الذي تبحث عنه يخرج من قلبك ليطغى على حياتك بأكملها، فللقلب نور لا يستطيع أحد إيجاده سوى من أراد حياة مفعمة بالود والتفاؤل، لا تنظر لأولئك الذين أصابهم الاكتئاب وغدر الزمان، الحياة مزيج من كل شيء، أنت الوحيد الذي يختار كيف ستسير حياته القادمة أنت وحدك لا غيرك، مهما عصفت بك الحياة، ووقعت في أشد المواقف تذكر بأن كل شيء سيذهب مع أول ريح تهب في رحلتك، واجعل ابتسامتك النور الخارجي لقلبك، ابحث عن الحقيقة المبهمة بقلبك وستجد النور يقودك لكل ما تريده).

- حسناء بابتسامة: هنا تكمن الحقيقة كل شيء ظهر كوضوح الشمس ويبقى سؤالي الوحيد يا طارق، ما الذي غيرك؟

- طارق: جدي وأشرقت هم السبب في تغيري.

حلم غير مسار حياتي، في اليوم الذي جئت فيه لخطبتك جئت وأنا راض عن كل شيء، علمت أن هناك سر وراء كل ما يحدث فتركت الأيام ترشدني لبر الأمان.

عودة لذاك الحلم الذي غير حياة أسرة بأكملها

- الجد: طارق يا ولدي هون عليك كل ما أصابك خير لك ولقلبك، لا تكن عاق لوالدتك واتبع أوامرها ولتنس قلبك قليلًا، ودع عقلك يقود الموقف، انظر إلى الطريق المزهر رغم رؤيتك له بأنه جاف، وابتعد قليلًا عن الطريق القاحل وإن كانت نهايته ما تريد، فلا تدري بأي الطريقين تفوز، وإذا عزمت فتوكل على رب العباد، وستجد الطرق المسدودة تُفتح من حيث لا تدري، لكن حذاري أن تظلم أحد في طريقك ف للدنيا حساب قاسي، فلا يغرنك جمالها، تراها اليوم جميلة ثم تراها قاتمة، الدنيا كالقطار يا ولدي به المحطات الكثيرة لا تدري في أي محطة ستنزل، وأخشى من أن تكون محطة مظلمة، وتذكر إياك وظلم أشرقت، إياك وظلمها، إياك وظلمها.

ترددت كلمات جدي كثيرًا، لكن علمت فيما بعد أنه على صواب فقد رزقني الله زوجة صالحة أحبك يا رفيقتي للجنة.

- ريم: نحن هنا يا سيدي العاشق.

طارق وحسناء يضحكان على كلماتها.

- ريم: حسناء أنت له وهو لكِ فلا تجعلي الحياة تحطمك، كوني له كما تريديه أن يكون لكِ.

- حسناء: لا تزالين صغيرة يا ريم، سبحان الله وكأنني أرى أشرقت أمامي.

- ريم: لقد ذكرتيني، هناك شيء خاص لكِ من أختي.

ذهبت إلى إحدى الغرف وجاءت ومعها صندوق كبير.

فتحت حسناء الصندوق ووجدت به صور لها ولطارق في طفولتهم، ووجدت لعبة صغيرة لها، وورقة مكتوب فيها (ومهما كان لليأس طريق ف للأمل كل الطرق).

- طارق: إنها جميلة حقًا.

- حسناء: من تلك الجميلة يا طارق، أتريد أن أقتلك الآن؟ أم ماذا يا حبيبي.

- ريم: أووه عروس تقتل عريسها بسبب مغازلته لأخرى، ما رأيك أن ندفنه بجوار هذا المنزل.

- حسناء: فكرة جيدة يا ريم.

- طارق: أنتِ جميلة الجميلات يا صغيرتي، صدق من قال «ويل آدم من غيرة حواء».

- حسناء: يا رفيق دربي إن حواء ما إن تعشق حتى تهب آدم كل ما تملك من الحب، وتدعو الله أن يحفظه لها، والآن ماذا تفعل يا طارق؟!

- طارق: أكتب حقيقة جديدة يكتشفها أحفادي في المستقبل (إن أحب الرجل بصدق لم يظهر حبه، وإن أحبت المرأة كشفت عن صدى الحب بداخلها، وأعلنت التمرد على عقلها ليصبح القلب سيد العشق ومهما تعارك القلب والعقل

على فكرة الحب سيفوز من لديه اقتناع تام على تلك المسألة المميتة، فالحب سلاح ذو حدين إما إن يجعلك في سعادة عارمة مدى الحياة أو يجعلك أسيرًا في الحزن والبؤس، والشفاء من تلك الحالة أصعب من دخولها فإحذر أن تدخل في ذاك التحدي المميت ولتحرص على الاختيار الصائب حتى تخرج منه بأقل الخسائر إن حدث خلل)..ويبدو وكأني دخلت تلك المعركة للفوز بقلبها، لكني سأمنحها كل شيء وسنجتاز الصعاب معًا.

لندع العشاق يفصحا عن مكنون قلبيهما ولنذهب إلى مكان آخر بات الحزن يأكل صاحبه.

- مراد: أصابني العشق يا ريان ولم أدرِ كيف ذلك؟!

- ريان باشفاق على حال صديقه: إنها لعنة أقسم لك، لا تهب كل روحك لشخص على هذه الحياة، فربما يخذلك يا صديقي.

- مراد: إنها ليست كالبقية، فتاة جميلة للغاية، جميلة العينان والروح، كل شيء بها يجعلك تحبها رغمًا عنك، أشرقت ليست كالبقية، لا أعلم عنها شيء منذ آخر مرة حاولت الاتصال بها ولكنها لا ترد على إتصالاتي، كنت أعلم أنها لن تكمل جلسات علاجها، فلم تأتِ لي بإرادتها، صديقتها من أرغمتها على المجئ.

دق قلب ريان ما إن سمع اسمها، أيعقل أن تكون هي؟

يا أشرقت ماذا فعلتِ لأولئك الشباب حتى يحبونك كل هذا الحب؟

- مراد: أين ذهبت؟!

- ريان: هل قلت إن اسمها أشرقت.

- مراد: نعم، أشـرقت أسـلم عبدالرحمن لقد عشقتك بلا أنا متيم بكِ

انزعـج ريـان من أحاديث صديقـه، وأراد الذهـاب وتعلل بأنه مرهق، وسيأتي إليه مرة أخرى.

مـرت عدة سـنوات على كل ما حـدث في قصتنـا «بداية من أجلك أنت».

تغيرت فيها أمور كثيرة، تزوج طارق من حسناء ولم يشأ اللّٰه أن ينجبا وبدأت المشاجرات بين الأختين تزداد كل يوم عن الذي قبلـه، لكنهمـا صبرا ولم يلتفتا لم يحدث مـن حولهم، عاهدها على الوقوف بجانبها وها هو يفي بوعده.

كانت تجلس في منزلها وتضع نهاية تلك القصة التي شـغلتها كثيـرًا، ودعت اللّٰه أن تكون كمـا يجب أن تكون بل وأفضل حتى سمعت جرس المنزل يرن، ذهبت لتفتح الباب ولم تجد أحد بـل وجـدت هدية فـي غاية الجمال مـن الخارج لكن مـاذا يوجد داخلها؟ ذهبت لتنادي على أختها الصغرى لتشـاركها هذا اللغز الجديد.

- ريـم: تـرى مـن صاحـب الهديـة، انظـري يـا أشـرقت إلـى الكلمـات المكتوبة عليها (أنتِ للحيـاة أمل... يا جميلة الروح لا تجعلي شيء يطفئ جمالك الداخلي).

فتحـت ريم الهديـة ووجدت الكثير مـن الخطابات، ووجدت مذكرات خالية من الكتابة ومكتوب عليها: هنا تخط أشرقت

أول كلماتها لتبحر في عالم كل منا وترشده إلى الطريق الصحيح.. ووجدت سلسلة بها قلب صغير وعليه حرفها وحرف آخر.

- ريم بإعجاب: أووووه يبدو وكأن هناك من وقع بحبك يا كاتبتي الصغيرة.

- أشرقت بتفكير: لا أظن ذلك، أشعر وكأني أعرف من المرسل جيدًا، اذهبي واجلبي لي حاسوبي ولنرى من منا على صواب.

فتحت حاسوبها وتفقدت حسابها الشخصي وكانت علي صواب صديقتها هي صاحبة الهدية، وجدت الكثير والكثير من الرسائل لها، كانت تحدثها وكأنها موجودة، تحكي لها المشاكل التي واجهتها وكيف انتهت بحلها، والأيام التي شعرت بها بالفرح وكأنها موجودة معها، لم تكمل قراءة جميع الرسائل حيث وجدت هاتفها يرن برقم لأول مرة تراه، فلم تجب ظل الهاتف يرن ولكن ما من مجيب، حتى وجدت رسالة نصية:

(لا أحد سيعجب بكِ يا رفيقتي أنتِ لي فقط)

قرأت عبارة صديقتها وابتسمت واتصلت عليها وكانت المفاجأة أنها تركت البلد الأوروبي الذي سافرت إليه ما إن علمت بما حدث لصديقتها.

وستأتي لتسكن جوارها.

- ريم بفرحة: (ولسوف يعطيك ربك فترضي) الآن فقط يعوضنا الله ما فقدنا، ويأتي الفضل بعد الله للسيد ريان.

- أشرقت: يجب أن أذهب إليه يا ريم وأشكره تعالي معي.

- ريم: تأخرتي لفعل ذلك لكنه يستحق التقدير.

- ذهبا لمنزل ريان ورحبت بهما والدته للغاية.

- والـدة ريان: مرحباً بكِ يا أشـرقت كنـت أنتظر زيارتك لي أكثر منه هو.

- ريم بمشاكسة: وأين أنا يا خالة؟ هل أنا شبح لا يرى؟

- والدة ريان: وأنت يا ريم، تفضلا بالدخول.

ذهبـت لتنـادي ولدهـا، فرح لسـماع اسـمها كثيـرًا ولا يعلم كيف تبدل حاله.

- ريان: كيف حالك يا ريم؟ وأنت يا أشرقت؟.

- ريم: نحن بخير يا ريان، أشرقت تريدك في موضوع هام.

- ريان: ماذا هناك يا أشرقت؟!

- أشرقت بتوتر: كل ما في الأمر أني أريد أن أشكرك على مساعدتك لي في الفترة الماضية.

- ريان: لم أفعل ما يستحق الشكر، وإذا أردتِ أن تشكريني فعليـكِ أن تكملي في كتاباتك لأنها تسـتحق أن تصل للجميع، قصتك الأولى «بداية» وستكون حقاً بداية لكل ما هو قادم

- أشرقت: أشكرك على تشجيعك لي ووقوفك جواري.

عودة للماضي قليلًا لنرى كيف تطورت تلك العلاقة؟

في إحدى الأيام، إتصل مراد على أشـرقت لأنها لم تأت كما قالـت لـه وكأنها تهرب من كل شـيء حولهـا، كانت محطمة

للغاية حتى أنها تذهب للجامعة بلا هدف.

حتى أنقذها ريان من أن تتحطم كليًا.

- ريـان: كيف حالكم يا شـباب اليوم سـنخرج خارج الإطار الدراسي قليلاً ونتحدث في أي شيء تريدوه.

اقترح الجميع أن يتحدث عن المرض النفسي.

أرادت أن تخـرج مـن المحاضـرة لكنه منعها يعلـم جيدًا مما تعاني، سـمع اسـمها أكثر من مرة من صديقه مـراد، ولم ينتبه حتـى لكونهـا هـي حتى تكـررت المـرات وتعجب كثيـرًا من حكايتها، وكيف تكون بهذا الثبات.

- ريـان: المـرض النفسـي كأي مـرض في العالـم له علاج، المهـم فـي مرحلة العـلاج هو الثبـات والإرادة، صاحـب المرض النفسي ليس مجنون كما يدعي البعض؛ هو فقط تلقى الخذلان مـن البعـض، أو دفعتـه الظروف ليصبح شـخص عكـس الذي يريـده، أو تحطم مـن الداخل ويدعي الثبـات والقوة من الخارج، الطبيب النفسي هو مداوي القلوب، يدخل المريض عنده شخص يائـس مـن الحياة ويخرج وهو عاشـق لها... يعلم الطبيب النفسـي كيف يتعامل مع كل مريض، فلكل شـخصية حكاية تختلف عن الأخرى، يتمتع بالصبر حتى لا يخذل أي مريض لجأ له، فهو يـدرك جيـدًا أن من الصعب أن تقنع نفسـك بالذهاب إليه، يجب أن نواجه المشـاكل حتى تصبح حياتنا كما نتمنى، لا تيأسـوا فمهما بلغت المشـاكل يبقى لكل مشكلة حلها، فلنا رب على كل شيء قدير.

انتهت تلك المحاضرة وكأنها رسالة لها ، باتت لا تعلم طريقها جيدًا حتى وجدت فتاة لا تعرفها تقترب منها وتتحدث إليها :

- مي: هل أنت بخير؟!

- أشرقت: نعم أنا بخير.

- مي: هل أساعدك في أي شيء تريدينه ، يبدو عليكِ الإرهاق كثيرًا ، سأجلس معكِ حتى تصبحي بخير.

- أشرقت: شكرًا لكِ

مر أسبوع وتطورت الصداقة بينهم ، في هذه المدة القصيرة عرفت مي كيف تقنع أشرقت بالذهاب لطبيب نفسي مرة أخرى ، علمت أنها بحاجة للسلام الداخلي من جديد.

وبالفعل قد كان؛ لكنها لم تكمل فترات العلاج وانسحبت من المعركة بهدوء ، لم تكن خاسرة ولا فائزة لكنها كسبت نفسها وأختها وصديقة غالية لقلبها.

علمت من مي فيما بعد أن ريان ابن عمها ، وهو من طلب منها التقرب لها.

كم من مشكلة وقعت فيها وساعدها من بعد ، لكن المشكلة التي حدثت وتدخل عن قرب حينما حاول أحدهم التعرض لها في الطريق ، ضربه ضربًا مبرحًا ، ولكن ما إن نظر إليها حتى وجدها خائفة ، هكذا كانت تقول عيناها ، (هدى الله والدها) كيف تركها ورحل كهذا؟!

عودة لأرض الواقع..

ريان: هل وضعتي نهاية القصة؟ أم أن هناك بطلاً ينقصها؟

- أشرقت: سأضعها اليوم أستاذي، هل تساعدني في وضع النهاية؟

- ريان: البداية بكِ والنهاية لكِ

- ابتسمت له ورحلت، ربما يكون بطلها في إحدى القصص القادمة وتكون هي أميرته.

- ريان بحزن: أتعلمين يا والدتي، تبدو صامدة لكنها أضعف مما تبدو، لا أعلم كيف تركها والدها ورحل؟ ذهبت لأعلم أي شيء عنه وليتني لم أفعل؛ وجدته تزوج من امرأة قاسية، وهو يعمل من أجلها... ترك بناته لأحاديث الناس ورحل ليقع في شر أعماله.

- والدته: لنا الله يا ولدي

- في منزل جدها كانت تجلس وتفكر في نهاية القصة حتى أنهتها كما يجب أن تكون.

تذكرت حديث حسناء إليها وكم كانت فرحة وحكت لها ما حدث في تلك الليلة الماضية

- حسناء بفرحة: رزقني الله بالذرية الصالحة يا أشرقت بعد طول صبر.

- أشرقت بود: بارك الله يا صديقتي، إنها نتيجة صبرك، أنتِ وطارق تستحقان كل الخير.

- حسناء: الحمد لله، فرح الله قلوبنا، كنت أدخل على طارق كل ليلة وأراه مهموم لأجلي، كنت أسمع دعاءه كل ليلة وهو يدعو الله أن يرزقنا الذرية الصاالحة، كان يتظاهر بالثبات وهو يتألم، رزقني الله ما أتمنى بعد صبر، الحمد لله دائمًا وأبدًا.

-حسناء: وما كان ربك نسيا، أبشري فالخير كله بيد الله.

ابتسمت لحكاية حسناء وطارق كيف بدأت بدعوة، وانتهت بدعوة، كانت بداية لهم من أجل حياة جديدة.

لكن الحزن لم يتركها، تسلل لقلبها خلسة، حينما علمت من ريان ما حدث لمراد وكانت هي السبب لما حدث، إنها لعنة لا مفر منها سوى للأقوياء.

- ريان: لقد مات صديقي يا أشرقت، مات من أجل الحب، انتهت حياته في لحظة ولم أكن جواره لأجعله يفيق مما هو فيه.

- أشرقت: لا تحزن يا ريان فالحب ليس هو السبب، بل مراد من جعل نفسه أسيرًا في معركة خاسرة من البداية، كنت أخشى أنا من ذلك اليوم ولكنه تحقق.

- ريان: للأسف هذه هي الحياة.

أشرقت: لكنها قاسية للغاية دون من نحب، سيأتي يوم حتمًا ويتغير كل شيء، من أجلك أنت فقط.

- ريان بابتسامة: نعم كل شيء سيتغير، فالبداية بكِ والنهاية لكِ.

تمت بحمد الله...

❖ ❖ ❖

الاسم: مصطفى طه حسين أحمد

السن: ١٨ سنة

المؤهل: طالب يدرس في الثانوية التجارية

❖ ❖ ❖

ابدأ بالضروري ثم الممكن حتى تجد نفسك تصنع المستحيل

الأمل ليس حلمًا بل طريقة لجعل الحلم حقيقة

(١)

الحب الطيب

مرحبًا أنا محمد عمري ٢٥ سنة؛ خجول بطبيعتي وأدرس الهندسة في جامعة القاهرة.

وإليكم قصتي سأرويها لكم:- بدأت يوم أجريت امتحانات أخر العام الدراسي وبعد ظهور النتيجة، ولكنها للأسف لم تكن جيدة، وقد انزعجت جدًا من الأمر لدرجة أني نسيت موعدي مع أصدقائي، وقررت العودة إلى البيت، والحزن يتملكني. وعندما وصلت جلست مع نفسي قليلًا، وصرت أفكر في ماحدث وما سيحدث وماالذي يجب عليَّ فعله، وتوصلت إلى قرار ألا وهو أن أحسن نتائجي العام القادم. وكان السبيل لتحسين نفسي وتطويرها ؛ المكتبة. فاتجهت إليها على الفور لأجلب كتابًا عرفت مؤخرًا بأنه سيفيدني. وعند دخولي بدأت أبحث عن الكتاب ولكن المفاجأة عندما رأيته بين أيديها، ماذا أقول

لكم؛ ملاك على هيئة بشر سحرتني بجمالها لدرجة نسيت لماذا أنا هنا؟وماذا أريد؟، فقد كان جمالها كالشمس عند شروقها، كنور القمر في الليالي الحالكة، وعطرها أشبه برائحة المطر ؛ تلك الرائحة التي يعشقها كثير من البشر.

حينها قررت أن أستجمع شجاعتي وأطلب منها الكتاب فاتجهت إليها وقمت بطلبه بطريقة مهذبة، فوافقت أن تعطيني إياه وأخذته وخطى أقدامي تأبى أن تتزحزح من أمامها، فقد سلبت قلبي ونظرات عيوني كادت لتُفضحني فعدت إلى رشدي وذهبت.

عدت إلى المنزل بجسدي ولكن قلبي وروحي فقد سُلبوا مني. وضعت الكتاب دون أن اقرأ حرفًا منه وذهني مشغول بتلك الملاك.

وعند الصباح قررت العودة إلى المكتبة لعلني أجدها وقلبي يتمنى رؤيتها وعند دخولي بدأت أقلب ببصري عليها، فإذا بها تجلس في ركن بعيد لوحدها فذهبت إليها والشوق يعتريني وطلبت منها الكتاب الذي بين أيديها فوافقت أن تعطيني إياه للمرة الثانية وأصبح يتكرر هذا المشهد يوميًا، وإذا بنظرات الحب تفضح عيوني ولكني أحاول إخفائها بقدر الإمكان.

وفي يوم مامرضت مرضًا شديدًا فذهبت إلى الطبيب وفاجأني بمصيبة أن في جسدي مرض خبيث وأيام حياتي معدودة في الدنيا، فحزنت حزنًا شديدًا ؛ حتي أصابني الاكتئاب، وانطويت على نفسي في غرفتي ولم أستقبل أيًا من أصدقائي ومرت أيام وأنا على هذا الحال.

أما الفتاة فكانت قد افتقدتني من كثرة غيابي ؛ فهي تعودت على رؤيتي كل يوم وغيابي بهذه الطريقة جعلها تقلق أكثر.

فقررت أن تبحث عني وبدأت بالسؤال عني في المكتبة حتى وصلت إلى بيتي. واستجمعت قواها وطرقت الباب ففتحت لها أمي، والحزن بادٍ على وجهها فسألتها الفتاة هل هذا بيت محمد؟ فردت أمي عليها نعم، ونبرة الحزن في صوتها واغرورقت عيناها بالدموع ؛ فشعرت الفتاة أن هناك خطب ما قد حدث لي فسألت أمي يا خالة لماذا محمد لم يعد يأتي إلى المكتبة؟ فانفجرت أمي بالبكاء وأخبرتها بأني مريض جدًا ، وأن الطبيب قال أن أيامي معدودة في الدنيا. احتضنت الفتاة أمي وهي تبكي، هوني عليك يا خالة فالله رحيم بعباده وما هذا إلا اختبار له في الدنيا.

طلبت هي من أمي أن تدخل إليّ فوافقت، وأخبرتها بأن تحاول إخراجي من تلك الحالة وأدخلتها إلى غرفتي فوجدتني منطوي على نفسي حزين والدموع تملأ عيني.

نظرت إليّ بتمعن وقالت اسمك على اسم أحب خلق الله، وأنظر كم صبر هو وتحمل وأنت استسلمت من أول موقف واجهك في الحياة، كلنا سنموت لكن أن تموت وأنت راضٍ بقضاء الله خير من استسلامك للمرض. هيا قم ولا تستسلم وعالج نفسك فالله رحمان رحيم وهو الشافي لكل داء.

بعد أن سمعت تلك الكلمات ارتفعت معنوياتي، ونظرت إليّ وقالت: لو قرأت كل كتاب أخذته مني لعرفت ما يحمل قلبي تجاهك، وودعتني على أمل لقاء قريب في المكتبة وخرجت.

لكنها تركت أملًا جديدًا في قلبي للحياة ؛ فقررت أن أذهب للمسجد لأدعُ ربي بالشفاء والعافية، ثم قررت الذهاب إلى الطبيب والبدء بالعلاج لعل اللّه يشفيني من هذا الداء.

وفي الصباح اتجهت إلى الطبيب لأعيد كل الفحوصات والتحاليل لأتأكد مرة أخرى ؛ حتى يقرر الطبيب من أين سيبدأ علاجي؟ وعندما خرجت نتائج التحاليل وذهبت إلى الطبيب فوجدته مذهولًا، ونظرات التعجب بادية على وجهه وأخبرني خبر تعجبت منه: أنت لست مريضًا يا محمد فجسمك سليم من كل داء، فتعجبت جدًا مما سمعت، وقلت له: ماذا تقول؟ هل أنت تخفي عني شيء؟ قال: لا، إنك فعلا لست مريضًا، من الممكن أنه كان هناك خطأ في فحوصاتك السابقة فاحمد اللّه الذي عفاك من شر هذا المرض.

لم أعلم أأفرح أم أبكي أم أصرخ؟ فقد اختلطت علي مشاعري، شكرت ربي علي شفائي من هذا الابتلاء، وأول شيء خطر في ذهني أن أذهب إلى المكتبة لأراها وأخبرها، وعند دخولي بدأت أبحث عنها، فإذا هي في مكانها المعتاد ذهبت إليها أخبرها عما جرى وما قال الطبيب لي. كنت أنظر إليها والشوق والفرح يملأ قلبي، فنظرت لي وقالت هل شفيت؟ فاستغربت كيف عرفت؟ وسألتهامن أخبرك؟ قالت دعاء أمك ودعائي وخاصة تمسكك باللّه ورحمته هو الذي عفاك. فقلت لها ونعم باللّه.

ولكن أريد إخبارك بأني أحبك فهل تقبلين الزواج بي؟... فوافقت دون تردد.

وبعد فترة أقمنا حفل زفافنا وعشنا في سعادة مطلقة وننتظر ولي العهد خاصتنا.

❖ ❖ ❖

(٢)

حنين

يقال إنه في قديم الزمان كانت هناك فتاة تدعى حنين، عاشت حياتها وسط الألم لدرجة أنها نسيت معنى الأمل، صارت أيامها كلها متشابهة وكأن الأيام تعيد نفسها، كل صباح تتكرر نفس الأحداث لدرجة جعلتها تمل من حياتها وكل ما يدور حولها.

وبين صراعات الألم والجراح استفاقت ذات يوم على صوت رقيق احتارت من يكون من الذي يحاول إيقاظ شيء فيها قد مات، تسمع وتسمع والصوت يقترب ويقترب وكأنه يخاطبها هي فقط، احتارت، وقالت: هل جننت أو أن هذا حقيقي؟ كيف لأمل أن يتكلم مستحيل؟... رد عليها وقال: هل تقبلين مني حبة حلوى؟ احتارت هي وردت بكل خجل: نعم، إني أعشق الحلوى، قال لها: سأترك لك كل يوم حبة حلوى، فرحت كثيرًا من صميم قلبها أن هناك من يهتم لإحساسها ويحاول أن يسعدها.

وكل يوم صار أول شيء تقوم به عند قيامها من النوم أن تتأكد أنه حقيقة وليس حلم، وعندما تتأكد تفرح لدرجة أن الفرحة لا تسع قلبها الصغير المنهك من جراح السنين، لكن هذا الأمل خفف عنها الكثير مما كانت تعانيه في الحياة اليومية،

صار هو بسمتها التي لا تتحمل أن تفقده فكل يوم كانت تجدد حياتها بالكلام معه.

وهو كان كنسمة الرقيقة التي تشفي الجراح التي أضنت قلبها طول السنين، فرقته وطيب تعامله جعل منها فتاة تحب الحياة، تعشق الأمل، تخرج من دائرة اللاوجود.

إلى دائرة الوجود لتبدأ بالحلم والعيش على أمل أن الحياة ستهديها أحلامًا وأمالًا، وستحلق في يوم للأفق وتكون الشخص الذي أحياه الأمل.

فالألم سرق من عمرها أجمل أيام حياتها، وترك قلبها هشًا لاحياة فيه، وكأنه عش هاجر منه الطيور، أو كفصل الخريف الذي أسقط كل أوراق عمرها في الألم والحزن والجراح وحل الشتاء ليلف قلبها بكل هذا الصقيع، لكن الأمل دخل حياتها في لحظة ليقلب كل آلامها إلى أفراح، وكل الصقيع الذي غطى قلبها إلى دفء بحب الحياة، وعلمها درسًا مادام الإنسان حي وله قلب ينبض فهناك حياة وسعادة، ويجب أن نتحدى الصعاب؛ لأن حياتنا تستحق أن نحارب الدنيا من أجلها، والسعادة من حق قلوبنا؛ لذا يجب أن لا نكل أو نمل من أي شيء يواجهنا من الصعاب.

ويجب أن نحقق ذاتنا، ونغرس الحب في قلوبنا، وحب الابتسامة الدائم وان نمسح دموعنا ونقف من جديد؛ لأن كل دمعة مالحة تعلمنا أن الحياة مثلها رغم ملوحتها تريحنا.

عندما نبكي ونقوم لنكافح من جديد ونحلق بأحلامنا إلى أبعد الحدود ؛ لأننا نستحق أن نبتسم ونضحك بصوت عالي،

ومـادام القلـب ينبـض لا يزال هناك أمـل وأحلام لـم نحققها لذا سنسـعى لتحقيقهـا ، هكـذا كانت حيـاة الفتـاة بدايتها ألم، وانقلبت بضحكة بريئة من أخ إلى أمل وحب للحياة.

❖ ❖ ❖

(٣)

الفتاة المحبة

في يوم من الأيام، يوم ليس ببعيد عن الآن، كانت هناك فتاة محبة للحيـاة، لها عالمها الخاص، فهي عاشـقة للأمل والحب، تخلـق مـن دمعتهـا ابتسـامة وتسـقيها بالأمل، وتشـرق شمسـها بكلمة الحمد، فقد أوجدت عالمًا يلائم شخصيتها.

لو تحدثت معها تجدها متفائلة ضاحكة، وكأنها تعيش في كوكب خالي من الهموم والمشاكل، فهي شخصية رومانسية عاطفية دمعتها سـهلة، وضحكتها أسهل، تحب كل الناس ولا يحتمـل وجود الكره في حياتها ؛ لأنه في اعتقادها أنه سيسـرق عمرهـا وابتسـامتها ويجعل قلبها ملـيء بالحقد والسـواد، وهي تكره اللون الأسود وتحب الألوان الزاهية، وابتسامتها تخلق ألف لـون ولون كأنها قوس قزح تنعكس ألوانه على من يحيطون بها وهي تحب أن تسعد كل من حولها؛ فسعادة البشر غايتها.

لقد كانت أحلام تؤمن بالحب، وتتراقص علي أنغامه، وبينما هي كذلك وقعت في حب شـخص من خيالها، لدرجة وصل بها الحـال أنها اقتنعت أنه شـخصية حقيقية، وليس مجرد احسـاس فشـخصيتها الحالمة جعلتها تعشقه، وراحت تحدثه كل يوم في

خيالها فقد وجدت راحتها عند الحديث معه.

ومـرت الأيـام وهـي على هـذا الحال تكلـم حبيبهـا ، تغازله لدرجـة أنهـا عشـقته ونسـيت حقيقة أمـره، إنه مجرد احسـاس يسـكن قلبهـا ، هـو طائر حر لا يحـب القيود لكنـه مؤلم عند التيقن بأنه ليس موجود.

وفـي يـوم وهي تتحدث معـه كعادتها ، لتفت إليهـا وقال لها : استيقظي من أحلامك، ألا ترين أنني مجرد خيال ولست شخصًا لتحبيني لهذه الدرجة؟!

أنا يا سـيدتي لسـت محبوبك الواقعي، نظرت إليه باستغراب وقالـت إن كنـت أنـت خيال فلم تسـكن قلبي ولا يسـكنه من أحب؟ لماذا أنت تستوطن روحي؟

رد عليها وقال: سأشرح لكِ ولكنها استوقفته ، وقالت: لاتردد تلـك الشـعارات التي اعتدت سـماعها في كل مـكان حتي في الراديـو ، والتلفزيـون، وأن المحبـوب إن عشـقته سـكن قلبي، كيف يسـكن قلبي وأنت من يسـيطر علي روحي تهيم سـحرك وتغزله علي قلبي؟

توقفي دقيقة: أنا مجرد مرسـول أوصل لك رسائل المحبوب، أجعلك تشـعرين بحبه وألمه وجنونه فقـط، ولكن الذي تفعلينه الآن يدمـرك، فلتنظـري إلى الواقع ولتبتعـدي عن الخيال، فقط اتبعي دقات قلبك، وهي ستقودك لمحبوبك الواقعي وأنا واثق من أنكِ ستجدينه وسيكون أجمل حب في حياتك.

❖ ❖ ❖

بقلم الكاتبة: إيمان السيد

❖ ❖ ❖

حكاية قلب

اليوم هو السادس والعشرون من شهر أكتوبر، نفسه اليوم الذي خسرت به أعز ما أملك منذ عامين، فيه فقدت أبي قُرة عيني وصديق روحي بسبب امرأة أحسن إليها فأساءت، ودمرت حياتنا أشد تدمير حتى انتهى الأمر بأبي جليسًا للفراش، مُصابا بذبحة صدرية أدت إلى موت عضلة قلبه فأودت به إلى الهلاك.

حينها كنت قد حصلت على وظيفتي في إحدى المستشفيات كأخصائية للأرواء القلبي (Cardiovascular Perfusioist)، وعمليتي الأولى هي عملية إنقاذ أبي ولكنها فشلت، فقد حان الوقت لكي يرحل عن الدنيا، يومها خسرت كل معاركي مع الحياة، وانطفأ بريق روحي وبقيت وحدي، فلقد رحل عني من كان عوني وسندي في الحياة.

واليوم سأُجري نفس العملية لمريض آخر، فذهبت إلى المستشفى وطلبت ملف المريض ؛ لكي أراجعه فوجدت بأنه قد شُخص بفشل في البطين الأيسر يصاحبه إنسداد في الشرايين التاجية (Left Ventricular Dysfunction with blocking in two coronary arteries)، وستُجرى له العملية المشهورة باسم (CABG) (Coronary Artery Bypass Graft) وهي عملية لترقيع الشرايين التاجية التي أُصيبت بانسداد في أحد أجزائها فأدى

إلـى موته، فيتم إصلاحه عن طريـق إزالته، ويحل محله جزء من الوريـد الصافـن الذي يوجـد في السـاق (Saphenous vein) أو جزء من الوريد الأجوف (Vena Cava) فتعود الشرايين للعمل من جديد بشكل شبه طبيعي.

وكعادتي عندما أراجع أي ملف أتجاهل تمامًا اسم المريض؛ ففي كل الأحوال الاسـم لا يعنيني في شـيء، كل ما يعنيني هو تشـخيصه وتاريخه المرضي وجميع فحوصاته القديمة والحديثة لأرى إلـى أي مـدى تطـورت حالته، وأهم ما فـي الأمر هو ضغط دمـه فهو مسـئوليتي الأولـى ويجب مني الحفاظ عليـه قبل وأثناء وبعد العملية؛ حتى أضمن نجاحها وإبقاء المريض سـالما دون أي معوقات تؤذيه.

ولكن حينما وقعت عيناي على الاسـم بدون قصد وقع الاسمُ علـيّ كسـيل عـارم أدى لتحطيـم أغصـان روحي وتهييـج أمواج غضبي، فقدت توازني وصرتُ أترنح من هول الصدمة كسكير بات ليلة بأكملها في شرب الخمر.

كيف يمكن أن تكون هي؟! كيف لقلب هذه المرأة أن يخفق؟! هـل لديهـا قلـب من الأسـاس؟ يالله هـذه نفسـها المرأة التـي دمرت عائلتـي وكانت السـبب في موت أبي، والآن هـي أصبحت مريضتي ومسـئوليتي، لا! كيـف لهـذا أن يحدث؟! أنا لا أسـتطيع أن أجعلها ضمـن مسـئولياتي. أردت دائمًا الانتقام منها لا لإنقـاذ حياتها، يالله أنا أضعف من أن أكون سببًا لنجاة شخص كان السبب في دماري.

أيقظنـي صـوت الممرضـة من شـرودي وطلبت منـي الذهاب للجـراح فـي الغرفـة رقـم ٢٦ فنهضـت، وأنـا فاقـدة لتركيزي

تمامًا ووصلت تلك الغرفة لأجدها ممدة على الفراش في حالة يُرثى لها، رأيتها رهن اعتقال الأجهزة الطبية، مكبلة في أصفاد الكانيولات والإبر. طلب مني الجراح أن أتابع ضغطها لحين بدء العملية ثم ذهب وتركني معها. أنا وهي فقط لأول مرة نكون وحدنا، جلست بجوار سريرها وأخذتُ أتأمل تلك الملامح الجاحدة، القاسية وهي في ذروة ضعفها. أتأمل تلك اليد التي صفعتني منذ زمن وهي الآن تغزوها ندبات الإبر أتأملها بصمت مريب وهي غارقة في سُبات عميق. يمكنني أن أتخلص منها بسهولة بدون أن يرجف لي جفن، فإذا قمت بتسريع ذلك السائل ستموت في لمح البصر، فهو محلول رافع لضغط الدم؛ يُعطى بحذر وبمعدل معين إذا زاد عن حده ستزيد معه ضربات القلب، ومشكلتها هي في البطين الأيسر؛ المسئول عن ضخ الدم للأورطي ومنه للجسم، والآن البطين لا يعمل، وعندما يزيد ضغط الدم فيه لا يستطيع استقباله فيعود للرئة من جديد فيُصيبها بالاحتقان الدموي وتقل نسبة الهواء بها ؛ فتفشل وظائف التنفس. وغير ذلك شرايينها التاجية أصابها الإنسداد وجزء منها قد مات، فلا يصل لعضلة القلب الدم اللازم لتغذيتها، وبالتالي الشيء إذا زاد عن حده انقلب ضده، وهذا ما سيحدث ستموت عضلة القلب لعدم تغذيتها، وزيادة الضغط سيتسبب في الفشل الرئوي ولأن القلب والرئة وجهان لعملة واحدة فإذا تأذى أحدهما فإنه يؤثر سلبًا على الآخر، وبسبب فشلهما سويًا يفقد الجسد الحياة.

ولكنّيَّ لا أُشبِهُها البتة، لن أفعل ذلك لأن قيمي وأخلاقي تمنعني، وأيضًا هي في النهاية مريضة ومهما كانت الخلافات

كثيرة بيننا لا يُمكنُني أذيتها بأي شكل كان. فالمريض إنسان بغض النظر عن نواياه.

تابعت ضغط دمها بدقة وحرصتُ علي تحسينه وإبقائه ثابتًا ومناسبًا حتى أتى موعد العملية فتركتها ؛ ليُجهزها فريق التمريض لدخولها غرفة العمليات، وذهبت أنا لأتعقم وأتفحص جهاز (CPB) (Cardiopulmonary Bypass): وهو الجهاز الذي سيقوم بعمل القلب والرئة أثناء العملية ؛ ليتمكن الجراح من العمل في وسط غير دموي فيستطيع الرؤية بكل وضوح.

دخلنا جميعنا لغرفة العمليات (OR) وبدأت أنا في وضع السائل اللازم لفلترة الدم داخل جهاز(CPB) : وهو سائل يعادل نفس تركيز بلازما الدم (Isotonic Crystalloid Solution)، وفي نفس الوقت كان أخصائي التخدير قد أنهى عمله، وبدأ الجراح بشق الصدر ليصل إلى القلب، وعندما وصل إليه وظهر بوضوح قمت أنا بتركيب الثلاث كانيولات الخاصة بالجهاز في القلب؛ الأولى في الأذين الأيمن، والثانية في الوريد الأجوف حتى يقومان بسحب كل الدم من الجسم لجهاز (CPB) ليقوم بفلترته وأكسجته، فهو هنا يقوم بعمل الجزء الأيمن من القلب والرئة معًا، ثم يعود الدم للجسم عن طريق الكانيولا الثالثة التي تم تركيبها في الشريان الأورطي ليضخه لبقية الأعضاء، وهنا قام الجهاز بوظيفة الجزء الأيسر من القلب. وفي حين ما تُجرى العملية ويقوم الجراح بتصليح الشرايين التاجية ؛ حتى يتم تغذية القلب بشكل سليم ويعود البطين الأيسر للعمل من جديد، كنت أنا بجانب عملي على الجهاز أقوم بإعطائها جرعة من الهيبارين

حتى لا يتجلط الدم، وبالتالي تزداد سيولته فينتقل بين الجسم والجهاز بكل سهولة.

بعد مرور ساعات انتهى الجراح من عمله، وتم تصليح الشرايين بنجاح، وعاد البطين يعمل بشكل شبه طبيعي، فقمتُ بفصل الجهاز وإزالة الكانيولات وإعطائها جرعة من عقار يُدعى بروتامين سلفايت (Protamine Sulfate) ليضاد عمل الهيبارين ويعود الدم لحالته السابقة ويعود الجسم يفرز الهيبارين بنسبته الطبيعية. انتهت العملية كليًا وقام فريق التمريض بنقلها لغرفة العناية القلبية (CCU) لمتابعة حالتها حتى تستعيد وعيها، والتأكد من أن القلب عاد للعمل من جديد.

بعدما انتهيت أنا من تبديل ملابسي، ذهبت إليها فوجدتها ما زالت في السُبات، أشفقت عليها، وعيناي قد أصابها مرض البكاء، فجلست بجوارها أتحسس يداها وقلبي يحدثها، أنتِ حية، وأنا من ساعد لإنقاذك في حين أنني فشلت في إنقاذ أبي، كنتِ سببًا لدماري منذ عامين، والآن أصبحتِ سببًا لنجاحي. كيف فكرتُ بالانتقام منكِ أو حتى قتلُكِ؟ أأطلب منكِ السماح علي تفكيري بهذا السوء؟ أم أسامحكِ أنا على كل ما فعلتيه بي وبأبي؟ كيف استطعتِ أن تخونينا بهذه الطريقة؟

اعتبرتُكِ أمي وأحببتُكِ أكثر منها، وأبي أحبكِ جدًا وفعل لكِ كل ما تريدين، لماذا إذن سعيتِ لتدميرنا؟ حقًا أنا أشعر بالأسف عليكِ لأنكِ لم تُقدري يومًا محبتنا لكِ. أظن أن الله قد أخذ لنا بالثأرِ منكِ، والله لا يبتلي أحد إلا ليكفر له عن ذنب، فالله قد عفى فمن أنا حتى لا أعفو.

أسامحُكِ يا من اعتبرتُكِ يومًا أمًا لي؛ نطقها لساني بكل آسى، وسيل دموعي ينهمر كالشلال على خديّ، فقبلت يداها وقلبي يتآكل من الحزن ولكنه يُرمم نفسه بسعادة العفو، ثم تركتها وذهبت، راجية من اللّه أن يُعافيها ويرشدها لطريق الصلاح والهداية..

❖ ❖ ❖

بقلم الكاتبة: غادة مفتاح عبد القوي

❖ ❖ ❖

الجسد الغائب والقلب الحاضر

أنا «يس»، طالب بالصف الثالث لكلية العلوم، ذلك المكان الذي يملك كثيرًا من أحلامي، المكان الذي عانيت كثيرًا كي أصل إليه، أردت أن أكون هنا لكي أشفى من جميع الأوجاع التي لطالما عانيت منها ليل نهار، فالسرطان يمرح معي، يذهب فتنبت شعرات رأسي ثم يعود ليسقطها من جديد، لا أكره هبة الله لي كي أكون مختلفًا، لكني لا أريد أن أرى وجعي في عيون شخص آخر، أكتب إليكم كلماتي كي أكون جملة عابرة في يومكم، أو ربما لأكون قطرة مطر تنبت في قلوبكم زهور قد ذبلت منذ زمن.

بدأت حكايتي منذ كنت في الصف الأول الإبتدائي حينما صرخ أبي في وجهي لماذا لا تصلي؟ كيف ستلقى الله! حينها لم أكن أعلم ماذا يقصد، لكني قررت أن تعلمني أمي تلك الحركات لأكررها وأنا أردد سورة أو سورتين من ذلك الكتاب الذي لا تتركه أمي من يدها طيلة الليل، وأتمتم كلمات يرددها أبي كثيرًا حين أنحني وحين أضع رأسي على الأرض.

شعرت بالمرض ذات يوم ولم يكن مرضي يمر عابرًا كأي شخص، بل كان يوقع في نفس أمي وأبي قلقًا كبيرًا، فمنذ علمت أمي أني أملك ذلك الرفيق الذي يدعى سرطان وهي

تخشى عليَّ من كل شيء وكذلك أبي، لم يرد أبي أن أذهب إلى المدرسة وأجلسني في البيت حتى أشعر بتحسن، جلست في البيت وإذ بصديقي «يوسف» يتصل بي ليخبرني أنه يريد رؤيتي، أحب ذلك الشخص كثيرًا فهو هادئ مثلي ولا يحدث صخب كباقي زملائي، أخبرته أني سآتي إلى المدرسة في الغد، وحين رأيته أخبرني بشئ وقع أثره على قلبي كالصاعقة، فقد أصبح رفيقي رفيقه أيضًا، لم أرد إخباره عن ذلك السائل الذي سيجري في دمه مثل شوك الصبار، ولا عن شعره الذي سيسقط يومًا بعد يوم حتى لا يبقى منه شعرة واحدة، ولكني أخبرته أننا أصبحنا متشابهين في كل شيء وسنسير معًا حتى النهاية.

وفي يوم من الأيام عدت إلى بيتي لأجد أبي ناظرًا إليَّ وتكاد عينه تضيء من شدة الفرح ؛ حاملًا طفلًا محتضنه بين ذراعيه، قائلًا لي ها قد جاءت أختك يا حبيبي؛ قد وصلت "يارا" تلك الصغيرة المزعجة التي لا تكف عن البكاء ليل نهار، ولكني حين حملتها ونظرت إليها شعرت بدفئ لم أشعر به من قبل، وكأنها قد سكنت قلبي وأغلقت جميع أبوابه.

مرت الأيام سريعًا، لم تمر باطمئنان قدر ما مرت بسلام داخلي، فكانت أيامي حينًا بالبيت وحينًا آخر في المشفى لم يتركني «يوسف» لحظة وأنا أيضًا لم أتركه فكان كل منا بمثابة جدار يتكئ عليه من عجز وحين نعجز كلانا نميل على الأيام.

أصبحت الأن في الصف الثالث الثانوي اقترب من حلمي خطوة ويمتلكني الخوف خطوات، أخشى ألا أصل إلى مرادي،

وصلت لمرحلة لم أفهمها ، تراودني لحظاتها كل ليلة فأمر بلحظة اللاشعور ، اللاأمل واللاحزن واللاانكسار ، حينما يختلط شعور الانطفاء بشعور الرضا نصل إلى مرحلة اللاشيء ، أنزل دروسي في كل يوم ثم أعد إلى بيتي أو إلى بيت «يوسف» لنذاكر سويًا فقد كان حلم «يوسف» أن يصبح مهندسًا معماريًا ، كان يدعمني دائمًا لأن أواصل الحلم حتى يتحقق ، كي لا نرى تلك المعاناة البائسة في عيون الآخرين ، كنت أشعر وكأن هدفي أهم عنده مما يريد تحقيقه.

كانت الأيام تمر بين الجد والاجتهاد والتعب وقلة النوم ، كانت «يارا» تساندني كثيرًا ، فكان وجودها أشبه بركن هادئ يحتضنني كلما تعثرت بي الحياة ، لم تكن بالنسبة لي مجرد أخت بل كانت هي تلك الحبيبة التي سكنت الفؤاد و تربعت على عرشه ، التي لطالما رسمت الابتسامة على وجهي حينما كان عابثًا ، هي الروح التي سكنتني دون أن تدري ، نصفي الثاني الذي لم ولن اكتمل بدونه ، كم أعشق ابتسامتها ونظراتها المليئة بالبراءة ، ليس لحياتي معنى دونها ، أصبحت هي روح الحياة.

مرت الأيام وكنت قد تعافيت للمرة الثالثة من ذلك الرفيق ، أدعو الله ألا يعود مجددًا ، كان معي «يوسف» حينما أخبرني الطبيب بذلك وأخبره أيضا أنه قد اقترب ، كما أبلغنا أنه فخور كثيرًا بعلاقتنا وأن نحاول ألا نبتعد مهما حدث ، تركنا الطبيب وسرت مع يوسف ونحن بكامل سعادتنا نتحدث عن مستقبلنا وعن ما يجب أن نفعله خلال الفترة القادمة ، إلى أن مرت عليَّ

تلك اللحظة التي قتلت السعادة بداخلي للأبد ، جاءت تلك السيارة العمياء بسرعتها القصوى واصطدمت «بيوسف» بكل عنف وإذ به يطير في الهواء ثم يسقط أرضًا غارقًا في دمائه ، لم أستطع استيعاب ما حدث ولكني ركضت إليه وكأن قدمي تتصارع كي لا تصل ، لم أستطع أن أحجب دمعاتي أخذته بين أحضاني ونظرت إليه في صمت وكأني أحادثه ، لا ترحل يا صديقي ، لا تجرح قلبي المتيم بوصالك يا رفيق دربي وآلامي ، نظر إلى وقال «عليك أن تكمل ما قد بدأناه معًا ، عليك ألا تتراجع يا صديقي» ثم صمت بعدها إلى الأبد.

لا أعرف كيف مرت عليّ تلك الأيام ، لكنها مرت بين دموع وآلام وصرخات ، تقرب مني الكثير من زملائي في المدرسة وحاولوا إخراجي من هذه الحالة ، ولكن لم أشعر بالحب في نظراتهم ، كنت دائمًا أشعر بالوحدة وكأن لا لونًا للحياة ، وكأن كل شئ قد انطفأ ، لم يصلحوا الشقوق التي تركها «يوسف» بداخلي ، فقد استنتجت بعد ذلك أنهم اقتربوا فقط كي يحصلوا على أكبر قدر من الاستفادة ، فأنا كنت أشرح لهم كثيرًا وأنصحهم بما يفعلوا ، شعرت وكأن العالم بأكمله قد اجتمع على أن يحدث ثقوبًا في قلبي ، فكان لزامًا عليَّ أن أذهب إلى قبر «يوسف» لأشكو له كما اعتدت ، وقفت أمام قبره وقلت له: لا يشبهوني يا صديقي ، لماذا تركتني وجعلتني أرافقهم ، لا يرون قلبي المحترق ولا يستمعون لآهات عيني ، أتناسى أوجاعي بينهم وأنت المتيم بأحزاني ، لا تمل ولا تشتكي كثرة مأساتي ، ما لهم من ذنب وما عليَّ من ذنب ، الذنب ذنب من

تركني والحزن متربص بين أضلعي، إنطفأ كل شيء في عيني فجأة ولم تعد عيناي ترى سوى الآلام، لست بخير يا صديقي، أريد عناقك، أريد أن أبكي بين أحضانك كما كنت أفعل دوما، عن ماذا تسألني يا صديقي؟ عن حالي! حالي حالك يا صديقي، أنا وبعد كل هذا الركض ؛ نظرت ورائي لأجدني في نفس المكان الذي بدأت منه، عن ماذا أخبرك؟ عن أحلامي التي تحطمت! وظنوني التي لطالما خابت، عن من خذلوني، عن قلبي الذي جرح مرارًا وتكرارًا، أتدرى يا صديقي كم اعتزلت غرفتي وصرخت في صمت، لطالما شعرت صرخاتي تخرج روحي من بين أضلعي، أأحدثك عن كل يوم مر علىّ وأنا أبكي وحدي دون علم أحد؟ عن طرقاتي التي ضاقت، وطريقي الذي ضللته؟ أنا يا صديقي أضيع كل ما اضعت عمري لأجله وأفنيت راحتي لأجل بقائه، فما الحل إذن.....؟!

عدت إلى بيتي لأجد أبي قد دخل علىّ غرفتي، كعادة الآباء دائمًا ما يشعرون بالخوف على أولادهم ولكن دون أن يشعروهم بذلك، سألني كيف حالك، فأخبرته أن كل شئ على ما يرام، ثم خرج من الغرفة، فلم أستطع أن أحبس دموعي وأخذت أحادث نفسي، لقد كذبت يا أبي لست بخير، تلعثمت كلماتي حينما سألتني، ليتني أستطيع إخبارك أنني بحاجة إليك، ليتك لا تحمل همومًا كي تعينني على حمل أثقالي، ثم وجدت أمي ورائي لتأخذني بين أحضانها وتبدأ بالحديث، يا بني منذ أكثر من عشرة أعوام، علمتك الصلاة وقراءة القرآن، قم يا بني الآن وافعل هذا كي ترتاح لا لكي تسقط الفريضة ؛ حادث الله عن

ما يؤلمك، فلا طبيب لك غيره ثم خرجت من الغرفة دون أن تزد على تلك الكلمات.

قمت وفعلت كما قالت أمي فشعرت وكأن نورًا يضئ صدري كانت دموعي تسقط وكأنها تطهر قلبي، كانت كلمات القرآن وكأنها يد تنتشلني من الضياع، تحنو عليّ في وحدتي وتربط على كتفي وقت ضعفي فلا ملجأ لنا دائمًا إلا إلى الله، كلما قست الدنيا وكلما ارتخت فلا عليم بنا سواه، شعرت وكأنني في حاجة لأن أعود إلى تحقيق أحلامي، كما أن الامتحانات قد اقترب موعدها كثيرًا، مرت الأيام سريعًا، لم أشعر كثيرًا أني أريد النوم فقد كنت أحلم بتلك الجملة التي كانت تدفعني دائما للمواصلة"لا سرطان بعد اليوم".

أنهيت امتحاناتي سريعًا وكنت أذهب "ليوسف" بعد كل امتحان لأخبره أنني في طريقي لتنفيذ وصيته، وها قد جاء اليوم المنتظر يوم ظهور النتيجة، كان الموقع قد تجهز ليرد علينا مجهودنا ويخبرنا أنه قد حان موعد الجبر من الله، كنت أدخل تلك الأرقام على لوحة المفاتيح وكانت عيني تكاد تنفطر من شدة القلق، كان قلبي يرتجف، حتى ظهر ذلك الرقم الذي أضاء وجهي وأعلى صرخات الفرحة في حلقي، لقد فعلتها يا أمي، لقد فعلتها، لم يكن بوسعي سوى أن اركض إلى «يوسف»، لقد حققت مرادك يا صديقي لقد فعلتها، أرجو أن تنم وأنت مرتاح يا «يوسف»، عدت إلى البيت لأجده وكأنه قد تحول إلى عيد، هكذا هو الله، «إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً»، إن الله يعلم ما في نفوسنا، يعلم حديث أنفسنا ويعلم

نوايانا وخفايا أسرارنا ، حاشاه أن يردنا خائبين، ها أنا الآن وبعد أن قضيت ثلاث سنوات في كلية العلوم أقترب من حلمي إن لم أكن كدت أصل قد عاد رفيقي مرة أخرى لكني لن أستسلم وسأكمل ما قد بدأته.....!

أخي وحبيبي «يس» قف أمام قبرك الآن، لأخبرك أني سأكمل حلمك وحلم «يوسف» ولن أتراجع، فلم يتبقى لك إلا بضع خطوات، لن أترك أساتذتك إلا عندما ينفذون ذلك الحلم المنير يا عزيزي، أيضا لأخبرك أني قد نشرت روايتك، لتخطف قلوب كل من تمعن في أحرفها ، وأنني آتي إليك في كل جمعة أنا وكل من رأى كلماتك وأراد رؤيتك لنختم لك القرآن، ونحن في ازدياد يا عزيزي، أرقد بسلام يا حبيبي بعيد الجسد حاضر القلب، ففي كل قلب ترسم خطوطك خيوط من الأمان والاطمئنان.....!

أختك «يارا»

تمت